

## التنظيم السياسي و الإداري الاستعماري للصحراء الجزائرية 1954-1962

د.نورالدين عسال -جامعة سيدي بلعباس

تهيد :

كانت الصحراء الجزائرية قبل الاكتشافات البترولية تحت نظام عسكري و مقسمة إلى أربع أقاليم و لم تكن تشكل أهمية اقتصادية بالنسبة لفرنسا الاستعمارية ،غير أن الاكتشافات البترولية و الغازية دفعت بسلطات الاحتلال إلى تغيير وجهة نظرها ،فالصحراء الجزائرية أصبحت ذات بعد استراتيجي و اقتصادي و يسمح لها من تلبية حاجاتها الطاقوية في ظل التغيرات الدولية ،لذا سعت إلى إعادة النظر في الإطار القانوني و الإداري للصحراء حتى تتماشى مع المعطيات الجديدة و تمتين الارتباط السياسي والجغرافي والاقتصادي لهذه المنطقة بالإتحاد الفرنسي.

### أ- نشأة المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية OCRS:

كانت الصحراء الجزائرية منذ صدور قانون 1952 إلى غاية شهر أوت 1957 مقسمة إلى أربعة أقاليم عسكرية يرأس كل إقليم منها ضابط عسكري سامي يمثل الحاكم العام، وهي: إقليم عين الصفراء مقره كولومب بشار، إقليم غرداية ومقره الأغواط، إقليم توقرت ومقره توقرت، إقليم الواحات ومقره ورقلة، و كانت هذه لأقاليم مقسمة إلى بلديات مختلطة أو أهلية على يرأس كل بلدية إداري المصالح المدنية للجزائر أو ضابط في الشؤون الصحراوية برفقة رئيس الملحقة<sup>(1)</sup>.

طالبت العديد من الشخصيات الفرنسية منذ سنة 1945 بضرورة إنشاء منظمة إدارية واقتصادية لمجموع الأقاليم الصحراوية، لكنها لم تجسد على أرض الواقع بسبب اصطدامها بالكثير من التحفظات. وبعد صدور قانون 20 سبتمبر 1947 الذي نص في مادته رقم 50 على إلغاء نظام الأقاليم الجنوبية و استبداله بنظام العملات ،طرح المجلس الجزائري

للمناقشة عدة اقتراحات و حلول لتحديد طبيعة هذا التنظيم الجديد ، هل ستشكل وحدة متكاملة أم جزء؟ أم عمالات متميزة مدمجة في العمالات الموجودة ؟ أم إنشاء أخرى؟<sup>(2)</sup>.

تمثل الحل الأول في ربط أقاليم الجنوب بالعمالات الثلاثة إما بصفة كلية أو جزئية، أما الحل الثاني فقد تمثل في تكوين عمالات جديدة صحراوية وفق مشروع قانون حكومي صدر خلال سنة 1955 لكنه قوبل بالرفض، لأن فكرة إعادة تنظيم الأقاليم الصحراوية هي فكرة قديمة تعود إلى أكثر من عشر سنوات ولم تجد طريقها للتجسيد إلا بفضل الآفاق الطاقوية والمنجمية التي تمتعت بها الصحراء، وفي 24 جوان 1950 وبفضل «إريك لابون Erik Labonne» مستشار لدى الحكومة مكلف بتنسيق الدراسات السياسية والاقتصادية للاتحاد الفرنسي الذي أعلن عن إنشاء « لجنة الدراسات لمناطق التنظيم الصناعي للاتحاد الفرنسي» تحت رئاسة رئيس المجلس و التي عرفت باسم «مناطق التنظيم الصناعي الإفريقي Z.O.I.A.» وتمثل دورها في طرح جديد لهذه المناطق، وتحديد التوجهات العامة وإعداد الخطوط العريضة لبرنامجها<sup>(3)</sup>.

لقد رأى العديد من النواب في البرلمان الفرنسي والمختصين في الشؤون الصحراوية أن الهيكل السياسي والإداري للصحراء لم يعد صالحا من أجل إعادة تثمين منتظم لهذه المناطق، ودعوا إلى ضرورة تعزيز الحضور الدائم للسلطة الفرنسية، وإيجاد تنظيم أو جهاز يسمح بتجسيد الخطط الفرنسية، ووفقا لهذا المنظور أعلن «إميل بيلم Emile Blime» المدير السابق لديوان النيجر في ماي 1951 في مجلة «رجال وعوام» عن فكرة تأميم الصحراء واعتبرها تابعة للجزائر و يتعين أن تشكل إقليما إداريا موحدا وتخضع للسيادة الفرنسية المباشرة، ثم جاء مقترح كل من «بيار جولي» و«كورني» في سنة 1952 الذين سعى إلى إنشاء إفريقيا الصحراوية الفرنسية، فوجدا معارضة من طرف المجلس الجزائري ومجلس الاتحاد الفرنسي اللذين أبديا رفضهما القاطع للمصادقة عليه<sup>(4)</sup>.

وخلال الولاية الثالثة للمجلس الوطني الفرنسي لسنة 1956 قدمت للمجلس مجموعة من النصوص تتضمنت أربعة مقترحات لم تؤخذ بعين الاعتبار، و قدم الوزير المنتدب برئاسة المجلس في ديوان «غي موللي Guy Mollet» «هوفوات بواني Houphoaut Boigny»

بدلا عنها مشروع قانون نص على إنشاء الأقاليم الفرنسية للمناطق الصحراوية باستثناء السودان وموريتانيا التي تخضع لسلطة مندوب عام تابع مباشرة لرئاسة المجلس<sup>(5)</sup>.

وافقت الحكومة الفرنسية في 15 جوان 1956 على المشروع دون المصادقة عليه و هذا ما أثار حفيظة أنصار «التجمع»\* الذين لم يقبلوا بانتصار أصحاب الفكرة المضادة لهم، ولفهم هذا طبيعة هذا التنافس يجدر بنا العودة إلى الوراثة بعشر سنوات ، فخلال هذه المرحلة كان أنصار الوضع الراهن قد طالبوا ببعض الإصلاحات بالصحراء تطبيقا للمادة 50 من قانون 1947، التي سمحت بوجود أقاليم الجنوب ككل أو كجزء و تشكيل عمالات جديدة أو مدمجة في العملات الموجودة، غير الأمر الذي لم يكن ممكنا بسبب شساعة المساحة للعمالات الجزائرية الموجودة أصلا، مما قد يتسبب في عدم التجانس بين مناطقها المترامية الأطراف سياسيا وإداريا و اقتصاديا .

لم تتسرع الحكومة الفرنسية في عملية التقسيم الإداري الجديد تخوف لإعطاء الوقت الكافي للانتقادات التي تلقتها بمناسبة إنشاء أربع محافظات جديدة فيما وراء البحر، مما دفع إلى تأجيل مشروع القانون إلى تاريخ 20 جوان 1956، وبذلك دخلت قضية الصحراء في طريق مسدود، رغم أن فكرة التجمع وجدت صدى كبير لدى العديد من الأوساط ، وفي بداية 1 أوت 1956 صادق مجلس الوزراء على المشروع الثاني لـ «هوفوات بواني» الذي اقترح بإعادة التنظيم الإقليمي الاقتصادي و إنشاء دوائر إدارية جديدة بدل إقليم وطني فاقترحت الحكومة إنشاء المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية التي كانت الحل الأمثل حسب مهندسيها للاستجابة لانشغالات المسؤولين الفرنسيين بتممين ثروات الصحراء<sup>(6)</sup>.

لم تكن هذه الفكرة حول التنظيم الاقتصادي للصحراء جديدة فقد كانت مستوحاة من بعض التجارب الأجنبية التي ظهرت بسلطة وادي التنسي Tenesse Vahy Authority بالولايات المتحدة الأمريكية ، واللجنة الخاصة بكانتجا Kantanga بالكونغو البلجيكي، و قد اقترحت هذه الفكرة سابقا من قبل مستشار الاتحاد الفرنسي «الدوي Alduy» في سنة 1953 حينما اقترح إنشاء تنظيم اقتصادي صحراوي لجرد الثروات المنجمية الصحراوية والتخطيط لتثمينها ، وتشجيع إقامة صناعة إستخراجية، وتفعيل تطور تجمعات اقتصادية مدمجة<sup>(7)</sup>.

صادق مجلس الوزراء الفرنسي في 1 أوت 1956 على المشروع القانون وسلم إلى البرلمان في ديسمبر 1956 ثم سلمته الحكومة إلى مجلس الاتحاد الفرنسي الذي صادق عليه في 07 ديسمبر 1956 بأغلبية ساحقة حيث كانت النتائج بـ 127 صوت بنعم مقابل 14 صوت للرافضين<sup>(8)</sup>، و قد تتطلب المشروع أربع قراءات قبل التصويت على نص معدل يختلف نوعا ما عن نص الحكومة ، وفي 29 ديسمبر 1956 صادق المجلس الوطني الفرنسي على المشروع بالأغلبية المطلقة بـ 374 صوت بنعم مقابل 152 بـ«لا» ونشر في الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية في 11 جانفي 1957 .<sup>(9)</sup>

ويمكن اعتبار مشروع «بواني» تسوية بين كل الأطروحات التي تجابهت فيما بينها خلال مناقشة المسألة و في تاريخ 10 جانفي 1957 وبموجب قانون رقم 57/27 صدر القانون الخاص بإنشاء «المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية» Organisation commune des «OCRS» «territoires sahariens»، الذي اعتمده رئيس الجمهورية وحدد دور المنظمة في تثمين التوسع الاقتصادي والترقية الاجتماعية للأقاليم الصحراوية الخاضعة للسلطة الفرنسية<sup>(10)</sup> مع المشاركة في تسييرها من طرف الحكومة العامة في الجزائر وموريتانيا ومالي والنيجر والتشاد.

وقد حددت مهامها على المستوى الاقتصادي والاجتماعي فيما يلي:

- ترقية كل الإجراءات التي تسمح بتحسين المستوى المعيشي للسان، وضمان الترقية الاجتماعية مع الأخذ بعين الاعتبار عادات وتقاليد السكان.
- التوافق مع برنامج التطور في مخطط التحديث ولتجهيز.
- تحضير وتنسيق البرامج والدراسات والأبحاث الضرورية لتطور هذه الأقاليم وبناء على نتائج هذه الدراسات والأبحاث دخلت البرامج العامة للتثمين حيز التنفيذ خاصة في الميدان الطاقوي والمنجمي والمائي والصناعي والزراعي.
- إقامة وتنفيذ مخطط المنشآت الخاصة بالنقل والاتصالات.
- تشجيع إقامة صناعة استخراجية وتحويلية وإنشاء عندما تسمح الظروف بذلك تجمعات صناعية.<sup>(11)</sup>

بعد التقرير الذي قدمه وزير الصحراء في جوان 1957 صدر مرسوم 07 أوت 1957

الذي أقر بإنشاء عمالتين صحراويتين متميزتين عن الجزائر تضمنان مناطق واسعة من الأقاليم الصحراوية بعدما ما كانت الصحراء خاضعة منذ بداية الخمسينات إلى أنظمة إدارية مختلفة ودرجة ضمن صلاحيات إفريقيا الغربية الفرنسية إفريقيا الاستوائية الفرنسية، وقد أفرزت هذه الوضعية تمييزا مجحفا في التشريعات المنجمية والجبائية والجمركية بين الأقاليم.

ولوضع حد لهذه التباين المستمر برزت على الساحة السياسية فكرة تنظيم المنطقة الصحراوية من جديد لكنها اصطدم بعوائق و صعوبات من جانبيين:

تمثل الجانب الأول في رسم الحدود مع المغرب وتونس وليبيا التي لم تكن حددت رسميا، أما البقية فقد رسمت بعد التوسع الاستعماري دون الأخذ بعين الاعتبار للخصائص الجغرافية أو السوسولوجية، وتمثل الجانب الثاني في حصول المغرب وتونس على استقلالهما<sup>(12)</sup>، وهذا ما جعل الحكومة الفرنسية تتردد بين طريقتين، الأولى أن تجعل الصحراء إقليما وطنيا و تمنح له وحدته البنيوية، والثانية إقامة تنظيم اقتصادي هدفه تثمين هذه الأقاليم لذا تقرر إنشاء المنظمة الجديدة التي تهدف إلى توحيد الأقاليم عبر قانون اقتصادي خاص دون التخلي عن القواعد الدستورية، لكن الصيغة الجديدة تركت التباسا فالمشروع يتكلم عن المحيط وليس عن الأقاليم<sup>(13)</sup>.

و بذلك فإن الأقاليم القديمة للجنوب التي تحولت قبل ذلك إلى عمالتين و قدرت جميع المحيطات الواقعة تحت سلطتها بـ 3.5 مليون كلم<sup>2</sup> و 700 ألف نسمة منهم 500 ألف نسمة في العمالتين و 150 ألف نسمة في الأجزاء الصحراوية للسودان والنيجر و 50 ألف في التشاد<sup>(14)</sup> أصبحت كلها تحت سلطة المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية، و قد ضمت:

- عمالة الواحات: مقرها الأغواط ومقسمة إلى ثلاث مناطق إدارية:
- المنطقة الإدارية للأغواط التي تضم إقليم غرداية وجزء من البلدية المختلطة لجرفيل الواقعة شرق «وادي زرقوم» إلى غاية ضيعة الكهلة.
- المنطقة الإدارية لورقلة التي تضم إقليم الواحات وجزء من البلدية المختلطة للوادي الواقعة جنوب خط عرض 32°.

- المنطقة الإدارية لتوقرت التي تضم جزء من إقليم توقرت المجتمع بالمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية إلى الشمال من خط عرض 32°.
- عمالة الساورة: مقرها كولومب بشار ومقسمة إلى منطقتين إداريتين:
- المنطقة الإدارية كولومب بشار التي تشمل البلديات المختلطة لكولومب بشار وبريزينة الأبيض الواقعة جنوب البلدية المختلطة القديمة لجرفيل والبلديات الأهلية للساورة وتندوف والقسم الصحراوي لدوائر قوندام»
- المنطقة الإدارية لأدرار التي تشمل البلديات الأهلية للقورارة وتوات<sup>(15)</sup>.

ولتكييف المنظمة مع الواقع السياسي الفرنسي والجزائري الجديد أصدرت الحكومة الفرنسية مرسومين في 04 فيفري 1959 و 31 مارس 1959 اللذين اخذا بعين الاعتبار الدستور الجديد للجمهورية الخامسة الذي سمح بتوقيع معاهدات يتم بموجبها التحديد الإقليمي مع الدول المجاورة ، و كنتيجة لهذه الإصلاحات وقعت المنظمة على بروتوكول اتفاق للتعاون مع النيجر في 12 ماي 1959 ورد فيها: «إن حكومة الجمهورية الفرنسية، تكلف المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية، بدعم تعاونها التقني والمالي لحكومة جمهورية النيجر لضمان التطور الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة الصحراوية النيجيرية»<sup>(16)</sup>، وبرتوكول اتفاق في 03 أوت و 14 سبتمبر 1959 مع التشاد ورد فيه: «في منطقة الصحراوية للتشاد التي تضم دوائر تبستي، بوركو، رايندي، ودائرة كانام ودائرة بنتها الواقعة في شمال الطريق رقم 13 ونواحي يلتين ودائرة واعديا، فإن المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية تقدم دعمها التقني والمالي المنصوص عليهما في قانونها الداخلي»<sup>(17)</sup>.

بعد التصويت على القانون الداخلي للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية في 10 جانفي 1957 الذي أعطى الإشارة الأولى لانطلاق عملها ، وتواصل عملية تنصيب أجهزتها المشكلة من اللجنة العليا و المندوبية العامة واللجنة التقنية للإدارة،و التي كانت كالآتي:

- اللجنة العليا: في جويلية 1957 عينت المجالس الدستورية ممثلها والمكونة من 16 عضو من ممثلي سكان الأقاليم الصحراوية المنتخبين من قبل المجالس المحلية، ثمانية أعضاء يمثلون سكان المناطق الصحراوية بالجزائر وعضوان يمثلان سكان موريتانيا، وعضوان يمثلان المناطق الصحراوية بالنيجر، وعضوان يمثلان المناطق الصحراوية بالسودان، وعضوان يمثلان

سكان المناطق الصحراوية للتشاد و16 عضو من ممثلي المجالس الدستورية الفرنسية: ثمانية (8) نواب بالمجلس الوطني الفرنسي، وأربعة (4) من مجلس الأمة، واثنان (2) من مستشاري الاتحاد الفرنسي واثنان (02) بالمجلس الاقتصادي<sup>(18)</sup>.

تجتمع اللجنة العليا مرتين سنويا بمقرها الكائن بباريس في مدة لا تزيد عن 08 أيام وقد عقدت أول جلسة لها في 21-24 جانفي 1957، وتنتخب مكتب المتكون من رئيس وثلاثة نواب فرنسيين وثلاثة أمناء مكاتب وتقوم اللجنة بالمداولات على كل برامج النشاط، وتدرس التقارير التي يقدمها المندوب العام عن الميزانية المؤقتة وبرامج الاستثمارات، وتراقب سنويا المصادر المالية والتي تسير المنظمة، ويحضر المندوب العام في كل جلسات اللجنة العليا التي تستطيع انتخاب المندوبية العامة والمتكونة من 07 أعضاء تختارهم من خارج اللجنة و بدورها تعين المندوبية العامة رئيسها بنفسها معتمد على ثلاثة ممثلين عن المجلس الدستورية للجمهورية الفرنسية ، وثلاثة ممثلين عن السكان الصحراويين<sup>(19)</sup> وتكمن مهمتها في تحديد وتنسيق البرامج للعمل المشترك و كذا مراقبة مدى تنفيذها.

- **المندوبية العامة:** يدير المندوبية العامة مندوب عام معين بموجب مرسوم لمجلس الوزراء الفرنسي فهو يمثل الحكومة يكلف بإعداد وتنفيذ البرامج، إضافة إلى الدفاع والحفاظ على الأمن في الأقاليم الصحراوية، ويساعده ضابط سامي في الجيش الفرنسي، ويمكن أن يستقيل بموجب مرسوم بعد استشارة الوزير الفرنسي لما وراء البحار أو الوزير المكلف بالجزائر.

- **اللجنة التقنية للإدارة:** تتكون هذه الهيئة من ستة ممثلين للإدارة وثمانية خبراء تختارهم الإدارة الفرنسية حسب كفاءتهم داخل التنظيمات العمومية والخاصة يعينون بموجب مرسوم من مجلس الوزراء الفرنسي إضافة إلى الضابط العام، ويتمثل دور هذه اللجنة في وضع البرامج وتحديد شروط ومساعدة المندوب العام<sup>(20)</sup>، وقد خصصت لها ثمانية مقاعد تمثل هيئات ومؤسسات تتمتع بكفاءة في مجال تثمين واستغلال الصحراء، ومنها مكتب تنظيم المجموعات الصناعية الإفريقية، مكتب الأبحاث البترولية، المكتب المنجمي للمستعمرات، مكتب الأبحاث المنجمية للجزائر، ومحافظة الطاقة النووية<sup>(21)</sup>.



وموجب مرسوم 21 مارس 1959 أنشئ المجلس الاقتصادي والاجتماعي للمنظمة المكون من أعضاء اللجنة التقنية ونواب مناطق الصحراء الكبرى، ورؤسها المجلسين في عمالتي الساور والواح، وعضوين يمثلان اللجنة الاقتصادية والاجتماعية للعمالتين. وقد تمتعت المنظمة بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية ووضع تحت تصرفها ميزانية العمل المرتبطة برئاسة المجلس الوطني، وكانت أول ميزانية للصحراء في سنة 1958، فحسب تقرير رقم 886 الملحق رقم 24 للمجلس الوطني الفرنسي والمنجز من قبل «مارك جاكوي Marc Jacquet» وقدمه المقرر الخاص «ماكس لوجون Max Lejeune» فقد قدرت ميزانية عمل المنظمة في سنة 1961 بـ 44.350.000 فرنك جديد بعدما كانت 23.300.000 فرنك جديد في سنة 1959، و31.200.000 فرنك جديد في سنة 1960 وبلغت الاستثمارات غير النهائية بـ 183.980.000 فرنك جديد قد خصصت لتنفيذ مختلف البرامج الاقتصادية والاجتماعية و 210.130.000 لدفع الديون<sup>(22)</sup>.

قامت المنظمة منذ نشأتها بمجموعة من الدراسات حول الإمكانيات الاقتصادية و انعكاساتها على سكان الأقاليم للتحقق من مختلف وجهات النظر المطروحة للنقاش، ووضع برنامج نهائي لعمل المنظمة. وفي هذا الإطار شكلت أربع مجموعات عمل استوحت تشكيلتها و طريقة عملها من المناهج التي استعملتها المحافظة العامة للمخطط.

كلفت المجموعة الأولى بدراسة انعكاسات التطور الاقتصادي للصحراء على حياة السكان والتوزيع الجغرافي وخط المعيشة ومشاكل التعليم والصحة والسكن، وركزت الثانية على مشاكل المياه من خلال وضع حصيلة للمصادر والحاجات المائية مع الأخذ بعين الاعتبار نشاط الزراعة وتربية الحيوانات والصناعة، كما قامت بتوضيح النظام القانوني للماء ثم قامت بأبحاث عن النظام القائم في العمالات الصحراوية والدول المجاورة، أما المجموعة الثالثة فقد اهتمت بدراسة التطور الصناعي للصحراء بإبعاد المسائل المتعلقة بالبترو والمانجم، ونظرا لتشعب المشاكل انقسمت هذه المجموعة إلى مجموعات صغيرة تمحورت مهامها حول إعداد دراسة عن الصناعة التقليدية المحلية أما المجموعة الرابعة فكلفت بدراسة العلاقات الاقتصادية الخارجية ومشاكل المبادلات بين الصحراء والأقاليم المجاورة، وخصصت العديد من الأعمال لمختلف تحركات الإنسان ورؤوس الأموال والبضائع<sup>(23)</sup>.



و مع نهاية الأشغال أعدت كل مجموعة تقريراً نهائياً عاماً، ثم سلمت كل التقارير في نهاية سنة 1960 للجنة التركيب التي كلفت بوضع الخطوط العريضة لبرنامج عمل المنظمة على المدى المتوسط، مع إمكانية استفادة المنظمة من المساعدة المالية و التقنية للمتربول، و فسخ المجال للمندوب العام للمنظمة للتفاوض باسمها مع تسجيل تحفظ الحكومة الفرنسية حول التفاوض مع تنظيمات أجنبية.

واجهت المنظمة العديد من الصعوبات بسبب تدخل وزير الصحراء الذي آثار مجموعة من المشاكل العويصة فسلطات الوزير المحددة بموجب مرسوم 21 جوان 1957 التي تقر بسلطة وزراء الجزائر وفرنسا لما وراء البحر والتفويضات التي سلمت كانت ذات صفة مؤقتة، لكن بقاء الوضع على ما هو عليه جعل قانون المنظم و يبدو منهما، فقد أكد قانون الإطار لـ 23 جوان 1956 على ضرورة التعاون الدائم بين المنظمة والسلطات المستقلة للأقاليم، غير أن هذا القانون وضع أقاليم الجنوب القديمة في وضعية غير مستقرة، و كان الحل الوحيد هو ضرورة إصدار قانون ينقل السلطات بشكل نهائي إلى وزير الصحراء كمندوب عام للمنظمة بعدما كانت الصلاحيات تمارس من قبل وزير الصحراء المقيم بالجزائر إلى غاية 21 جوان 1956 من قبل الوزير المقيم بالجزائر<sup>(24)</sup>، و كان قانونها الداخلي يجبرها على التكيف مع الظروف والأحداث الجديدة وتطورها الدائم بموجب قانون 10 جانفي 1957 الذي كان له أبعاد سياسية و اقتصادية .

وبعد صدور أمرية 04 فيفري ومرسوم 21 مارس 1959 المتعلقة بالمنظمة تغيرت وجهتها نحو التركيز على الجانب الاقتصادي والاجتماعي، كما عرف قانونها تغيرات هامة بين سنتي 1957-1959 فبعدما كانت صلاحيات المنظمة تشمل الصحراء الجزائرية والجزء الصحراوي من السودان والنيجر والتشاد، اقتصرت على العملات الصحراوية الفرنسية من خلال مرسوم 07 أوت 1957<sup>(25)</sup> ثم نقلت صلاحيات المندوب العام إلى الحاكم العام بالجزائر، ومنذ جوان 1960 أصبحت الوصاية التنظيمية تمارس من قبل وزير الصحراء الذي يصادق على جدول الأعمال اللجنة التقنية الاقتصادية والاجتماعية.<sup>(26)</sup>

عبر «بوبكر حمزة» وهو أحد مبعوثي الجنرال ديغول إلى الصحراء في مقال له نشر في جريدة لوموند le monde في 30 جوان 1960 عن رأيه في قانون المنظمة المشتركة

للأقاليم الصحراوية ورد فيه: «إن قانون 10 جانفي 1957 الخاص بإنشاء المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية سيثير مجموعة معقدة من الصراعات ذات الطابع السياسي والإداري والاجتماعي والاقتصادي بداخل هذا البحر الواسع. هذا القانون الذي تم التصويت عليه بسرعة في غياب أي تمثيل نيابي جزائري صحراوي ودون استشارة السكان مسبقا والمستوحى قبل كل شيء من انشغالات فنية ومالية مرتبطة بالاكشافات البترولية».<sup>(27)</sup>

قدم المستشار القانوني للمنظمة «دوبياك M.Daecque» في 17 أكتوبر 1960 وجهة نظره حول هذا التنظيم الجديد للصحراء معتقدا أنه ليس بالإمكان إقامة هذا التجمع للأقاليم الصحراوية بسبب تحفظات دول مثل مالي، وموريتانيا، واصطدامه بالطبيعة الجغرافية للمنطقة، فضلا عن مشكلة المسافات التي تفصل بين الدول التي تعاني من اقتصاد فقير.

وفي إطار الاختيارات المطروحة كان من الضروري وضع قانون أساسي للعماليتين الصحراويتين، يحدد وجهة الإدارة الفرنسية للفصل بين بقاء الصحراء فرنسية أو إنشاء دولة صحراوية، وبالتالي رجوع الجزائر إلى ما قبل 1957 أو الاعتراف بسيادة الجزائر والمغرب وتونس على هذه الأقاليم.

كما كان متوقعا اختارت فرنسا إبقاء سيادتها على هذه الأقاليم كحل للحفاظ على مصالحها الاقتصادية و وقواعدها العسكرية في الصحراء، و تمكنها من تطوير سياسات استغلالها للثروات الصحراوية و في مقدمتها المحروقات، لكن هذا الطرح سيدفع بالدول المغربية الثلاث إلى رفضه<sup>(28)</sup>.

و قد وضعت فرنسا الصحراء تحت سترة تنظيمين مختلفين هما وزارة الصحراء والمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية، الأمر الذي أدى إلى ظهور مشاكل عويصة بسبب تداخل الصلاحيات بينهما، فكلاهما وضع تحت سلطة الوزير المكلف بالصحراء الذي هو المندوب العام للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية في الوقت نفسه و لم ينته هذا الخلط في السلطات<sup>(29)</sup>، إلا في 10 جوان 1960 بموجب مرسوم رقم 536-60 الذي أكد على الفصل بين مهام وزير الصحراء و مهام المندوب العام و قد منح المنصب لـ «أوليفي

غيشار Olivier Guichard» الذي أكد في تصريح له قائلا: «ما هو مصير الصحراء؟ فمستقبل هذا الإقليم لا يزال محل جدل في آفاق إيجاد حل تفاوضي للصراع الجزائري... لقد تمت المصادقة على بعض المراسيم في جوان الأخير و التي جاءت ببعض التعديلات للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية، وكان هدفها إبراز البعد الدولي لهذه المنظمة. لهذه الغاية فإن عمل المندوب العام هو نفسه لوزير الصحراء، و قد تم اتخاذ إجراءات لتحديد مسؤولية كل واحد منهما مع بقاء تعاون بين المنظمة والإدارة الصحراوية...وقد جاءت هذه الإصلاحات ساستجابة لتمنيات العديد من الدول المجاورة للصحراء التي لم ترغب في حالة انضمامها إلى المنظمة تقلص في سيادتها على المناطق الصحراوية»<sup>(30)</sup>.

وهكذا فإن المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية واجهت منذ بدايتها الكثير من المصاعب فلم تكن كيانا إداريا ولا مؤسسة عمومية، بسبب التداخل في الصلاحيات بين المندوب العام ووزير الصحراء.

#### ب- وزارة الصحراء:

كانت الصحراء قبل سنة 1957 خاضعة لأنظمة إدارية متباينة، خاصة فيما يتعلق بالتشريع المنجمي والحماية والجمركية ورغبة في وضع حد لهذا التباين، وتنسيق الجهود بين مختلف المصالح التي تعمل على تثمين المناطق الصحراوية، صادقت حكومة «غي مولي» Guy mollet على المشروع الذي خدمه «هوفوان بواني» Haufouane Boigny الذي نص على إقامة «المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية» وفقا لقانون 10 جانفي 1957 الذي استغرقت مدة إنجازه أكثر من ستة أشهر، وكان من بين الإجراءات الأولى لهذا الإصلاح قرار «بورجيس مينوري» إنشاء وزارة الصحراء بموجب مرسوم 21 جوان 1957<sup>(31)</sup> الذي اعتبر تجسيدا لرغبة الحكومة الفرنسية في فرض سيادتها على الصحراء، وأسندت هذه الوزارة إلى «ماكس لوجون» Max Lejeune

كما أصدرت الحكومة الفرنسية مجموعة من المراسيم التنظيمية حددت بموجبها صلاحيات وزير الصحراء حيث صدر مرسوم رقم 57- 713 في 21 جوان 1957<sup>(32)</sup> الذي وضع تحت سلطة وزير الصحراء معظم الشؤون المتعلقة بالأقاليم الصحراوية، و منحه حق ممارسة الصلاحيات الخاصة بالإدارة و التنظيم تثمين المناطق الخاضعة لسلطته

، و مرسوم رقم 57-152 المؤرخ في 16 أكتوبر 1957 الداعم لتنظيم الإدارة العمومية المتعلقة بالبنية الإدارية والمالية المؤقتة للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية، ثم مرسوم رقم 58-398 المؤرخ في 12 أبريل 1958 المحدد لصلاحيات الإدارة المركزية لوزير الصحراء<sup>(33)</sup>، وكانت حكومة مورييس بورجيس مينوري هي أول حكومة فرنسية ضمت وزيرا للصحراء، تلتها حكومة «فليكس غايارد Felix Gaillard»، و قد حددت النصوص السالفة الذكر صلاحياته التي تتمثل في:

- 1- يتولى وزير الصحراء مجموع الشؤون المتعلقة بالأقاليم الصحراوية ويمارس صلاحيات التنظيم الإداري، وتتمين الأقاليم الصحراوية<sup>(34)</sup>.
- 2- توضع تحت سلطة وزير الصحراء ولاية الساوره والوحدات الذين يضمون في عمالتهم الإدارة العامة لنشاط الموظفين التابعين للدولة وتمثيل المصالح الوطنية والمراقبة الإدارية للجماعات الإقليمية.
- 3- يكلف وزير الصحراء داخل الحكومة بتطبيق القانون رقم 27/57 في 10 جانفي 1957 المؤسس للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية
- 4- يكلف وزير الصحراء بمهام المندوب العام للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية المنصوص عليها في قانون 10 جانفي 1957، وتمنح له السلطات التي كانت حتى الآن تمارس من قبل الحاكم العام للجزائر، والمحافظات العليا، وولاية الأقاليم الغربية الفرنسية والأقاليم الشرقية الفرنسية في المناطق التابعة للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية.
- 5- يمارس وزير الصحراء الصلاحيات السابقة المسندة لرئيس مجلس المكتب الصناعي الإفريقي<sup>(35)</sup>.

ومن خلال الصلاحيات المشار إليها سلفا تبين جليا منذ بداية إنشاء وزارة الصحراء والمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية أن هناك تداخلا في المهام فقبل شهور من تأسس هذه الوزارة تم التصويت على قانون الإطار للأقاليم ما وراء البحار la loi des territoires d'outre mer الذي منح استقلالية كبيرة لحكومات هذه الأقاليم، مما يعني أن فرنسا لن تستطيع فرض سلطتها بدون موافقة الحكومات المعنية، فصدرت مع بداية سنة 1959

نصوص جديدة منها كأمره 04 فيفري 1959 ومرسوم 21 مارس 1959 كان الغرض منها إعادة النظر في صلاحيات حكومات الأقاليم من خلال حصر مهام المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية على الجانب الاقتصادي والاجتماعي دون غيرها. و كان من نتائج هذه الإصلاحات توقيع دولتين من دول جنوب الصحراء هما النيجر و التشاد على معاهدتين مع المنظمة لتطوير المناطق الصحراوية، بينما رفضت كل من مالي و موريتانيا الانضمام إلى المعاهدتين<sup>(36)</sup>، ويعود السبب للغموض المتعلق بمهام المندوب العام للمنظمة و كذا مهام وزير الصحراء و التداخل الحاصل بينهما، و أبدت تحفظاتهما حول توقيع على أي اتفاقية مع وزير الصحراء الفرنسي، لأن ذلك يعطي الاتفاقية يعدا سياسيا.

لذا قامت الحكومة الفرنسية بقيادة «ميشال دوبري Michel Debrét» بإلغاء وزارة الصحراء واستبدالها بوزارة منتدبة لدى الوزير الأول قد أسندت لـ «جاك سوستال Jacques Soustelle»، وبعد التعديل الوزاري في 05 فيفري 1960 منحت إدارة الصحراء وأقاليم ما وراء البحار لوزير دولة الذي جمع بين المهام الاقتصادية والإدارية<sup>(37)</sup>، و عهدت إليه الإدارة المركزية التي تحتوي على مكتب الديوان ومديرية الشؤون الإدارية والاجتماعية و قد كلف مكتب الديوان بضمان تسيير الموارد البشرية، والمباني، والقروض الممنوحة، وأرشفة الوثائق الأصلية ونشر النصوص التنظيمية المعدة من قبل المحافظة الوزارية للصحراء إضافة إلى متابعة كل القرارات المتخذة وضمان مراقبة المهام، وكلفت مديرية الشؤون الإدارية والاجتماعية على المستوى المركزي بمعالجة المسائل التي تدخل ضمن صلاحيات وزير الصحراء، إلى جانب دراسة المسائل التي ظلت بطبيعتها ضمن صلاحياته، وبذلك و كلها كانت من مهام المفتشية العامة القديمة لأقاليم الجنوب التابعة للحاكم العام بالجزائر<sup>(38)</sup>.

قبل صدور مرسوم رقم 57- 417 في 21 جوان 1957 المتعلق بنقل سلطات الحاكم العام للجزائر إلى وزير الصحراء والمندوب العام للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية كان بالجزائر المفتشية العامة لأقاليم الجنوب التي أنشأت بقرار 07 ماي 1909، وتم إلغاؤها بموجب قانون 20 سبتمبر 1947 التي كانت تمارس نفس صلاحيات المطبقة بفرنسا بين الإدارة المركزية والمحافظات و كانت تعالج المسائل السياسية والاجتماعية الخاصة بأقاليم

الجنوب إضافة إلى الأمن الداخلي والتنسيق مع مديريات الحكومة العامة لحل المشاكل التي تدخل ضمن تخصصاتها كالمياه و الطرق و المسالك و الكهرباء<sup>(39)</sup>، وبذلك ورثت مديرية الشؤون الإدارية والاجتماعية لوزارة الصحراء صلاحيات المفتشية العامة للأقاليم الجنوب و أصبحت تمارس كإدارة مركزية صلاحيات الحكومة العامة للجزائر، و قد ضمت مجموعة من المصالح منها:

- **المصلحة المالية:** تضمنت مكتب التنظيم والدراسات المالية المكلف بالتنسيق بين مصالح المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية ووزير المالية، وإنجاز الدراسات المتعلقة بالمسائل الجبائية ، وضمان تسيير المستخدمين في الإدارات المالية والعاملين بالصحراء. أما مكتب الميزانية والمحاسبة فقد كلف بتحضير مشروع الميزانية لوزير الصحراء من خلال الدراسة و التنسيق بين مختلف اقتراحات المصالح المركزية والتنظيمات المرتبطة بالعمالة وتوجيه هذه الميزانية والمحاسبة الفصلية ومراقبة استخدام: القروض، وتسيير البناءات والإشراف على عتاد الإدارة المركزية<sup>(40)</sup>.

- **المصلحة الإدارية:** تضمنت مكتب الشؤون الصحراوية الذي تمتع بصلاحيات عديدة منها تسيير المستخدمين للشؤون الصحراوية ودراسة المشاكل المطروحة من طرف القبائل والرؤساء المسلمين، ومعالجة الإشكاليات التي تطرحها العدالة والديانة الإسلامية واللغة العربية.

- **مكتب الأمن العام:** كلف بمعالجة المسائل المتعلقة بحالة المستخدمين والمسائل العقارية والملكيات بالتعاون مع مصالح المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية، والمسائل المتعلقة بالصناعة التقليدية، والتجارة والتمويل، والنقل والسياحة والاتصال بالوزارات التي لها علاقة بالمسائل الخاصة بالعدالة، ومصحة السجون، والتربية المحروسة، ومعالجة المشاكل الخاصة بالحماية المدنية<sup>(41)</sup>.

- **مكتب الإدارة الخاصة بالمحافظة والبلديات:** كلف بالوصاية على المحافظات والبلديات و تحضير النظام الانتخابي، ورعاية الانتخابات، والتجهيز الإداري، وتسيير ملفات المستخدمين والمصالح الإدارية للصحراء.

- **مصالح العمل الاجتماعي:** تضمنت مكتب الشؤون الاجتماعية، ومكلف بمعالجة مشاكل السكان والاتصال بالمحافظات الوزارية، قصد تبليغها بانشغالات قطاع الزراعة والتكوين المهني والقروض والتعاضدية الزراعية وس قدماء المحاربين.

- **مكتب العمل والضمان الاجتماعي:** كانت مهمته الاتصال بالمصالح المختصة لمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية، و المصالح الوزارية المؤهلة لمعالجة ظروف العمل، النظافة والأمن، والشغل، وتنقل اليد العاملة والتكوين المهني والأجور، مراقبة النظام العام والأنظمة الخاصة للضمان الاجتماعي، وحوادث العمل والمنحة العائلية.

- **مديرية المصالح الصحية:** كلفت بتسيير المستخدمين في القطاع الصحي من أطباء وموظفين استشفائيين، وضمان السير الحسن للمستشفيات، ومراكز العناية الصحية وتوجيه البعثات الطبية.

- **الديوان الصحراوي بالجزائر العاصمة :** فضلا عن المكاتب و المصالح السالفة الذكر كلف هذا الديوان بضمان الاتصال مع كل المصالح والتنظيمات والشركات التي تنشط بالجزائر<sup>(42)</sup>.

وبخصوص ميزانية وزارة الصحراء فقد تكونت مواردها من عدة مصادر منها: ميزانية المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية التي بلغت 56 مليون فرنك جديد في سنة 1958 لترتفع إلى 208 مليون فرنك جديد في سنة 1959، و285 مليون فرنك جديد في سنة 1961، و ميزانية وزارة الصحراء التي قدرت في سنة 1958، بـ 105 مليون فرنك جديد، لترتفع إلى 246 مليون فرنك جديد في سنة 1959، ثم انخفضت إلى 112 مليون فرنك جديد سنة 1960، و ميزانية الصندوق الصحراوي للتضامن الذي ساهم الأول بمبلغ 40 مليون فرنك ومكتب الاستثمار الإفريقي بمبلغ 3.5 مليون فرنك في سنة 1958، الميزانية الفرنسية التي ساهمت بمبلغ 165 مليون فرنك جديد سنة 1958، و مبلغ 463 مليون فرنك جديد سنة 1959، ثم انخفضت خلال سنتي 1960 و 1961 لتصل إلى 275 مليون فرنك جديد<sup>(43)</sup>.



جدول رقم 1: تمويل ميزانية وزارة الصحراء (مليون فرنك جديد)<sup>(43)</sup>

إتاوة بتروولية	ميزانية فرنسية	
-	164.37	ميزانية 1958
-	463	ميزانية 1959
55	310.90	ميزانية 1960
125	275.50	ميزانية 1961
180	1.213.77	المجموع

والملاحظ أنه منذ 1960 أصبحت عائدات الموارد البترولية تشكل مصدرا ماليا كافيا لتغطية ميزانية وزارة الصحراء مما خفف من حدة الانخفاض المتزايد للتمويل المركزي، حيث ارتفعت القيمة من 55 مليون فرنك جديد في سنة 1960 إلى 125 مليون فرنك جديد في 1961.

## ج- المكتب الصناعي الإفريقي (BIA):

بموجب قانون المالية الصادر في 5 جانفي 1952 الذي نص على إنشاء « مكتب التنظيم للتجمعات الصناعية الإفريقية » المكلف بإعداد وتنفيذ برامج لتطوير التجمعات الصناعية الإفريقية خاصة بإنشاء مؤسسات أو تنظيمات أو بالحصول على مساهمة في التنظيمات التي تدخل في إطار نشاط هذا البرنامج، ومن جهة أخرى وبالنظر إلى المتطلبات الاقتصادية والدفاع العسكري أشار « اريك لايون » إلى الفائدة من إنشاء تنظيم متخصص الذي يسمح للجيش الثلاثة بتحمل المسؤولية في إقامة صناعة إفريقية بحكم الأهمية الإستراتيجية للصحراء، وهو الدور الذي حدد « للمكتب الإفريقي للأشغال الصناعية الإفريقية »<sup>(45)</sup> B.A.T.I.M.

بفضل «شركة الدراسات للتجهيز المنجمي والصناعي» وبمبادرة من الجنرال «جورج بيكو Georges Picot» الذي دعا المؤسسات الفرنسية من كل القطاعات الصناعية للمساهمة في تمويل هذا المكتب وتم جمع مبالغ مالية هامة.

وضعت المادة 3 من مرسوم رقم 57-713 في جوان 1957 تحت سلطة وزير الصحراء المكتب الصناعي الإفريقي\* و بذلك ارتبط هذا الجهاز بوزارة الصحراء، وحسب

المادة 1 و 9 من قانون 10 جانفي 1957 بإمكان المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية الاستعانة بخدمات «مكتب التنظيم للتجمعات الصناعية الإفريقية»، ونصت نفس المادة في الفقرة 3 على أن إجراءات قانون رقم 24/25 لـ 5 جانفي 1952 المتعلقة بالمكتب الصناعي الإفريقي يمكن أن تتغير بموجب مرسوم حتى تسمح له بممارسة أعماله في المناطق الصحراوية الحالية، غير أن قانون المكتب لم يطرأ عليه أي تغيير<sup>(46)</sup>.

يعتبر المكتب الصناعي الإفريقي مؤسسة عمومية ذات صبغة صناعية وتجارية أنشأ بموجب المادة 17 من قانون رقم 14/52 بتاريخ 05 جانفي، ونظم بموجب مرسوم رقم 431/52 بتاريخ 27 ديسمبر 1952<sup>(47)</sup> قد تكون هذا التنظيم من مجلس إداري وسكرتارية عامة.

تكون المجلس الإداري من 23 عضوا كالتالي: الرئيس: لويس أرموند Louis Armand. سبعة (7) من ممثلي الإدارة المركزية (أي ممثلي وزير المالية ووزير الشؤون الخارجية ووزير الداخلية ووزير الدفاع والوزير المكلف بالشؤون الاقتصادية والوزير المكلف بالصناعة والتجارة وممثل المحافظة العامة للمخطط)، إضافة إلى ممثل الحاكم العام بالجزائر، وممثل سفير فوق العادة في المغرب ممثل سفير فرنسا فوق العادة في تونس إضافة ستة (6) ممثلين للمؤسسات العمومية أو الشركات المساهمة في الأبحاث واستغلال ثروات إفريقيا الشمالية و ست (6) شخصيات مختارة بسبب كفاءتها في مجال الصناعة والمالية<sup>(48)</sup>.

ويسمح لنائب الرئيس والسكرتير العام في لجنة الدراسات لمناطق التنظيم الصناعي للاتحاد الفرنسي بالمشاركة في التصويت الاختياري في مداولات مجلس الإدارة وتعيين الرئيس إضافة إلى أعضاء المجلس الإداري من قبل المجلس الوطني بعد استشارة الوزراء المعنويون لعهد مدتها أربع سنوات قابلة للتجديد، ويجتمع مجلس الإدارة بعد استدعائه من قبل الرئيس و قد بلغ عدد الاجتماعات تسع مرات\* و لا تعتمد المداولات إلا بحضور نصف الأعضاء المشاركين في الجلسة وبالأغلبية المطلقة وفي حالة تساوي الأصوات يعتبر صوت الرئيس مرجحا، ويتشكل مجلس الإدارة من لجنة التوجيه التي تضم ثمانية أعضاء<sup>(49)</sup>، و يتمتع بكل سلطات القرار في جميع المجالات التي تدخل في إطار مهام المكتب الصناعي الإفريقي وهو المؤهل الوحيد في اتخاذ القرار في المسائل المتعلقة

بالتوقعات السنوية للمداخيل والنفقات وحسابات آخر انتهاء العمل وشروط حصص القروض والشروط التي تسمح للمكتب بالمشاركة في تنظيمات أو مؤسسات أخرى وتمثيل المكتب في المجلس الإداري للمؤسسات عندما يتطلب الأمر المشاركة<sup>(50)</sup>.

و من أجل الاستجابة لماهيته كتنظيم مكلف بتوجيه وتنسيق وتحفيز المبادرات سواء العمومية أو الخاصة قام المكتب الصناعي الإفريقي بالاشتراك مع مصالح الميترابول والدول الإفريقية في تطوير المناطق الصحراوية وتشجيع عقد اتفاقيات بحث عن ثروات الأقاليم الصحراوية، فمنذ سنة 1953 تركزت اهتماماته حول مهمتين أساسيتين، من جهة قام بجرد ثروات الصحراء التي استهلكت 10/9 من القروض التي بلغت من 01 أكتوبر 1953 إلى 31 ديسمبر 1954 مليار فرنك فرنسي و سنة 1955 بلغت 1.2 مليار فرنك و وصلت سنة 1956 إلى 1.3 مليار فرنك، ومن جهة أخرى تولى سلطات المجالس المختصة في مختلف المشاريع المتعلقة بالأنظمة الاقتصادية والمالية، والجباية ومنح الشركات التي تقبل المساهمة في تثمين الصحراء، فرص استغلال ثروات الصحراء<sup>(51)</sup>.

وقّع المكتب الصناعي الإفريقي على 27 اتفاقية للأبحاث والأشغال خلال سنوات 1954-1955-1956، منها 18 اتفاقية في سنة 1954 مع مختلف المؤسسات والشركات كمكتب الأبحاث البترولي BRP، والشركة العامة للجي وفيزياء، وأربع اتفاقيات في سنة 1956 وساهم في رأسمال سبع شركات وأقام علاقات مع خمسة تنظيمات بتعيين ممثليه في مجالسها الإدارية<sup>(52)</sup>، وقام خلال ثلاث سنوات بعمليات وصلت قيمتها إلى 03 مليار فرنك وانفق 2 مليار كما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (2) <sup>(53)</sup>: نفقات المكتب الصناعي الإفريقي (مليون فرنك)

إتاوة بترولية	ميزانية فرنسية	
473	921	1954
694	1244	1955
827	825	1956
2992	1992	المجموع

وتتعلق هذه العمليات أساس بالأبحاث المنجمية والدراسات الصناعية والاقتصادية وأشغال البنى التحتية:

جدول رقم(3) <sup>(54)</sup>: نسبة الدفع في مختلف العمليات

نسبة الدفع و التسديد			
١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	
٦٤,٩٤	٧١,٤٦	٨٨,٥٥	الأبحاث المنجمية
١٣,٥٩	١٢,٨٩	٣,٦٤	دراسات صناعية واقتصادية
١٥,١٥	٩,٨٣	٦,٩٠	بنى تحتية
٣,٣٢	٥,٨٢	٠,٧١	مختلفة

إن المقارنة بين السنوات الثلاث تظهر الأهمية التي أخذتها الدراسات الصناعية والاقتصادية والبنى التحتية بينما تقلصت نسبة الأبحاث المنجمية رغم أنها تمثل القسم الأكبر من النفقات بعد سنة 1956 و قد يفسر هذا التقلص بعدم القدرة تحقق الأبحاث المنجمية من سهولة الوصول إلى الثروات المنجمية أو التأكد من قيمة المصاريف و يكن تقسيم هذه النفقات تتم فقط وفق النعيار المالي، لكن أيضا حسب الإطار القانوني الذي حدد نسب النفقات كالاتي <sup>(55)</sup>:

- الشركة..... 57.60 %
- قروض..... 6.27 %
- الدعم ..... 7.53 %
- الأشغال..... 12.43 %
- التوظيفات المالية ..... 6.80 %
- نفقات ذات صبغة عمومية..... 0.41 %
- الفوائد..... 0.41 %

ومن أهم العمليات التي قام بها المكتب الصناعي الإفريقي <sup>(56)</sup>:

- الأبحاث المنجمية بالاشتراك مع:
- مكتب الأبحاث المنجمية الجزائرية 590..... BRMA مليون فرنك

- مكتب الأبحاث البترولية ..... 369 مليون فرنك
- مكتب الأبحاث البترولي المنجمي 115 ..... BRM مليون فرنك.
- شركة الاستكشاف الجزائر 50 ..... CEA مليون فرنك.
- دعم لشركة فحم جنوب وهران ..... 177 مليون فرنك.
- قرض لشركة فحم جنوب وهران ..... 20 مليون فرنك.
- مختلفة ..... 45 مليون فرنك \*
- **الدراسات الصناعية:**
- استغلال حديد تندوف (شركة التنظيم العامة للاستغلال الصناعي) (S.O.G.E.I) 160 مليون فرنك.
- استغلال المنغنيز لقطارة ..... 25 مليون فرنك.
- جبل العنق ..... 9 مليون فرنك.
- **البنى التحتية:**
- شراء التجهيزات والأشغال والدراسات ..... 125 مليون فرنك \*

حضر المكتب الصناعي الإفريقي العديد من المشاريع المتعلقة بالأنظمة الاقتصادية والمالية والجباية التي يمكن أن تستفيد منها المؤسسات المعتمدة، وكانت غاية هذه المشاريع السماح للشركات المختلفة بالمشاركة في تجميع المناطق الصناعية وتنفيذ البرامج المنجزة من قبله والاستفادة من المزايا المختلفة، وتوج نشاط هذا المكتب في 15 ديسمبر 1954 بصدور قرار للمجلس الجزائري الذي منح الامتيازات الجباية للشركات التي ستعتمد، ثم صدر مرسوم 20 مايو 1955 تطبيقا لقانون 02 أفريل 1955 بإعداد نظام جمركي استثنائي يطبق على المؤسسات المعتمدة<sup>(57)</sup>.

كما تدخل المكتب الصناعي الإفريقي بطريقة مباشرة أو تحت صيغة مساهمة الشركات وتمويل الأشغال التي تقوم بها مؤسسات أخرى كمحافظة الطاقة النووية B.U.M.I.F.O.M ومكتب الأبحاث المنجمية للجزائر<sup>(58)</sup>، وساهم المكتب في تأسيس العديد من الشركات مثل شركة التجهيز للهياكل الصحراوية «Selis» وشركة للاستغلال المدني والريفي لمياه الصحراء

«Sodexeur» ومول أبحاث مركز الدراسات والإعلام للمشاكل الإنسانية في المناطق الجافة سواء ما تعلق منها بالأهالي أو بالأوروبيين، وكذلك أشغال شركة تطوير تقنيات الأمطار الصناعية التي كان بإمكانها أن تتحصل على شهادة الكفاءة من خلال تآسي شركات الاستغلال<sup>(59)</sup>. أما بالنسبة لمصادر تمويل المكتب الصناعي الإفريقي فهي متعددة ومتنوعة وتتمثل فيما يلي:

- دعم الدولة أو الجماعات العمومية.
  - تسبيقات خزينة التطور الاقتصادي والاجتماعي.
  - القروض.
  - عائداته من المساهمات في العديد من الشركات.
- وتتضمن نفقات المكتب ما يلي:
- النفقات الإدارية الضرورية لعمله.
  - نفقات المهام والدراسات.
  - دعم تنظيمات البحث العامة أو الخاصة، وكل التنظيمات أو الشركات المساهمة في المهام المحددة في مرسوم 21 مارس 1959.
  - تقديم تسبيقات للمؤسسات العمومية أو الشركات العمومية أو الخاصة أو ذات اقتصاد مختلط، وبصفة عامة كل النفقات التي تدخل في إطار عمل المكتب<sup>(60)</sup>.

#### خاتمة :

لم تكن الصحراء الجزائرية قبل اكتشاف المحروقات تمثل أهمية اقتصادية بالنسبة للإدارة الفرنسية في ظل السياسة العسكرية المطبقة في الجنوب، لكن سرعان ما تغيرت رؤيتها للمنطقة بعد ذلك التي أعطتها بعدا اقتصاديا و استراتيجيا، ليس فقط لفرنسا وحدها، بل لأوروبا بأكملها. فكان من الأهمية بمكان إعادة النظر في الإطار القانوني و النظام الإداري و البعد السياسي لهذه المنطقة الحيوية، و تعزيز ارتباطها الجغرافي بالاتحاد الفرنسي بغية تسهيل عمليات الاستغلال الاقتصادي لتمكين فرنسا من تلبية احتياجاتها الطاقوية وفق منظورها الاستعماري البحث و لعب أدوار ريادية في ظل المتغيرات الدولية السائدة آنذاك.

الهوامش :

- 1-Gouvernement général de l'Algérie. Édité par le service de l'information, imprimerie George Lang, paris, sans date. p 174.
- 2ANOM. FM. 81F. Boite N° 350, Avenir politique et économique du Sahara.
- 3Documentation française, notes et études documentaires N° 2414 20 mai, 1958, paris, le Sahara français en 1958, p03.
- 4Assemblée de l'union Française, N° 155, 1952.
- 5- Documentation française, op.cit., p6.
- \*- ظهر اتجاهان متناقضان بفرنسا، الأول دعا إلى تجميع الأقاليم الصحراوية الفرنسية، والثاني دعا بالإبقاء على الأقسام الإدارية.
- 6 -Documentation française, op.cit., p 6.
- 7 - Assemblée de l'union Française, N° 49, 1953.
- 8 - Documentation française, op.cit, p 7.
- 9 - Idem.
- 10 - Cheyson (Charles), le Sahara dans l'Algérie nouvelle, in problème de l'Algérie indépendante tiers monde, numéro hors série, puf, Paris, 1963, pp 146.150.
- 11 J.O.R.F, N° 135 11 Juin 1960 décret N° 60- 537 du 10 Juin 1960.
- 12 Journal l'économie, N° 596, journal d'information industrielles, financières et agricole du monde entier, 181957/07/.
- 13 Ibid.
- 14 J.O.R.F N° : 183, 08 Aout 1957, décret N° 577 ,993- Aout 1957.
- 15- J.O.R.F, N° 175, 05 Novembre 1957, décret N° 57- 196, 4 Aout 1957.
- 16- ANOM.FM. 81F. Boite N° 350, Avenir politique et économique du Sahara.
- 17- Ibid.
- 18 la vie Française, N° 17, le Sahara, 15 novembre 1957.
- 19 Ibid.
- 20 Le journal l'économie N° 596, op.cit.
- 21 Treyer (Claude), Sahara 19561962-, éditions, les belles lettres, paris ,1990,p84.
- 22 Senat, N° 41, op.cit., p22.
- 23 Ibid., p 24.
- 24 Le journal l'économie, op.cit.
- 25- ANOM. FM. 81F. Boite N° 350, Avenir, op.cit.
- 26 Ibid.
- 27- Ibid.
- 28- ANOM. FM. 81F. Boite N° 350, Avenir, op.cit.
- 29- Senat, N° 303, 2em session ordinaire 19601961-, rapport d'information. p 40.
- 30- ANOM. FM. 81F. Boite N° 350, extrait de la déclaration de monsieur Olivier Guichard délégué générale de l'OCRS au monde.



- 31- ANOM. FM. 81F. Boite N° 350, élément de réflexion sur le pétrole saharien.
- 32- J.O.R.F. N° 143, 22 Juin 1957, article 1 du décret N° 57713- du 21 Juin 1957.
- 33- J.O.R.F. N° 86, 12 Avril 1958, décret N° 5811 .398,30- Avril 1958.
- 34- J.O.R.F. N° 143, 221957 06--, op.cit.
- 35- J.O.R.F. N° 256, 34- Novembre 1957, décret N° 57196-1-, du 4 Novembre 1957.
- 36- ANOM.FM.81F. Boite N° 350, élément, op.cit.
- 37- Thomas (Marc- Robert), *Sahara et communauté*, puf, paris, 1960,p 219.
- 38- Documentations Française N° 2414, op.cit, p03.
- 39- Ibid., p 04.
- 40- Documentations Française N° 2414, p 05.
- 41- Ibid, p06.
- 42-Ibid. p 7.
- 43- Treyer (Claude), op.cit, p 87.
- 44- ANOM.FM.81F. Boite N° 2070, Sahara transport des attributions de l'administration financières algériennes.
- 45- Journal l'économie N°596, op.cit, p 66.
- \*جرت العادة منذ 28 جانفي 1953 بترك رؤساء المجلس سلطتهم على المكتب الصناعي الإفريقي إلى أحد أعضاء الحكومة (وزير الدولة كاتب الدولة لدى رئاسة المجلس، أو وزير منتدب لدى رئاسة المجلس.
- 46 Documentations Française N° 2414, op.cit. p 10.
- 47- J.O.R.F. N°309, 28 décembre 1952, décret N° 5229 ,431- décembre 1952.
- 48- Documentation Française, op.cit, p 11.
- \* في 12 أكتوبر 1953، 22 ديسمبر 1953، 30 أبريل 1954، 17 سبتمبر 1954، 14 جانفي 1955، 23 جوان 1955، 12 أكتوبر 1955 03 ماي 1956 و 18 جوان 1957
- 49- J.O.R.F. N°309, 28 décembre 1952, Article 8 du décret N° 52431- modifie par le décret N°531269- du 22 décembre 1953.
- 50- Documentation Française, op.cit, N° 2414, p 12.
- 51- Revue militaire d'information N° 10, N° 10, novembre 1956.pp 643-.
- 52- Documentation Française N° 2414, op.cit., p 13.
- 53- Ibid. p 14.
- 54- Idem.
- 55- Documentation Française N° 2414, op.cit. p14.
- 56- Ibid. p 15.
- الشركة المغربية للاستغلال المنجمي، شركة مناجم أدرار، الشركة المنجمية للأطلس الغربي\*
- 57- Documentation Française, N° 2414, op.cit., p 16.
- 58- Senat N° 10, op.cit., p 20.
- 59- Ibid. p 21.
- 60- J.O.R.F.N° 260, 08 Novembre 1959, décret N° 591281- du 06 Novembre 1959, relatif à l'organisation du BIA, Article 2.



## صراع جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية بعد انطلاق الثورة.

د.محمد بكار/جامعة حسيبة بن بوعلي/الشلف.

لقد مرت الحركة الاستقلالية الجزائرية بعدة أطوار ومراحل خلال مسيرتها النضالية منذ تأسيس نجم شمال إفريقيا عام 1926، واستطاعت الحركة الاحتفاظ بمصالي الحاج لفترة فاقت العقدين على رأس الحزب لتظهر حرب الزعامات من أجل التموقع على هرم الحركة بعد الحرب العالمية الثانية لعدة اعتبارات موضوعية بالإضافة إلى الأمل في تسيير ديمقراطي يخدم المناضلين ومستقبل الحركة ككل، إلا أن النعرات الشخصية لعبت دورا كبيرا في تشكيل العصب داخل صفوف الحزب مما أدى إلى تفككه لما عصفت به أول عاصفة عام 1950 إثر اكتشاف المنظمة الخاصة واعتقال جل المناضلين النشطاء لهذا التنظيم العسكري قبل الثورة.

ومن المفارقات أن الحزب الاستقلالي المتمثل في حزب الشعب ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية قد ترك قاداته جذور الأزمة تستأصل دون القيام بتشخيص الأخطاء المرتكبة ودراسة الهفوات ما بين 1936 و1945 وذلك في مؤتمر قادر على جمع كواد الحزب ومعاينة المتسببين الذين جرّوا الشعب في دوامة حوادث ماي 1945 الدامية، حيث بقيت أحداثها مجهولة حتى لدى مصالي الحاج الذي اعترف بهذا في مذكراته. ولربما لعبت الظروف التي مرّ بها مصالي بعيدا عن الحزب دورا في ظهور مطامع البعض من المسؤولين في المؤتمر الذي نظم سنة 1947 والذي تمخض عنه بروز كتل داخل صفوف المناضلين مما جعل يحي بوعزيز يحصرها في أربع تكتلات أساسية تكيد لبعضها البعض وهي:

1- الحركة البرلمانية المسيرة من طرف منتخبين غير متفاهمين وغير منضبطين ويتنقلون بين الجزائر وباريس دون علم قيادة الحزب.

2- تكتل الدباغين وبوقادوم ودردور، الذين يسافرون إلى الخارج دون إشعار الحزب.

- 3- تكتل مزغنة وخيضر الذين يعملان بانضباط واتفاق مع الحزب.  
 4- وهناك في مستوى الحزب بلبلّة وخصوصيات بين القيادة والشباب بين البيبيا (القدماء) والأمّيلدي (الشباب)<sup>1</sup>.

وهكذا ازدادت الانقسامات داخل الحزب بتولي الدكتور الأمين دباغين القيادة كرجل ثاني خلال المؤتمر الذي نظمته الحزب بالمرادية (الجزائر) عام 1947، وعول عليه البعض من المناضلين كبودة إلى أن ظهرت الأزمة البربرية عام 1949 التي توغلت في صفوف الحزب في فرنسا أولا لتنتقل إلى الجزائر بعدها. وعين الحسين لحول أمينا عاما للحزب في أواخر عام 1948 وتسلمها رسميا في أول جانفي 1949. وأظهر الميوعة والجمود وعدم التبصر وأحيانا عدم الكفاءة، وفي عهده تم اصطياد قدماء المناضلين وسيطرت الصداقة والجمود والنظام البيروقراطي على حياة الحزب وهيمن على الأمين بعض المثقفين بصفة جذرية الذين أملوا عليه سياستهم وتوجيهاتهم واتضح أنه عديم البصيرة ولا يعرف كيف يرد عندما تداهمه الأحداث<sup>2</sup>.

وقد عزّز هذه الأزمة وجود مصالي الحاج في الإقامة الجبرية ببوزريعة ممّا جعله في وضعية صعبة لا تسمح له بمراقبة ما يجري داخل الحزب من تجاوزات تسبب فيها بعض القياديين خاصة في صفوف اللجنة المركزية للحزب من تعيين في المراكز القيادية أو إقصاء البعض حسب الأهواء. ويمكن القول أن الأحداث تسارعت ليعرف الجناح العسكري لحركة انتصار الحريات الديمقراطية أزمة هو الآخر بعد اكتشاف أمر مناضليه يوم 18 ماس 1950. وظهر في الأفق تصدع الحزب بفعل تشكل عصبتين، فمن الموالين لمصالي داخل اللجنة المركزية: أحمد مزغنة، ومولاي مرباح، وعابد بوحافة، وسليمان أما خصومه وهم: دردور، وبوقادوم، والدباغين، وشوقي مصطفى، وأحمد بودة، وحسين لحول، ودعاة البربريزم: ولد حمودة، وبناي، وأوصديق<sup>3</sup>. وبعد التقرير الذي وجهه مصالي الحاج إلى مؤتمر الحزب الذي دعت إليه اللجنة المركزية في ديسمبر 1953، طالب بالسلطات المطلقة ليسيّر الحزب ويقوم اعوجاجه ولو على بعد 1600 كلم. واستخلص بالإضافة إلى هذا وفي السياق نفسه يحي بوعزيز حين علق على ما حدث بالقول: «وقد يكون محقا فيما ذكره كله أو بعضه. كما سيبقى هو المؤسس والقائد للحركة الوطنية الاستقلالية إلى

غاية 1954 دون منازع ولكن موقفه بعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 غير مبرر وغير معقول ولا يمكن تجاوزه وكشف عن قصر بعد نظره للأحداث والتطورات واتضح أن قطار الحوادث السريع قد تجاوزه وتخطاه فلم يعد يرى الأشياء على حقيقتها أو أن التعصب أعمى بصيرته، فكتب له تلك النهاية غير السعيدة التي تأسف لها كل رفاق دربه ولكنهم لم يستطيعوا أن ينقذوه<sup>4</sup>.

وبعد اندلاع الثورة وتأسيس مصالي الحاج الحركة الوطنية الجزائرية لدعم أطروحتة السياسية المناهضة للثورة، فإنه وضع نهاية لمسار حركة انتصار الحريات الديمقراطية التاريخية، وكوّن جيشاً سماه «جيش الشعب الجزائري»، وأوكل إليه مهمة انتزاع راية الكفاح من جيش التحرير الوطني ليعمل استراتيجياً لمصلحة جيش الاحتلال. وبالنسبة للسلطة الاستعمارية التي تورطت في حرب من أجل الاحتفاظ بمستعمرتي تونس والمغرب، تفاجأت باندلاع ثورة نوفمبر وحاولت الرد بسرعة بتعزيز الإمدادات العسكرية اللوجستية استعداداً للمواجهة. ولغربة الأمور حلت حركة انتصار الحريات الديمقراطية يوم 5 نوفمبر 1954، وأوقفت عدد كبير من مسؤوليها ومناضليها<sup>5</sup>. ولكن تجربة «الجنرال» المصالي الخاسر (بلونيس) قد منيت بالفشل الذريع الساحق رغم المجازر التي قام بها جمع من أتباعه في عدة أنحاء من القطر الجزائري<sup>6</sup>. ومع بداية شهر مارس 1955 تم تأسيس في القاهرة لجنة مسماة «جبهة تحرير الجزائر»، والهدف من هذا التأسيس هو تخليص الجزائر من الهيمنة الخارجية. وتكونت هذه اللجنة من الممثلين للأحزاب الوطنية الجزائرية في القاهرة وهم على التوالي:

- أحمد مزغنة، ممثل جناح المصاليين.
- حسين لحول، قائد الجناح الثاني للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية الذين يطلق عليهم تسمية «المركزيين».
- محمد خيضر، قائد اللجنة الثورية للوحدة والعمل.
- أحمد بن بلة، الذي يعتبر حتى الآن قائد للحركة الثورية ولو من القاهرة.
- الشادلي المكي، ممثل سابق لحزب الشعب بالقاهرة.
- آيت أحمد حسين، ومحمد يزيد، من حزب الشعب، حيث التحق الأول بالقيادة

الخارجية، بينما التحق الثاني بالمركرزين.

- أحمد بيوض، ممثل الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري<sup>7</sup>.

والشيء الملاحظ أن أول من أمضى على الاتفاق هو البشير الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء المسلمين الإصلاحية، وإلى جانبه الشيخ فضيل الورتلاني، ممثل دائم لجمعية العلماء، وعضو منظمة الإخوان المسلمين. ويمكن القول أن هذه اللجنة هي التي عينت وفدا لها لحضور مؤتمر بندونغ الذي أقيم في أندونيسيا يوم 18 أبريل 1955. وحسب ما ورد في التقارير السرية لمصلحة الربط الشمال الإفريقي (S.L.N.A) التي عوضت مركز الاستعلامات والدراسات (C.I.E)، فإن جمعية العلماء المسلمين لم تتوقف عن حشر نفسها وسط الحركات الوطنية الأخرى حتى تلعب الدور المنوط لها والمشاركة في الثورة بالدعم المعنوي والمادي خاصة، أما الحزب الشيوعي الجزائري فقد حاول هو أيضا التقرب من الثورة بعدما بقي في الهامش خاصة بتراجع نتائجه في الانتخابات المنظمة<sup>8</sup>.

بعد نجاح ثورة نوفمبر 1954 داخليا وخارجيا كان لا بد للاستعمار اتخاذ التدابير والبحث عن البدائل للتخفيف من حدة التوتر، لهذا فإن السياسة الفرنسية هي التي أوجدت وشجعت النشاط الانقسامي في الجزائر بقصد تعطيل انتصار حرب التحرير<sup>9</sup>. وانطلاقا من تأويلات البعض أن إشعال فتيل الثورة باسم مصالي كان ليجنب الجزائر طول الفترة الاستعمارية وحتى يشكل هذا ورقة ضاغطة للتعجيل بالمفاوضات الجزائرية-الفرنسية، لكننا اكتشفنا العكس وذلك بعدم اهتمام الاستعمار بمثل هذه القضايا أصلا، فكل ما وجدناه من وثائق وتصريحات وحتى الجرائد الفرنسية إنما تؤكد سكوت السلطة الاستعمارية متعمدة عن ما اقترفته الحركة الوطنية الجزائرية من تجاوزات وخروقات في صفوف من انضموا إلى ثورة نوفمبر لتكريس الفتنة، وحتى مصالي لم يطلق سراحه إلا بعد تولي ديغول رئاسة فرنسا عام 1958، مما فتح باب التأويل وبقيت الاتصالات بين الحكومة الفرنسية والمصاليين مجرد لقاءات غير رسمية تثير الإثارة والتفرقة وبعيدة عن المفاوضات الرسمية لما يخدم الثورة والقضية الوطنية. وتضمنت التقارير السرية بعض نشاطات الحركة الوطنية الجزائرية (M.N.A) التي واصلت نضالها بتوزيع المنشائر التحريضية ضد الاستعمار ومطالبة الشعب الجزائري بدعم جيش التحرير، ففي هذا الشهر وزعت وثيقتين

سريتين<sup>10</sup>، وهذا إنما يفسر ذلك التراجع للحركة التي لم تستطع فرض نفسها بديلة لجهة التحرير الوطني. و يمكن إدراج تصرفها هذا ضمن نطاق النفاق السياسي الذي انتهجته الحركة بعدما أصبحت المصالية محل شبهة وسببا في إثارة الفتنة بعد انطلاق الثورة بدون زعيم وبقيادة جماعية ألزمت مصالي الحاج المغامرة بتاريخه الطويل من أجل الإبقاء على زعامته دون التفكير في الالتحاق بمن خرجوا عن طاعته، لكن هؤلاء نجحوا في جعل الشعب يحتضن ثورته رغم المكائد ونقص الإمكانيات اللوجستية والتنظيمية. وخلال شهر ماي 1955 شهدت مدينة باريس عدّة مشادّات بين جناح جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية خاصة بين المتأثرين بما ينشر من مطبوعات سرية في «العمل الجزائري» التابعة لجبهة التحرير الوطني و«صوت الشعب» التابعة لحركة المصاليين مع تهديد كل جهة للجهة الأخرى، كما حاول بعض العمال من المغتربين الجزائريين الوافدين من فرنسا والمتعاطفين مع جناح حسين لحول الالتحاق بمن التحقوا بجبهة التحرير الوطني<sup>11</sup>. وذكر التقرير السري لمصلحة الربط للشمال الإفريقي (S.L.N.A) في شهر أبريل أن الحركة الوطنية الجزائرية حاولت التواجد بقوة في عمالة قسنطينة، وأن «صوت الشعب» الموزعة في شهر مارس 1954 أشارت أن أبناء مصالي في الأوراس والقبائل يتمسكون جيدا بشعارات الحرية. ومن جهة أخرى عرفت الساحة السياسية تغييرات عدّة وهذا برفض المتشددين والمتطرفين منذ أبريل الامتثال إلى أوامر الحركة الوطنية الجزائرية، وصرحوا أنهم لن يخضعوا إلا لأوامر قائدهم ابن بلة، عضو اللجنة المسؤولة عن جبهة التحرير الوطني<sup>12</sup>. واعتمدت جبهة التحرير على غرار الكفاح المسلح والسياسي على المقاطعة الاقتصادية لضرب اقتصاد المستعمر في الصميم من جهة، ومن جهة أخرى تعبئة الشعب الجزائري حول قضية وطنه وعدالة ثورته، واتخذت جملة من القرارات منها مبادرة ضدّ منع التدخين واستهلاك الكحول ومقاطعة المقاهي ودور السينما. وللوقوف في وجه حركة التحرير الوطني التي بدأت تمارس ضغوطات على المناضلين المناهضين لها، حاول مصالي الحاج التحرك للاحتفاظ بحركته الوطنية الجزائرية بفرض البعض من السلطة. ففي يوم 20 جويلية 1955 وجه برقية للأربعة الكبار المجتمعين بجنيف مطالبا بدراسة القضية الجزائرية ضمن جدول أعمال الاجتماع. ومن جملة ما اقترحه عليهم: تنفيذ وقف إطلاق النار بصفة استعجالية وفتح حوار لإيجاد حل مرضي للقضية الجزائرية<sup>13</sup>.



ومن جهتها وتنفيذا لما جاء في بيان 1 نوفمبر 1954، قام مختلف زعماء جبهة التحرير الوطني اللاجئين بالقاهرة سنة 1955 بتكثيف الجهود وذلك ببعث مذكرات وبرقيات ودعوات إلى رؤساء الحكومات العربية للحصول على مساعدات لدول المغرب العربي من أجل تحقيق الاستقلال الكامل<sup>14</sup>. وهكذا أصبح السباق مفتوحا للنضال السياسي خارج الجزائر من أجل اكتساب تأييد دولي لهذه الحركة أو تلك، لكن الواقع أثبت أن جبهة التحرير الوطني كسبت الرهان لكونها تموقعت في أحسن رواق لربح المعركة الخارجية بالرهان على القاهرة التي وجدت في قادتها كل الدعم والسند المادي والمعنوي وخاصة إمكانية التقرب من السلك الدبلوماسي للتعريف بالثورة واكتساب مؤيدين لها دوليا.

وبمناسبة الاحتفال بذكرى الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، قامت الحركة الوطنية الجزائرية يوم 5 جويلية 1955 بتوزيع منشور تضمن سرد تاريخي للغزو واحتوى على توضيح يبين رفض الجزائريين لسياسة الإلحاق، كما طالبت الحركة من الشعب الجزائري الوقوف متضامنا ومدعما لمحاربي التحرير. ويوم 8 جويلية وزع منشورا ثانيا من قبل الحركة الوطنية المصالية تحت عنوان «حكم على المناضل الجزائري الكبير مصطفى بن بولعيد بالإعدام»، حث عاتب بقوة الحكم الصادر في حق العضو القيادي لجبهة التحرير الوطني وبوشمال أحمد، كما رافق المنشور وجود قصاصة مرافقة تملأ وتمضى ثم تقطع لترسل من قبل القارئ إلى رئيس الجمهورية الفرنسية<sup>15</sup>.

لقد كانت الحركة الوطنية الجزائرية تعلم أنها مستهدفة من قبل الحملة التي باشروها جيش التحرير الوطني، لكنها واصلت سياستها المعادية لفرنسا في فرنسا والجزائر. وقام التنظيم السري للحركة الوطنية الجزائرية «صوت الشعب» بتوجيه نداءات عن طريق البريد إلى بعض الشخصيات السياسية الفرنسية والمسلمة في عمالة قسنطينة<sup>16</sup>. وردا على مناشير جيش التحرير الوطني التي وصفت الحركة الوطنية الجزائرية بالحركة التخريبية التي تسعى جاهدة للقضاء على الثورة، استعمل المصاليون كلمات لاذعة في نشرتهم الموجهة للشعب الجزائري، وطالبوا من السكان الالتحاق بصفوف الحركة والاستجابة إلى مبادرة الزعيم مصالي الذي راسل الرئيس الأمريكي إيزنهاور عبر فيها عن سخطه وتذمره من السلطة الفرنسية في الجزائر، كما نشرت الحركة مذكرة بعنوان «الشباب الفرنسي»

وزعت على شباب المتروبول لتوعيتهم بالقضية الجزائرية<sup>17</sup>.

وعلى غرار الاغتيالات المنظمة من قبل الحركة المصالية في فرنسا ضد جناح جبهة التحرير الوطني، اعترفت الصحافة أخيرا بأن «منظمة مصالي» هي المسؤولة عن حوادث الاغتيالات في الأراضي البلجيكية<sup>18</sup>. ومن جهة أخرى نظمت جبهة التحرير الوطني صفوف فروعها الفتية في فرنسا، وراحت تلاحق نشاط الحركة المصالية كما كان الحال مع مبارك فيلاي أحد المقربين من مصالي الذي سقط متأثرا بأربع طلقات نارية في الظهر يوم 7 أكتوبر 1957 بباريس وتوفي بعد 48 ساعة في مستشفى (Salpêtrière)<sup>19</sup>. وحتى مصالي بنفسه تمكن من النجاة بقليل من محاولة اغتيال دبرت ضده في شهر سبتمبر 1959 في بيته بـ(Chantilly) أين كان تحت الإقامة الجبرية بعد 22 سنة قضاها ما بين السجن داخل الزنزانة والمنفى<sup>20</sup>.

واعترفت تقارير مصلحة الربط للشمال الإفريقي أنّ ثورة بدون هوادة اندلعت بين جبهة التحرير الوطني (أحمد بن بلة- ومحمد بوضياف) والحركة الوطنية الجزائرية (مصالي الحاج). وبعد نشر الطرفان المنشائر التحريضية في شهر أكتوبر 1955، اتضح أن جبهة التحرير الوطني تريد الإجابة في الحين وبعنف للرد على الحركة الوطنية الجزائرية. وللعلم أن هذه الأخيرة دخلت في العمل المباشر مع السلطة الاستعمارية وطلبت من جماعاتها اتخاذ كل التدابير لإرغام فرنسا الجلوس على مائدة المفاوضات<sup>12</sup>. وللتذكير فإن قادة جبهة التحرير الوطني عارضوا مبدأ المبادرة الفردية وذلك من أجل السيطرة على قوات جيش التحرير الوطني، وحتى لا يتمكن أي دخيل الاستفادة من الثورة كما كتب أحمد بن بلة. وهكذا ضيعت الحركة المصالية مكانتها نتيجة اختلافها عن جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني من حيث الديناميكية وروح الانضباط التي تميز بهما قادة أول نوفمبر 1954<sup>22</sup>. وعرفت هذه الفترة محاولة جبهة التحرير الوطني فتح قيادة للمقاومة في شمال المغرب الأقصى لتكون جبهة للانتشار في جبال الريف المطللة على الحدود الجزائرية-المغربية، كما أصدرت العدد الأول من مجلة «المقاومة الجزائرية» يوم 22 أكتوبر 1955 ووزع في سرية خلال شهر نوفمبر<sup>23</sup>. ومن جهته حاول شيخ الإصلاحيين عباس بن شيخ حسين خلال مهمته بالقاهرة منذ 25 أكتوبر، إقناع البشير الإبراهيمي

بالابتعاد عن الحركة الوطنية الجزائرية «المصالية» والالتحاق بجهة التحرير الوطني.<sup>24</sup>

لقد تطرقت الصحافة الفرنسية إلى الصراع بين الجبهة والمصاليين، وشتت حملة دعاية على «المحاربين الميصاليين» الذين سلحتهم فرنسا، كما كشفت عن المحاولات التي يبذلونها من أجل تهدئة الموقف، ورافقت عملية نشر المقالات، نشر صور عديدة لجنود يحملون جنبا إلى جنب العلمين الجزائري والفرنسي تشني على هذا التعاون الأخوي.<sup>25</sup> ودعما للحركة المصالية، واصل أتباعها الظهور في عمالة قسنطينة وعلى رأسهم بلقاسم أرزقي المعروف بلقاسم، وهو الحارس الشخصي السابق لمصالي الحاج الذي أصبح عون ربط للحركة الوطنية الجزائرية. ولتعزيز وجود الحركة داخل الجماهير، طالب المصاليون بمقاطعة الاحتفال بالعيد الكبير الذي اعتبروه يوم حداد تخليدا لأرواح الشهداء الذين سقطوا يوم 20 أوت 1955.<sup>26</sup> واستغلت الحركة الوطنية الجزائرية هذه الأحداث الدامية لتوزع منشورا يومي 22 و23 جويلية بعنوان «قام الاستعمار الفرنسي وبطريقة جبانة بقتل 15000 جزائري لتبرير تطبيق حالة الطوارئ والاستمرار في إبادة الشعب الجزائري».<sup>27</sup> واتفق الجناح المصالي بمدينة «لياج» البلجيكية على القيام بزيارة «الزعيم الوطني» الذي كان تحت وطأة قرار النفي يوم الاحتفال بمولد النبوي الشريف المصادف ليوم 29 أكتوبر القادم.<sup>28</sup>

لقد شكل الجنرال بلونيس فرقته العسكرية وقام بتجنيد المتعاطفين مع الحركة الوطنية الجزائرية منذ منتصف سنة 1955 وكانت مدينة الجزائر منطلقا للعملية. ونتيجة تمكن جبهة التحرير الوطني وبسرعة إقناع المسؤولين عن الحركة الثورية الجديدة بالنوايا الحقيقية من وراء هذا التأسيس، التحق معظمهم بثورة أول نوفمبر مما عزل قائدهم بلونيس الذي اضطر الهروب إلى «البويرة»، أين أصدرت الإدارة العليا أوامرها إلى السيد (كولونا) بالاتصال ببلونيس... وفعلا اتصل به وأبدى ارتياحه بالتعاون معه.<sup>29</sup>

وللإشارة فإن سنة 1957 كانت دامية، حث بلغت فيها عمليات تصفية الحسابات مرحلة لم تبلغها السنوات الأولى للثورة بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية من أجل كسب الرأي العام الجزائري.<sup>30</sup> ومن المؤسف أن عملية «ملوزة» أسالت الكثير من الحبر واستغلتها السلطة الفرنسية لضرب الثورة في العمق بعدما تمكنت فرق

جيش التحرير الوطني من تطويق المنطقة وإبادة سكانها. والمعلوم أن هذه المنطقة لم يصل إليها الجيش الفرنسي إلا يومين بعد الحادثة وتمكن من إحصاء 315 جثة<sup>31</sup>. وأصيب الجنرال بلونيس بالفزع نتيجة ما تعرض إليه سكان «ملوزة» من مجزرة، حيث خسر فيها معظم مسانديه وهو الشيء الذي دفعه إلى مقابلة النقيب الفرنسي كمبيت (Combette) المسئول على المنطقة ليخبره أنه مستعد للاتحاق بالجيش الفرنسي...<sup>32</sup>. كان بلونيس من أشد أعداء الثورة، فقد كان له دور معادي لها بالتنسيق مع الإدارة الاستعمارية في مناطق الولاية الرابعة من البليدة، المدية، الجلفة ثم انتقل إلى مناطق الولاية السادسة بالجنوب بعدما اشتد عليه الخناق من قبل المجاهدين، بعدما تم ذبح ثمانية عشر شخصا من أتباعه يوم 11 مارس 1956، وأربعة أيام بعد ذلك أي يوم 15 مارس 1956 تم ذبح خمسة عشر شخصا آخر من قبل المجاهدين التابعين للمنطقة الثالثة التي كان يقودها كريم بلقاسم<sup>33</sup>. وأمام ضغط الثورة وانتصارها في الميدان، تراجع بلونيس الذي بقي وفيا لزعيمه مصالي إلى غاية تصفيته يوم 2 ماي 1958 من قبل المجاهدين. ويعود منطلق هذه التجربة إلى كون أن الفرنسيين حاولوا تجنيد بلونيس للعمل ضد الثورة، لا سيما ما بين عامي 1954 و1958، وهو تاريخ تصفيته، لكن بقي أنصاره يحاربون الثورة وأتباعها إلى غاية وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962<sup>34</sup>. لقد كانت منافسة التيار المصالي المتمثل في الحركة الوطنية الجزائرية وفية للزعيم الكبير مصالي الحاج، ووقفت الشرطة الفرنسية ضاغطة ومانعة لأي زيادة في عدد المناضلين الذي لم يتجاوز 36 ألف في كل ولاية<sup>35</sup>. وزادت فيدرالية فرنسا التابعة لجبهة التحرير الوطني الأمور تعقيدا بعدما اكتسحت الساحة السياسية في فرنسا، وأثبت جيش التحرير الوطني جدارته في ميدان الحرب ضد الجيش الفرنسي وإدارته الاستعمارية من جهة، وإقناع الشعب بعدالة قضيته وضرورة تجنيده في صفوف الثورة لمواجهة الحركة المصالية ومن اختاروا المولاة للاستعمار من جهة أخرى.

وعموما فإن التقارير الفرنسية أشارت أن أصل الخلاف «النظري» بين مصالي وجبهة التحرير الوطني سببه الخلاف على شروط المفاوضات ولكنه من الواضح أن السبب الوحيد الذي من أجله يطالب مصالي بمائدة مستديرة هو رغبته في العودة إلى طريق رفض أن

بسلكه وأن يتحمل مسؤوليته في البداية<sup>36</sup>. وكلفت هذه الصراعات والاختلافات الكثير من أجل ضمان البقاء على حساب الضحايا الأبرياء وكانت الحرب ضد الحركة الوطنية الجزائرية على وجه التحديد أكثر دموية في فرنسا كما في الجزائر، وكان الحوار الداخلي داخل الجبهة أحيانا قاسيا<sup>37</sup>.

ومن أجل تفويت الفرصة على أعداء الثورة وإفشال مشروع ديجول وسياسته التي لخصها خطابه في قسنطينة عام 1958 تحت ما أطلق عليه بـ«سلم الشجعان»، أسس الجناح الثوري «الحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية» في القاهرة برئاسة فرحات عباس كما نعلم، واستمر الحزب الشيوعي الجزائري يدعم جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة بينما أدان هذا الأخير الحركة الوطنية الجزائرية...<sup>38</sup>. ولم تجرؤ منظمة مصالي على مناهضة الحكومة المؤقتة علنا خوفا من استنكار البلاد الآسيوية الإفريقية لها<sup>39</sup>.

وأخيرا علق المؤرخ الجزائري يحي بوعزيز على طبيعة الصراع بين الإخوة الأعداء داخل الحركة الاستقلالية خاصة موقف الزعيم الذي تخلف عن الركب حين قال: «وقد حان الوقت لعلاج مشاكل هذا الرجل مصالي الحاج وقضايا ومواقفه من قادة الحركة الوطنية الجزائرية الذين يعتبرون كلهم تلاميذ له تخرجوا من مدرسته الوطنية الاستقلالية ولكنهم تمردوا عليه عام 1954 وألحق معهم فيما قاموا به وما فعلوه لأنه بسبب نفيه المستمر وإبعاده عن البلاد أصبح لا يدرك الأشياء على حقيقتها فتجاوزته الزمن وسيبقى مسئولا على مواقفه ما بين 1954 و1962، كما سيبقى قائدا ومؤسسا للحركة الوطنية الجزائرية الاستقلالية<sup>40</sup>.

ونتيجة التناقضات التي عرفتها الحركة الوطنية الاستقلالية ما بعد الحرب العالمية الثانية إثر بروز حرب الزعامات إلى السطح، كان من البديهي أن تمر الثورة بتناقضات أخرى إثر ظهور جناحين سياسيين وعسكريين داخل صفوفها في الداخل والخارج بين الراضين لزعامه مصالي الحاج والموالين لها. وكان لهذا الانشقاق تداعيات حقيقية كادت أن تعصف بالثورة في مهبها لولا عزم القيادة الجماعية لجبهة التحرير الوطني التي تمكنت من تخطي جمع الصعاب والوقوف بالمرصاد للمنشقين سياسيا وعسكريا مما فوت الفرصة على السلطة الاستعمارية وإدارتها على رأسها جاك سوستيل الذي خاب ظنه بعدما فشلت ورقته الراححة لما دعم جناح بلونيس أملا في ربح المعركة بتقاتل الإخوة

الأعداء، لكن كل هذه المحاولات واجهتها جبهة التحرير وجش التحرير الوطني بصرامة وذلك بالتدخل السريع، والتصدي للمآمرات مع انتهاج سياسة التوازن في صفوف القيادة الجماعية، وجعل الشعب يؤيد ثورته بالإقناع تارة وبالضغط تارة أخرى لدفع ما تبقى من المتخاذلين والمترددین الالتحاق بجبهة التحرير الوطني التي أصبحت قبل مضي سنة «الممثل الشرعي للثورة والشعب الجزائري».

### الهوامش:

- 1- يحي بوعزيز، الاتهامات المتبادلة بين ميصالي حاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني (1946-1962)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2003، ص.11.
- 2- المرجع نفسه، ص.15.
- 3- المرجع نفسه، ص.30.
- 4- المرجع نفسه، ص.23.
- 5-Hafid Khatib, 1er Juillet 1956 : L'Accord FLN-PCA, Office des Publications Universitaires, Alger, 1991, p.47.
- 6- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.110.
- 7- A.O. M, GGA, Carton N° 11H/65, Dossier Service des Liaisons Nord-Africaine, Rapport Mensuel d'Information sur L'Activité Musulmane dans Le Département de Constantine, Mois de Mars 1954.
- 8- Ibid.
- 9- يحي بوعزيز، السابق، ص.145.
- 10- A.O.M, GGA, Carton N° 11H/65, op.cit, Mois D'Avril 1955
- 11- Ibid, Mois de Mai 1955.
- 12- Ibid.
- 13- Ibid, Mois de Juillet 1955.
- 14- Ibid, Mois d'Août 1955.
- 15- Ibid, Mois de Juillet 1955.
- 16- Ibid, Mois d'Octobre 1955.
- 17- Ibid.
- 18- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.165.
- 19- Khaled Merzouk, Messali Hadj et ses Compagnons à Tlemcen, Récits et Anecdotes de Son Epoque (1898-1974-), El Dar El Othmania, Algér, 2008, p.239.
- 20- A.O.M, GGA, Carton N° 11H/65, op.cit, Mois de Novembre 1955.
- 21- Ibid.
- 22- Ibid.
- 23- Ibid.
- 2- 4 Khaled Merzouk, op.cit, p.239.

- 25- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.145.  
26- المرجع نفسه، ص.146.
- 27 -Khaled Merzouk, op.cit, p.239.  
-28A.O.M, GGA, Carton N° 11H/65, op.cit, Mois de Juillet 1955.  
29- Ibid, Mois de Septembre 1955.  
30- Ibid.  
-31Patrck Eveno, Jean Planchais, La Guerre D'Algérie, Editions Laphomic, Alger, 1990, p.171.  
-32 Ibid.  
33- Charles-Robert Agéron, Gènes de L'Algérie Algérienne, Editions Bouchène, Paris, 2005, p.590.  
34- الرائد سي لخضر، شاهد على اغتيال الثورة، ط1، دار الحكمة، الجزائر، 1990، ص.8.  
35- Jean-Claude Vatin, L'Algérie Politique Histoire & Société, El-Maarifa, Algér, 2010, p.274.  
36- Patrck Eveno, op.cit, p.169.  
37- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.135-  
38- Hafid Khatib, op.cit, p.108.
- 39- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.173.  
40 -المرجع نفسه، ص.5.

## حركة السلم الفرنسية والثورة الجزائرية (1959-1961)

د. خالد بوهند - جامعة سيدي بلعباس

سننتبع في هذا المقال تطور مواقف التنظيمات النقابية في فرنسا من الثورة التحريرية الجزائرية ، خلال فترة 1959-1961 ، وهو ما عرف إذ ذاك بمبادرة «حركة السلم» ، بناء على ما تناقلته الصحف في فرنسا والجزائر.

لقد تزامن ذلك مع بلوغ الثورة الجزائرية مرحلتها الحاسمة ، ففي الجزائر ، كان لفشل مخططات «ديغول» السياسية والعسكرية والاقتصادية التي أطلقها سنة 1958 ، دورا في لجوء هذا الأخير إلى خيار التفاوض حول تقرير المصير ابتداء من 16 ماي 1959<sup>(1)</sup> ، مما أدى إلى تمرد الجنرالات العاملين بالجزائر في 20 أفريل 1961 ، وتشكيل «منظمة الجيش السري» تحت قيادة الجنرال «صالون» (المسئول المدني والعسكري للجزائر) وبدعم من المعمرين<sup>(2)</sup> ، في محاولة لرد الفعل ضد «جبهة التحرير الوطني» من جهة ، وضد الرأي العام الفرنسي الداعم لسياسة «ديغول» من جهة ثانية.

أما في العالم ، فقد أصبحت القضية الجزائرية تناقش في مجلس الأمن ، كما أنها لقيت دعما واسعا من قبل دول آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا ، واعترفت القوى العظمى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، على غرار الاتحاد السوفيتي ابتداء من 3 أكتوبر 1960<sup>(3)</sup> .

ولمعالجة موضوع الرأي العام داخل فرنسا ممثلا في «حركة السلم» ، كما ورد في عنوان هذا المقال ، سنحاول الإجابة على الأسئلة التالية : ما هي هذه الحركة ؟ ما هي طرقها المستعملة ؟ ثم ما هي دوافعها ؟ وهل كانت قوة ضغط حقيقية وفاعلة على الساحة السياسية في فرنسا ؟



**1- ماهية حركة السلم الفرنسية**

لا ندري بالضبط ، متى تشكلت «حركة السلم الفرنسية» الداعية إلى وقف حرب الجزائر عن طريق التفاوض ، ولا عن قيادتها الحقيقية ، أو عن من كان يقف وراءها ، وكل ما استطعنا جمعه من معلومات ، ورد في الأخبار التي تناقلتها مختلف الصحف الصادرة في فرنسا والجزائر خلال الفترة المدروسة (1959-1961) .

إن حركة السلم الفرنسية ، كانت تنشط بإيعاز من مختلف التنظيمات النقابية في فرنسا ، ويتعلق الأمر «بالكونفدرالية العامة للشغل» ، التي تأسست سنة 1895 ، خلال مؤتمر «ليموج» ، ودعمت باتحادها مع «فيدرالية بورصات العمل» سنة 1902 <sup>(4)</sup> ، أمينها العام (خلال الفترة المدروسة طبعا) هو «بونوا فراشون» بمساعدة «ليون موفي» ، ونقابة «القوة العمالية» ، وهي نقابة فرنسية انشقت عن الأولى (أي الكونفدرالية العامة للشغل) سنة 1947 ، و«الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين» ، التي تأسست سنة 1919 ، و«الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا» ، التي تأسست سنة 1907 (يصنفها البعض على أنها تنظيم يساري) ، و«النقابة الوطنية للمعلمين» ، و«فيدرالية التربية الوطنية» ، و«النقابة الحرة».

إضافة إلى النقابات ، وجدت الأحزاب السياسية ، على غرار «الحزب الاشتراكي الفرنسي» (أو الفرع الفرنسي للأمم المتحدة) ، و«الحزب الاشتراكي المتحد» ، والحزب الشيوعي الفرنسي (أو الفرع الفرنسي للأمم الشيوعية) الذي انبثق عن الحزب الأول (أي الحزب الاشتراكي) خلال مؤتمر تور سنة 1920 <sup>(5)</sup> ، لكن تراجع دور هاته الأحزاب خلال الفترة المدروسة ، فتح الباب أمام التنظيمات النقابية لأخذ زمام المبادرة .

لقد كانت هاته التنظيمات المختلفة تنشط في إطار حركة السلم ، من خلال الدعاية ، وتنظيم التجمعات العامة ، والإضرابات ، فما مدى تأثير ذلك على الرأي العام الفرنسي ؟ وما هو الموقف منها ؟.

**2- نشاط حركة السلم**

كتب «ليون موفي» أمين الكونفدرالية العامة للشغل ، مقالا نشر في جريدة «لو مانيتي»

، أنه خلال أيام 17 و18 و19 ديسمبر من العام 1959 ، زار مئات من المندوبين ، البلديات والدوائر والولايات ، لقد قدموا من المؤسسات ، ومن المدن العمالية ، ومن الأحياء ، ومن المناطق الريفية ، حاملين معهم رسائل موقعة من طرف العشرات أو المئات بل الآلاف ، لتقديمها باسم مبادرة «حركة السلم» ، لوقف الحرب في الجزائر عن طريق المفاوضات<sup>(6)</sup>.

وتحت عنوان :«جمهوريةنا : حرب الدعايات نفذت» ، ورد في جريدة «لوموند» ، ما نصه ، أن جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، قد أكدت على إرادتها في انتزاع استقلال الجزائر ، ولكن بالمقابل اعترفت في النهاية لفرنسيي الجزائر ، المساواة في الحقوق للتسيير المشترك للشؤون الجزائرية ، كما وافقت على شراكة مصغرة تربط الجزائر وفرنسا<sup>(7)</sup>.

ودائما في نفس هذا الإطار ، وتحت عنوان حركة السلم : «تطالب بالشروع في المفاوضات» ، وتزامنا مع تصريحات رئيس الجمهورية الفرنسية أمام الضباط العسكريين ، ثم البلاغ الرسمي الذي نشرته الحكومة بخصوص إرادة السلطات العامة مواصلة الحرب في الجزائر حتى النهاية ، جاعلة من تحقيق الانتصار شرطا أساسيا في التفاوض حول تقرير المصير ، ورد في جريدة «لومانيتي» ، أن النقابات المتحدة الأربعة لعمال الحديد والصلب للسين(الكونفدرالية العامة للشغل) ، قد أكدوا بأن العمال الباريسيين لقطاعهم قد توقفوا عن العمل في 1 فبراير 1960 ، حيث طالبوا التطبيق العادل لحق تقرير المصير في الجزائر ، لأن : « بلادنا مهددة ، وشبابنا يعاني ، وشعبنا يتحمل أعباء وتكاليف هاته الحرب الطويلة...»<sup>(8)</sup>.

ورد بجريدة «الملاحظ الفرنسي» ، أن مقاطعة سواحل الشمال(كوت دي نور) ، هي الأولى التي حققت تجمعا للعمل في اتجاه وقف حرب الجزائر ، وقد ضم هذا التجمع كل النقابات ، كما لقي دعما من جميع أحزاب اليسار الفرنسي ، وهو ينوي تنظيم اجتماعا عاما «بسان بريوك» في القريب العاجل ، تحضره «الكونفدرالية العامة للشغل» ، و«الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين» ، و«القوة العمالية» ، و«فدرالية التربية الوطنية» ، و«النقابة الوطنية للمعلمين» ، و«الحزب الشيوعي» ، و«الحزب الاشتراكي المتحد» ، و«الفرع الفرنسي للأمية العمالية(الحزب الاشتراكي)» ، إضافة إلى فوج مسيحي محلي يسمى «النشاط العمالي»<sup>(9)</sup>.

أمام تدهور القدرة الشرائية للأجراء الفرنسيين ، بسبب حرب الجزائر، رغم ارتفاع وتيرة الإنتاج ، ورغم عدم وجود مؤشر أزمة اقتصادية ، قام أطباء السين بتنظيم إضراب لا محدود ، من جانبها أعطت كونفدرالية نقابات الأطباء ، توجيهات لممثليها عبر القطر الفرنسي ، للتحرك في هذا الاتجاه ، كما أضرب عمال «أستوم» ببلفور لمدة ساعة ، وقام عمال مصنع «بوجو» للسيارات بمدينة «سوشو» ، بإضراب لمدة ساعتين ، وتوقفت حافلات العاصمة باريس عن العمل ، مرة في خط ، ومرة في خط آخر ، وحذت مؤسسة القطارات حذوها ، كما امتدت الحركة الاضرابية لتشمل الفلاحين أيضا .

لقد بينت هاته الأحداث-حسب جريدة «تيموانياج كريتيان»- : « أننا نتحمل منذ ست سنوات أخطاء السياسة الأحادية الجانب...» ، وأمام ذلك أصدرت الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين ، إعلانا بينت فيه أنها وضعت مخطط عمل يهدف إلى فرض إرادة العمال أمام الرأي العام ، في إيقاف حرب الجزائر لتحقيق حق تقرير المصير، ودعت الكونفدرالية العامة للشغل من جانبها ، إلى المقاومة ضد الحرب في الجزائر ، كما طالب الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، حكومته ، بالتفاوض مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، لوضع حد للمعارك التي يعتبرها «ديغول» بالغير مجدية<sup>(10)</sup> .

ونقلا عن جريدة «لاديباش كوتيديان دالجيري» ، أنه منذ عدة أسابيع ، نهبت المفتشية العامة للشغل في عديد من النواحي ، إلى تدهور مستمر للمناخ الاجتماعي ، وإلى ميلاد حركات مطلبية ، مست القطاعين العام والخاص ، هاته الحركات هي في حقيقة الأمر تعبير عن الحالة النفسية التي تشغل أكثر بال الحكومة ، باعتبار أنها قد تتحول إلى انفجار<sup>(11)</sup> .

استمر الغليان الفرنسي يوما بعد يوم ، وهو ما تؤكد لنا المقالات الصحافية التي رصدت الأحداث المتعلقة بحركة السلم ، ففي «سان-بريوك» نظم تجمع من أجل السلم في الجزائر ، حضره حوالي 400 شخص ، وأشرف عليه القس «سكرابان» ، والاتحادات الإقليمية للكونفدرالية العامة للشغل ، والكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين ، والقوة العمالية ، والفروع الإقليمية للنقابة الوطنية للمعلمين ، وفيدرالية التربية الوطنية ، والنقابة الحرة ، وجمعية قدماء الجزائر ، وفيدراليات الأحزاب التالية : الحزب الشيوعي ، والاشتراكي ،

والاشتراكي المتحد ، والنشاط العمالي ، وتحت رعاية حركة السلم «ليل- وفيلان» ، قام ممثلو مختلف التنظيمات بعقد اجتماع بمدينة «ران» لطرح وجهات نظرهم حول المسألة الجزائرية ، شارك في ذلك كل من الكونفدرالية العامة للشغل ، وفدرالية التربية الوطنية ، والجمعية العامة للطلبة «روني» (الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا) ، وفيدراليات كل من الحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي ، والحزب الاشتراكي المتحد، ولقد اتفق الحاضرون على أن المصلحة العليا للجميع تقتضي إنهاء الحرب في الجزائر<sup>(12)</sup>.

وفي 31 ماي 1960 ، وفي مدينة «تولوز» قامت الجمعية العامة لطلبة تولوز ، والكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين ، والكونفدرالية العامة للشغل ، واللجنة الوطنية للفلاحين الشباب ، وفدرالية التربية الوطنية ، والنقابة العامة للتربية الوطنية ، بتشكيل جبهة نقابية متحدة من أجل خلق حركة وقف العداوة في الجزائر<sup>(13)</sup>. وقد صرح المسئول عن الجمعية العامة للطلبة أمام الصحافة: « نريد أن تعمم هذه المبادرة عبر كل القطر الفرنسي من أجل إقناع الرأي العام باتخاذ موقف من حرب الجزائر »<sup>(14)</sup>.

وفي مدينة «نانت» ، قام ممثلون عن الاتحادات الإقليمية للكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين ، والقوة العمالية ، والكونفدرالية العامة للشغل ، وفدرالية التربية الوطنية ، والنقابة الوطنية للمعلمين (لا لوار أتلونتيك) ، بعقد اجتماع مشترك خرج بتوصيات وقعها الجميع ، تؤكد بأن استمرار حرب بلا مخرج في الجزائر ، يتعارض مع حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها ، زيادة على ذلك الخسائر البشرية والمالية الناجمة عنها ، والتي تمس الحريات الجمهورية والنقابية<sup>(15)</sup>.

وقامت اتحادات «بوش-دي-رون» لكل من الكونفدرالية العامة للشغل ، والكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين ، والنقابة العامة للتربية الوطنية ، وفدرالية التربية الوطنية ، والنقابة الوطنية للمعلمين ، بنشر إعلان مشترك يفضحون فيه : « خطر حرب الجزائر الدائم على الديمقراطية والجمهورية » . هذه التنظيمات النقابية تعارض فكرة الحل العسكري للنزاع وتطالب الحكومة باسم العمال باتخاذ التدابير التي من شأنها أن توقف الحرب في الجزائر والتفاوض مع ممثلين عن جبهة التحرير الوطني حول شروط وقف إطلاق النار ، والتطبيق العادل لحق تقرير المصير ، كما تم تحديده بتاريخ 16 ماي 1959<sup>(16)</sup>.

وحول موقف القيادات النقابية والجامعية من تجنيد الشباب الفرنسي والزج بهم في حرب الجزائر ، كتبت جريدة «لو موند» التالي : « يزج بالشباب في الحرب ، وفي هذه الحرب تنتظرهم الحقيقة ، ومع الحقيقة يتجلى الاضطراب ، والتصلب ، وحتى التدهور ، فمن أزمة الضمير ، إلى التمرد ، خيارات تؤدي إلى عواقب وخيمة »<sup>(17)</sup>.

### 3-الموقف المعارض لحركة السلم

بعد قيام الحكومة الفرنسية بمنع تجمع التعاضدية ، قام مكتب الكونفدرالية العامة للشغل ، بنشر البيان التالي : « يحتج مكتبنا بشدة حيال قيام الحكومة بمنع التجمع الكبير للاتحاد الذي تم تنظيمه من قبل مركز التنسيق من أجل السلم في الجزائر..إن هذا الإجراء التعسفي ، يأتي بعد منع الاجتماع الإعلامي للاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، وهو بمثابة تعد غير مسبوق على حق الاجتماع والتعبير...»<sup>(18)</sup> ، ومن جانبها احتجت الاتحادات النقابية للسین ، ودعت جميع العمال دون استثناء للاتحاد...وللاحتجاج بشدة ضد منع تجمع التعاضدية ، ومن أجل السلم في الجزائر ، واحترام الحريات الديمقراطية ، وحق الاجتماع ، وحرية الصحافة<sup>(19)</sup>.

لقد اقتنعت حركة السلم من أن المفاوضات ، سوف لن تكلل بالنجاح إلا إذا عبر الشعب الفرنسي عن رغبته في ذلك ، لتبديد الضغوطات المتزايدة التي يفرضها المعارضون أو المتشددون<sup>(20)</sup> ، هؤلاء الأخيرين موجودين في الجزائر ، وفي صفوف الجيش الفرنسي ، وفي فرنسا ، ولا يدخرون جهدا في قيامهم بعمليات التخريب أو التخطيط للانقلاب على السلطة<sup>(21)</sup> ، ويشكل كل من : «سوستال» ، و«لاكوست» ، و«بيدولت» ، و«موريس» ، و«بورجاس-مونوري» ، و«فرانسوا فلونتان» ، و«دو لاکوست لاريموندي» ، و«مالتيير» (الكونفدرالية العامة للإطارات) ، و«لافون» (القوة العمالية) ، و«ألبير بايي» ، «حزب الجزائر فرنسية»<sup>(22)</sup>.

كتبت مجلة «أو زيكوت» تقول ، أن التنظيمات النقابية (الكونفدرالية العامة للشغل-الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين-القوة العمالية) ، التي علقت الأمل في أن يعيد «ديغول» السلم في الجزائر ، تأكد لها أن هذا الأخير ، لا يستجيب لمطالبها . الأمر الذي جعل «بلونجر» نائب شيوعي يصرح : « إذا أحل علينا شهر أكتوبر 1960 ولم تتحقق

الآمال ، فإن الدخول الاجتماعي سيكون صعبا ، ومقلقا بالنسبة لثلاثين واليا. وعليه ستكون الكونفدرالية العامة للشغل هذه المرة في مقدمة المعركة . لقد تم إعطاء أوامر من أجل الأخذ بيد الطبقة العاملة ، وفضح تواطؤ ديغول-غي مولي»<sup>(23)</sup>.

ورد في جريدة «لو موند» ، أنه ما زال هناك أطراف متشددة مدنية وعسكرية تعتقد في «جزائر فرنسية» ، وفي هذا الإطار تعمل على خلق البلبلة لمنع مبادرة السلم في الجزائر.. إن النظام الفرنسي يحاول إخفاء حقيقة الوطنية الجزائرية ، وطبيعة حزب جبهة التحرير الوطني ، وكذا تركيبة النظام في فرنسا ، ويزور الواقع ، ويحجب بعض الجرائد أو المقالات التي تقوم بنشر آراء محرجة<sup>(24)</sup> ، ويمتنع عن استقبال التنظيمات النقابية(الكونفدرالية العامة للشغل-الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين-القوة العمالية) في «الاليزيه» ، بحجة أن على هاته التنظيمات أن تهتم بالأمور الاجتماعية والاقتصادية ، ولا تتدخل في الأمور السياسية ، في وقت عجزت فيه الأحزاب السياسية عن لعب دورها المنوط بها<sup>(25)</sup>.

تخبرنا إحدى الصحف الصادرة بالجزائر ، أن مجهولون اقتحموا ليلا مقرات باريس للكونفدرالية العامة للشغل ، و القوة العمالية ، وقاموا بتفتيش المكاتب والخزانات والملفات ، ولم يحملوا معهم سوى النقود<sup>(26)</sup> ، فيا ترى من كان وراء هذا الحادث ؟ هل هي السلطة بعينها ؟ هل هو «حزب الجزائر فرنسية» كما أطلقنا عليه منذ قليل؟ أم مجرد لصوص ؟ ونذهب في التساؤل إلى أبعد من ذلك : هل يعني هذا الحادث رسالة تهديد موجهة للتنظيمين النقابيين للكف عن السير في اتجاه حركة السلم وتقرير المصير في الجزائر عن طريق المفاوضات ؟ .

#### 4-انقسام حركة السلم

سجلت لنا الصحافة الفرنسية في فرنسا والجزائر ، أنه ما بين أواخر شهر سبتمبر 1960 وبداية شهر جويلية 1961 ، عرفت حركة السلم من أجل وقف الحرب في الجزائر عن طريق المفاوضات ، أزمة في نشاطها ، مرادها أساسا ، يعود إلى الانقسام في صفوفها . فما هي أسباب ذلك ؟ .

في 26 سبتمبر 1960 دعا «بونوا فراشون» الأمين العام للكونفدرالية العامة للشغل إلى

تنظيم إضراب من أجل السلم في الجزائر، وصرح بأنه لا بد من فرض الرأي حول التفاوض وتقرير المصير عن طريق التظاهرات والإضرابات<sup>(27)</sup>، ويبدو-حسب جريدة لو موند-أن هاته الدعوة لم تلقى استجابة من بقية التنظيمات النقابية، حيث انتقد عمال التعدين للكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين في مؤتمهم، الكونفدرالية العامة للشغل، وقد رد «بونوا فراشون» (أمين عام هاته الأخيرة)، قائلا: «أن الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين، رفضت تلبية دعوتنا للعمل المشترك من أجل السلم في الجزائر، بحجة أن القضية تناقش في هيئة الأمم المتحدة»<sup>(28)</sup>.

وفي رسالة وجهتها الكونفدرالية العامة للشغل إلى الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا، ذكر مكتب الهيئة الأولى، أنه تفاجأ من المبادرة الأحادية الجانب التي قامت بها نقابة الطلبة لتنظيم تظاهرة خلال نهاية شهر أكتوبر 1960 من أجل السلم في الجزائر، دون استشارة الكونفدرالية العامة للشغل، رغم اتفاق العمل المشترك بين النقابات الفرنسية<sup>(29)</sup> المذكورة سابقا، واختلفت الآراء بين معارض ومؤيد لتظاهرة الطلبة، من بين المعارضين وجد كما ذكرنا الكونفدرالية العامة للشغل، وفيدرالية الطلبة الوطنيين التي اعتبرت الأمر «خيانة»، ولجنة العلاقات الطلابية لفرنسا التي اتهمت مكتب الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا «بالمؤامرة»، أما التأييد فقد جاء من فوج الشبيبة للاتحاد الديمقراطي للشغل (ديغولي-يساري)، ومن فدرالية التربية الوطنية<sup>(30)</sup>.

ورد في جريدة «ليكو دالجي»، أن الفرع النقابي (الكونفدرالية العامة للشغل) لمصنع «ثومسون-هوستون» ببانيو (السين)، قد قرر فصل ثلاثة من أعضائه بتهمة انضمامهم إلى فرقة شبه عسكرية للتصدي لأي محاولة انقلابية فاشستية، ويذكر أمين الفرع أن: «الحقيقة تكمل في قيام هاته الفرقة بتصعيد الاستفزازات من أجل ضرب تنظيمنا ومناضليه في الوقت المناسب...»<sup>(31)</sup>، ويذكر المقال الذي استقيناه منه هاته المعلومات أن هذه الفرقة تشكلت بمبادرة من المقاومين القدامى (للحرب العالمية الثانية)، وأن البعض منهم فقط ينتمي إلى الكونفدرالية العامة للشغل، فهل للأمر علاقة بالسلطة؟ مع العلم أن «ديغول» كان من أكبر المناهضين للفاشية خلال الحرب.

جددت الكونفدرالية العامة للشغل دعوتها للنقابات، من أجل العمل المشترك لتحقيق



السلم في الجزائر ، لكن دون أن تلقى استجابة من نقابة القوة العمالية ، والكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين ، وفيدرالية التربية الوطنية (الحرّة) لنواحي باريس ، ونفس الشيء بالنسبة للطلبة الباريسيين المنخرطين في الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا . من الجدير بالذكر، أن هذا الرّفض جاء بعد توقيع كل من القوة العمالية ، والكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين ، وفدرالية التربية الوطنية ، ومعهم الحزب الاشتراكي ، والرايكاكين ، والديغوليين اليساريين ، لنص لم ترد فيه نقطة تتعلق بالمفاوضات مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، وإنما يتعلق النص فقط بقضية الضمانات الواجب توفيرها للأقليات الأوروبية في الجزائر، حيث ترفضها الكونفدرالية العامة للشغل ، لأنها ليست المسألة الأساسية التي تقود إلى السلم<sup>(32)</sup> .

إن الخلاف الذي نشب بين التنظيمات النقابية في فرنسا لا سيما بين الكونفدرالية العامة للشغل والكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين ، يرجع أيضا إلى التكتيك والهدف النقابي . من جهة أخرى صرح «بونوا فراشون» (الأمين العام للكونفدرالية العامة للشغل) أن : « المسيرين للمركزيات النقابية (الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين-القوة العمالية) يعارضون بشدة الوحدة ويأملون إلى قوة ثالثة يتم من خلالها إقصاء الشيوعيين والكونفدرالية العامة للشغل» .

مهما يكن الأمر ، فإن الخلاف الناشب مراده-حسب جريدة لو جورنال دالجي- : « أن الكونفدرالية العامة للشغل لا تملك برنامجا ، ليس لديها سوى مطالب فورية من شأنها تعبئة كل العمال الغير المؤدلجين لهدف نهائي وهو تحقيق النظام الشيوعي في فرنسا»<sup>(33)</sup> .

إن أسباب الخلاف بين الكونفدرالية العامة للشغل ، والكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين ، أوردتها أيضا جريدة «لو موند» ، لقد نشب الخلاف منذ تصريح 16 سبتمبر 1959<sup>(34)</sup> حول تقرير المصير في الجزائر ، فالنقابة الأولى ، عارضت في بداية الأمر هذا التصريح ، أما النقابة الثانية فقد أيدت ذلك منذ الوهلة الأولى ، إن هذا الخلاف امتد لغاية اتفاقيات «ايفيان» لأن النقابة الأولى كانت ترى بأن المشكل يطرح فقط في اتجاه مساندة مبعوثي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، حيث تتهم الحكومة الفرنسية بالتفاوض دون أن يكون لديها رغبة جادة لاتفاق مرض ، يكون التنازل بموجبه فقط على



الأشياء التي لا يمكن الاحتفاظ بها ، أما النقابة الثانية وعلى الرغم من تخلي بعض مناضليها عنها ، فإنها احتفظت بعناصرها المسلمة بسبب مقاومتها المفتوحة ضد المتشددين ، كما أن العديد من مسؤوليها المحليين ذهبوا ضحية الإعدام<sup>(35)</sup>.

### -خاتمة

من جملة الأسئلة التي طرحناها منذ بداية هذا المقال ، ما هي دوافع حركة السلم الفرنسية ؟ حسب ما ورد من معلومات ، نقول أن الشكل الغالب هو أن الدوافع كانت في الأساس اجتماعية واقتصادية ، لأن المطالب النقابية انصبت حول وقف الحرب الدائرة رحاها في الجزائر بسبب تدهور القدرة الشرائية للأجير الفرنسي ، وإذا اعتبرنا أن للحركة دوافع إنسانية ، فإن التركيز كان منصبا على الشباب الفرنسي المجند ، وكأنه هو الوحيد الذي كان يتلقى الصدمات من هاته الحرب المروعة ، ولا أثر للمجازر المرتكبة في حق الجزائريين ، ولا أثر للحديث عن خرق النظام الفرنسي بصفة عامة للأعراف الدولية ، ولانتهاكه حقوق الإنسان ، من اعتقال وتعذيب ونفي وقهر، فهل يرجع ذلك إلى التعقيم الإعلامي ؟ أو إلى تكتم النظام الفرنسي نفسه ؟ .

أما الدوافع السياسية ، فلم يكن هم النقابيون الفرنسيون من تبني المفاوضات لتقرير المصير في الجزائر ، سوى ما تعلق بمصير الأقلية الأوروبية المتواجدة في الجزائر ، وإنقاذ صورة فرنسا أمام العالم ، فرنسا «الحرية-المساواة-الأخوة» وأمام «الاتحاد السوفيتي» أيضا ، القوة العظمى حامية لميراث «ماركس» ، و«لنين» ، و«ستالين» ، وكذا للتنظيمات العمالية والنقابية ، والأحزاب اليسارية في العالم ، في إطار «الكومنتيرن» .

إن دورنا كمؤرخين من الجيل الجديد ، الذين لم يعيشوا فترة حرب التحرير ، ولا فترة العشرية الأولى للاستقلال ، لا يرمي إطلاقا إلى محاسبة «حركة السلم الفرنسية» ، ما لها وما عليها ، إنما الأمر لا يعدو أن يكون مجرد محاولة متواضعة للبحث عن الحقيقة التاريخية ، ومن ثم تحويل أي شيء إيجابي و مشرق في التاريخ المشترك بين الجزائر وفرنسا إلى مرجعية لترشيد حاضر ومستقبل البلدين في جميع المجالات .

### -الهوامش

- (1)-محمد العربي زيري ، تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1992) . ج2. دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2000 ، ص.ص.181-185.
- (2)-Fernand Carréras, L'accord FLN-OAS (Des négociations secrètes au cessez-le-feu). Robert Laffont , Paris,1967, P.P.1117- .
- (3)-إسماعيل دبش ، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954-1962) . دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2003 ، ص.181.
- (4)-Les Collections de l'Histoire, n=27, avril-juin 2005, P.42.
- (5)-خالد بوهند ، النخب الجزائرية (1892-1942) . رسالة دكتوراه ، جامعة سيدي بلعباس ، قسم التاريخ ، 2010-2011 ، ص.193.
- (6)-L'Humanité, le 041960-01-.
- (7)-Le Monde, le 051960-03-.
- (8)-L'Humanité, le 111960-03-.
- (9)-France Observateur, le 191960-05-.
- (10)-Témoignage Chrétien, le 201960-05-.
- (11)-La Dépêche Quotidienne d'Algérie, le 231960-05-.
- (12)-L'Humanité, le 261960-05-.
- (13)-Le Monde , le 011960-06-.
- (14)-L'Humanité, le 011960-06-.
- (15)-Le Monde, le 031960-06-.
- (16)-Le Monde, le 091960-06-.
- (17)-Le Monde, le 061960-10-.
- (18)-L'Humanité, le 101960-03-.
- (19)-L'Humanité, le 111960-03-.
- (20)-L'Humanité, le 261960-05-.
- (21)-Combat, le 221960-06-.
- (22)-L'Espoir, le 101960-06-.
- (23)-Aux Ecoutes, le 061960-08-.
- (24)-Le Monde, le 061960-10-.
- (25)-Combat, le 171960-10-.
- (26)-La Dépêche Quotidienne d'Algérie, le 221960-10-.
- (27)-Paris Presse, le 271960-09-.
- (28)-Le Monde, le 061960-10-.
- (29)-Le Parisien, le 081960-10-.
- (30)-Le Monde, le 101960-10-.
- (31)-Echo d'Alger, le 261960-11-. Voir aussi : La Dépêche Quotidienne d'Algérie, le 26-1960-11.
- (32)-Le Journal d'Alger, le 021961-02-.

(33)-Le Journal d'Alger, le 061961-06-.

(34)-تركنا التاريخ المذكور دون تغيير، كما ورد في جريدة «لوموند» ، رغم أن الكتابات التاريخية تحدد تاريخ تصريح «ديغول» حول «تقرير المصير» في 16 ماي 1959م.

(35)-Le Monde , le 101961-06-.

## جرائم المنظمة العسكرية السرية الفرنسية بمنطقة سيدي بلعباس 1961-1962

د. داعي محمد جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة

### مقدمة :

إن الإستعمار هو المسؤول عن كل الممارسات الخاطئة و عن كل الجرائم بالجزائر، إذ ان الممارسات لم تظهر إلا لتطبيق الأفكار الإستعمارية، فأخذ الإستعمار الإستيطاني شكلا متطورا ساعد على إبراز كل سوءات الإستعمار التقليدي و جرائمه . (1)

إذ ان الجزائر عاشت أثناء ليها الطويل تحت كابوس أبشع إستعمار إستيطاني عرفه التاريخ(2) .

و إدراكا من السلطة الفرنسية انه بدون فرنسيين و اوروبيين مدنيين يدعمون الجيش الفرنسي لا يمكنها ان تستقر خاصة و ان التجربة الاسبانية في احتلال السواحل الجزائرية ماثله أمامها.(3)

ذلك ما جعل الجنرال « بيجو » يؤكد بقوله : « أن الفتح عملية مؤقتة لا تكسب صفة الدوام إلا بالاستعمار لإقرار العنصر الفرنسي في البلاد المفتوحة ، (4) مؤكدا في 22 فيفري 1849 على أن الغزو بدون الاستيطان سيكون عقيما .(5)

### الاستيطان و الأقلية الأوروبية :

لإنجاح مخططاتها الاستعمارية إستعانت بالعناصر الأوروبية و حرمت الجزائريين من حقوقهم المشروعة ،و حتى تصبح الأمور معلقة على هؤلاء المستوطنين الأجانب باستخدامهم ضد الأغلبية المحلية .(6)

فأصبح الأوروبيون أصحاب الحل و العقد قابضين على زمام الحكم بيد من حديد ، فشيّدوا صرح نظام إجتماعي جديد و صارت السيادة لهم ،إستولوا على الوظائف

العمومية و على المهن الحرة، و احتكروا التجارة و رؤوس الأموال . (7)

بهذه الكيفية حقق الكولون أهدافهم السياسية و احكموا سيطرتهم الكاملة على البلاد و الأهالي و حولوا الجزائر إلى جمهورية صغيرة لهم وحدهم ، فوصلوا الى قمة نفوذهم و سيطرتهم (8) ، و هو ما استمده المؤرخ شارل رويير أجيرون في كتابه تاريخ الجزائر المعاصرة على قول احد منهم : « إنه من الضروري جدا ان يصدر قانون تعلن فيه الجزائر جزء لا يتجزأ من الأرض الفرنسية و على الصحافة و المستوطنين ألا يستريحوا قبل الحصول على هذه الناحية الاساسية . (9)

تجسدت أهدافهم و أصبح بالجهة الغربية ستة دوائر إدارية ( وهران ، مستغانم ، معسكر ، تلمسان ، سيدي بلعباس ، تيهرت ) ضمت كلها 114 بلدية كاملة الصلاحية تغلبت فيها الكثافة السكانية الاوروبية و 20 عشرين بلدية مختلطة يتفوق العنصر المسلم ، الى جانب ستة مراكز بلدية تسير وفق نظام الجماعة أنشأت بين 1937-1945 . (10)

و لتأمين الجهة الغربية ،دفع الادارة الاستعمارية الاهتمام بمنطقة سيدي بلعباس و هو ما يستنتج من خلال رسالة قائد مجموعة وهران « الجنرال لاموريسيار » الذي بعث برسالة الى الحاكم العام يدعوه فيها إلتأسيها ،فيصفها بالموقع الهام كما جاء في نصها : « انها ستكون تدعيما لنا بمقاطعة وهران لانها قريبة من البحر ، سهلة الاتصال ، قريبة من الصحراء لعلنا نتحكم بشكل جيد في المنطقة ، انها حماية إستراتيجية للمعمرين » . (11)

على هذا أصبحت الأقلية الاوروبية اداة الاستعمار المباشر في فرض ديمومة الحكم الارهابي لاقلية اختلفت عن الاغلبية في كل شيء و حتى استحوذها على الموارد الاقتصادية للبلاد و حتى في انفرادها بالحكم و السلطات ، (12) و عليه تكبرت و تجبرت و وجدت متعة في استغلال الاهلي ، لذا تجدها تدافع عن امتيازاتها دفاع المستमित . (13)

فكانت هذه العناصر دائما مثيرة للشعب و الفتى ضد المسلمين لكونهم دون رقابة و لا عقوبات، اعطاهم الشعور بأنهم أصحاب حق طبيعي في تقرير القانون و النظام الذي يسرون عليه ، (14) و هو ما جعلهم يظهرون العداء للجزائريين لانهم وجدوا ميزان القوى لصالحهم . (15)

و عليه عارضوا و بشدة أي تغيير من شأنه ان يزيد من قوة المسلمين و من جانب اخر سيطروا على الاقتصاد و امتلكوا ثروات ضخمة من العقارات و الاراضي الزراعية مما مكنهم من التأثير الفعال في السياسة الفرنسية في الجزائر. (16)

فتحالف كبار الملاك من أصحاب العقارات و أرباب الكروم و الحلفاء مع الرأسماليين الصناعيين و مالكي مناجم الفوسفات و الحديد و آبار البترول ليشكلوا سدا منيعا في وجه اي تغيير سياسي او اقتصادي او اجتماعي . (17) بل يمكن الحديث عن لوبي كولونيالي حقيقي تقف وراءه عائلات اقطاعية كبرى و قوية. (18)

### تنامي التطرف لدى الاقلية الاوروبية

كبقية المناطق خاصة و أنه يقطنها الكولون بكثرة ، عاشت تداعيات ما كان يترتب من أحداث على مستوى العاصمة في إطار ما ظهر من جبهات و حركات سواء جبهة الجزائر الفرنسية ، الجبهة الوطنية الفرنسية الحركة الجزائرية من اجل الصحراء الحركة الشعبية 13 ماي ... و التي كانت لها ممثلون على مستوى المدن فشهدت تطورا ضمن سير الأحداث. (19)

ما ساعدهم فيذلك نفوذهم الكبير في مجلس البرلمان و الشيوخ و الأحزاب و الهيئات و المنظمات السياسية ، فاستطاعوا خلق أزمات وزارية حادة و كان لهم تأثير في السلطة ، وصل بهم عنفهم إلى مواجهة « غي مولي » بتاريخ 6 فيفري 1956 بالطماطم حتى يسير على خطاهم ، إلى غاية أنأتوا بشارل ديغول للسلطة بعد الانقلاب على الجمهورية الرابعة 13 ماي 1958. (20)

سرعان ما حولتهم الأحداث ، فأصبحوا من المعارضين لسياسته فأسسوا لهم الجبهة الوطنية الفرنسية سنة 1957 و التي تحولت إلى جبهة الجزائر الفرنسية فكان لها من المناصرين بالمدن الكبرى والتي ضمت إليها غلاة الكولونو أفراد الشرطة و قدماء المحاربين و رجال الأعمال الفرنسيين ، ساهمت في أسبوع المتاريس جانفي 1960 و عليه أصدرت السلطة الفرنسية قرارا يحلها. (21) و مازاد من تطور الأحداث فشلهم الذريع في مظاهرات معادية للجنرال ديغول بتاريخ 11 ديسمبر 1960. (22)

فنشطت العناصر المتطرفة بالمنطقة الغربية بتكثيف دعايتها المغرضة حتى بدأ يتجلى عنفهم بإطلاق النار من السيارات المسرعة صوب الجزائريين أينما وجدوا ، فانتشرت شارات المنطقة العسكرية السرية على جدران البيوت و المحلات التجارية و الأماكن العامة .(23) بما في ذلك لوحات الإشهار المتواجدة من مخارج المدن و من سيدي بلعباس نفسها .(24)

أشارت جريدة صدى وهران في الكثير من أعدادها لمثل هذه الدعاية ، مثل ما كتبته يوم 09 سبتمبر 1961 عن شارات بمدينة بني صاف التي علقت ليلة 7 الى 8 سبتمبر 1961 .(25) على سطوح العمارات (26) ، و بالعدد الموالي عن مدينة سيدي بلعباس ، علقت شارتين تحملان الاحرف الاولى للمنظمة العسكرية السرية .(27) تواصل نشاطها الدعائي عبر مشروع نغمة « انا فرنسي » في الجهة الغربية عن طريق تأسيس لجان و جمعيات تحث على الاستقلال و الانفصال داعية العمال الذين يرغبون في البقاء فرنسيين مع الدفع بالعمل الإجراميا إلى الانتشار على مستوى جل المدن الغربية منها سيدي بلعباس و البلديات التابعة لها .(28) ركزت المنظمة العسكرية عليها في نشاطها باعتبار أنالكولون مثلوا بها عدد معتبر ، إلى جانب استحواذهم على سهول المكركة لأكثر من 80 % من المساحات المزروعة و لأنها في الوسط للجهة الغربية لمسافات متقاربة بين اكبر وسط سكاني لكل من تلمسان وهران معسكر مستغانم سعيدة ، إلى جانب تواجد جيش اللفييف الأجنبي و رؤسائه المتواطئين.(29)

و عليه أصبح من الواضح أن مجرميها أرادوا إفشال مشروع استقلال الجزائر بجميع الوسائل متمادين في أعمالهم الإجرامية من هدم و إتلاف و حرائق، إلى جانب مطاردة المسلمين رجالا ونساء ، فتمكنت من بسط سطوتها الإرهابية حتى تفقد الأمن .(30) فكثرت انفجاراتها بواسطة قنابل البلاستيك و التي لم تخلوا جريدة صدى وهران و يوميا من الإشارة إلى ذلك و عبر مختلف مدن عمالة وهران بما فيها معسكر ، سيدي بلعباس ، مستغانم ، عين تموشنت ، جلها مس محلات الجزائريين تضررت من خلالها تاركة في ذلك خسائر جد معتبرة في الكثير من الأحيان ،(31)

هو ما أشارت إليه بتاريخ 12 سبتمبر 1961 لانفجارات مست سيدي بلعباس لإحدى

الصيدليات القريبة من المسرح البلدي تاركة خسائر مادية و ثانية بمحل تجاري و بنفس الأسلوب الإجرامي (32) .

لذلك يمكنه القول أن هذه الأعمال الإجرامية المبكرة و التي ما قبل وقف إطلاق النار وضحت أنالمستوطنين المتطرفين راقبوا هذا التطور بداية من ظهور المحادثات قررت خلالها عملية التطهير العرقي داخل الأحياء التي كانت تكثر بها الجالية الأوروبية وبجنون مميت وتخریب أعمى،وهو ما عاشته مدينة سيدي بلعباس التي صدمت أمام هجومات جنود الليف الأجنبي والأقدام السوداء التي اتضح تمسكها بخيار المجابهة من خلال اجتماعاتهم التآمرية التي عقدتها العناصر المتطرفة والتي وصلت في إحداها إلى ستة ليالي وأيام متتالية .(33)

تجسد مخططهم بحرمان الجزائريين الخروج من أحيائهم مثل القرابة،قمبيطة،سيدي الجيلالي،سيدي عمر،حي الريح،سيدي ياسين وغيرها من الأحياء الشعبية،حتى أن هذا الحصار تواصل ولفترات متقطعة في الكثير منها كان لمدة أطول ما بين سنتي 1961 حتى جوان 1962،أفقد السكان الكثير من المواد الإستهلاكية الأساسية مثل الدقيق، السكر، القهوة،وهذا نتيجة لعدم قدرة التجار على جلبها .(34)

وما ساهم في تفاقم الوضع داخل المدينة هي مجموعات الكومندو أو الفرق الخاصة المتكونة من عناصر الليف الأجنبي الفارين إلى جانب الحركة وأبناء المستوطنين،حيث سيطروا على المدينة،بتطبيقهم سياسة الأرض المحروقة قتل،تخطيط،حرق،و تفجيرات لترهيب السكان،عملها الإجرامي،دعايتها المغرضة من كتابات وشعارات كانت من أجل التخويف لا الإقناع السياسي،لم يسلم منها حتى سكان الأرياف القريبة من المدينة عين تموشنت،حمام بوحجر...حيث وزعت بيانات لها تنظر وتحاكم،أثبتت أن دعايتها قائمة على التهديد كوسيلة لتحقيق أهدافها (35) .

تصرفت بطيش وجنون عندما بلغ عناصرها أن الطرفين تواعلا إلى اتفاق مبدئي من خلال محادثات «لي روس» فجئن جنونها وشرعت في نسف الأحياء الشعبية بالأسلحة الثقيلة إلى جانب نسف عمارات الجزائريين بالقنابل الموقوتة بمادة البلاستيك بما فيها الإغتيالات الفردية والجماعية .(36)



وما زاد في طيشها تواطى السلطة الاستعمارية مع متطرفيها فاستعملت مؤسسات عمومية إلى أماكن يتدرب فيها هؤلاء ، وهو ما عاشته ثانوية (لابيرين ) عزة عبد القادر حاليا ،و(لوكلارك) الحواس حاليا ،فتغيب عنها التلاميذ خوفا على أنفسهم ،ذلك ما جعل المدينة تعيش وضعاً إستثنائياً ،قتل للعمال الذين يشتغلون لدى المستوطنين ،حرق المؤسسات الإدارية مثل المحكمة ،إدارة الضرائب التي وصل فيها عدد القتل إلى الأربعين (37). كما سجلت جريدة صدى وهران المقربة من المستوطنين والتي كان يشرف عليها «بيار لافون» أحد مناصري الجزائر الفرنسية وخلال ليلة الجمعة إلى السبت تعرض كشك لبيع الجرائد ملك لجزائري إلى حريق ، وبعدها عبوة بلاستيك انفجرت بعمارة أتت على سيدة تعرضت لجروح (38).

تمكن المتطرفون من الكولون السيطرة على وسط المدينة و جميع الأحياء إلى غاية حدود وهران و تلمسان حتى المدرسة الفلاحية حيث كانوا يقومون بالحواجز المزيقة على الطرق الرئيسية و مخرج المدينة اتجاه وهران و حتى مخرج طريق معسكر لتدخل المدينة تصفية عرقية (39).

فأصبح السكان عرضة للإرهابيين من جنود اللفياف الأجنبي وغلاة المستوطنين الذين واصلوا حملات التفتيش داخل المنازل بالأحياء الشعبية عن طريق الاستفزازات والإهانات، قابلها السكان بتعقل خوفا من حدوث مجازر ، وهو ما شهدته عائلة مكاوي يحي بحي سيدي ياسين التي راح ضحيتها إحدى عشر فردا منها (40) ، ليتضاعف إجرامهم فأصبحت اغتيالاتهم يومية لكل عربي يشاهد في المدينة الأوروبية ،حيث انتظم المتطرفون في مجموعات للقيام بعمليات إجرامية راح من بينها الشهيد مزواربيوعزة الذي انقض عليه المجرمون وهو في الطريق إلى الثانوية ،هما في ذلك قتل الشهيد عطار عبد القادر المعروف بأفكاره الثورية ،والذي أحس بخطرهما فأغلق ورشته المقابلة لمحافظة الشرطة ،لكن المتطرفين ترصدوه وعلى بعد مائة متر من مسكنه وهو على متن دراجته رموه بالرصاص ،لاحقوا كل عنصر فاعل في المدينة كبائع الكتب الشهيد مولسهول بن عمر ، اقتحم محله ثلاثة متطرفين مع بقاء واحد منهم أمام الباب ،لتسمع بعدها طلقتين ناريتين أردته قتيلا ، حينها صرحت سيدة مشتركة مع المكتبة «قتل رجل جد لطيف هذا غلق للكتاب».(41)

حرب رهيبة على الجزائريين مست حتى عنصر النساء ومنهم الشهيذة عباسية التي كانت تزاوّل عملها عند أحد المعمرين ،تواصل ليمس عائلة بكاملها في شهر ماي 1962 ممثلة في عائلة زايد يحيى سيدي ياسين والمكونة من ستة أفراد ،اقتحم المجرمين مسكنهم الموجود بعمارة ذات الثلاث غرف واضعين على أوجههم أقنعة مستعينين بأحد الحركة الذي تم التعرف عليه حيث نفذ فيه حكم الإعدام ووجد بمفرغة تقع بجانب سيدي إبراهيم ،وبتاريخ 12 جوان 1962 لم تسلم عائلة التي تقطن حي (الكامبو) بومليك حاليا ،رميا بالرصاص في حق ستة أفراد من عائلتها حجتهم أن أحد أفرادها إلتحق بصفوف الثورة .(42)

وما مر يوم دون أن تقف جريدة صدى وهران على إجرامهم ،وهو ما سجلته بتاريخ 16 فبراير 1962 لعمليات متفرقة مست الكثير من المناطق الغربية ومنها مدينة سيدي بلعباس .(43) حتى القرى والمداشر البعيدة عن التجمعات السكانية للمستوطنين لم تسلم من اعتداءاتهم الإجرامية إذ شهدت قرية (بودانس) القائد بلعري حاليا ،بتاريخ 12 ماي 1962،اعتداء من قوات اللفياف الأجنبي الذين رموا مدنيين بالرصاص على بعد ستة كلم من القرية ،راح ضحيتها ثمانية أفراد .(44)

كما سجلت قرية (مرسي لاكموب) سفيّزف حاليا وبتاريخ 20مارس 1962ومن على متن سيارة تعرض جزائريان لوابل من الرصاص أصيب بجروح بليغة ، كما سجلت جريدة صدى وهران بمدينة سيدي بلعباس مقتل الشهيد يحياوي يوسف مع جرح ثلاثة آخرين معه على إثر رمي بالرصاص من داخل السيارة إنه أسلوب لزرع الخوف والهلع في صفوف الجزائريين .(45)

وبتاريخ 26ماي 1962 ،مجزرة أخرى بقرية سيدي إبراهيم التي تبعد عن مركز المدينة بخمسة عشر كلم ،قتل الكولون فيها أربعة عشر جزائري و جرح خمسة عشر آخر ،كلها من تنفيذ الكولون الذين يقطنون المنطقة (46) .

هؤلاء الغلاة من المستوطنين الذين و مع قرب الاستفتاء أصبحوا يتجمعون في المدن التي تكثّر بها هذه الفئة ملحين على الانفصال و إنهم بصدد إعلان الجمهورية ومابدأت ملامح افقه تتضح بإعلان فرق اللفياف الأجنبي سيدي بلعباس عصيانها حيث أخذت تتدخل

بكل قوة و عنف ضد الجزائريين المدنيين(47).

استثمرت فيهم المنطقة العسكرية السرية للتجنيد و التموين بالسلاح و الذخيرة و العتاد ،و هو ما أدى بالجنرال غاردي القديم في هذا الجيش الاستقرار بمدينة سيدي بلعباس منشق عن السلطة المركزية الفرنسية متعاوناً و منسقا مع الكولونيل « بروديني » للفياف الأجنبي بالمدينة ( 48 ) .

هؤلاء الجنود المرتزقة مارسوا عنفا إجراميا ضد الأحياء العربية بمعية الكولون فحاصروا المدينة و فنبلوا أهلها، سقط الكثير من الجرحى إنه التدمير و الحرق الكامل للمواقع العامة الأملاك الخاصة (49) .

بذلك فرض حضر التجول بالمدينة من الساعة العاشرة ليلا حتى الصباح ،بحيث منع السكان من أي نشاط خاصة منه التجاري حتى أصبح من الصعب نقل أي مريض لتلقي العلاج ،تفضيلا لعلاج بالطريقة التقليدية ( الأعشابأو ما توفره العائلة من أقراص الأسبرين ) ،(50) إنها فترة حرجة و جد خطيرة و حاسمة يعيشها الشعب ما بين وقف القتال إلى غاية إجراء الاستفتاء ،قابلها الشعب بالهدوء و الانضباط (51) إلى جانب إجراءات تمثلت في المراقبة و الحراسة ليلا و نهارا لتحركات هؤلاء المجرمين بالقرع على الأواني و زغاريد النساء تنذر بوجود إرهابيين بالأحياء و هو ما مكنهم من إحباط محاولاتهم الإجرامية ضد السكان (52)



الملحق رقم 01

## الهوامش

- 1- مصطفى طلاس، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، دار الشورى، بيروت الطبعة الأولى، 1982، ص 59.
- 2- محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص 53.
- 3- فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 2005، ص 93.
- 4- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث و المعاصر ( الجزائر، تونس، المغرب الأقصى ) الطبعة السادسة، مكتبة الانجلو معربة 1993، ص 134 ..
- 5- حياة قنون، دور و مكانة الاسبان في ترسيخ الاستعمار الفرنسي في الغرب الجزائري 1830-1900، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة وهران 2003 ص 38 .
- 6- حياة قنون، مرجع سابق، ص 35 .
- 7- فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبوبكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2005، ص 95.
- 8- يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائر 1830-1954 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، دون تاريخ ص/ص: 24-31 .
- 9- شارل رويبر أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر، 1982، ص : 44.
- 10- ابراهيم مهديد، الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900-1962، الجذور الثانية الهوية الوطنية و النشاط السياسي، رسالة نيل درجة دكتوراه، جامعة وهران، 1999، ص : 32 .
- 11- Léon Adoué, la ville de Sidi Bel Abbes histoire légendes ,A. Jourdon, 1884, p.p :239-240
- 12- جريدة المجاهد العدد 110 ليوم 1961/12/11، ص 52 .
- 13- فرحات عباس مصدر سابق ص : 276.
- 14- ناهد إبراهيم الدسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ما بين الحربين (1918-1939) ، منشدة المصارف ،الإسكندرية ، 2001، ص: 16 .
- 15- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة و المجتمع، ترجمة حنفي عيسى عصفور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص : 188.
- 16- ناهد إبراهيم الدسوقي، مرجع سابق، ص : 16 .
- 17- Slimane Chikh , L'Algérie au Armes ou le temps des certitudes ,O.P.V,Alger,1981, p :190
- 18- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي و السياسي 1947-1954، الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص : 206 .
- 19- Radouane Aïmed Tabet , Histoire d'algérie -sidi bel abbes de la colonisation a la guerre de libération en zone 5 , wilaya 518301962- , avec la collaboration de teyebnchari officier de l'A . L .N , Edition , ENAG . Algérie , 1999, p :324
- 20- يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص : 96.
- 21- عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص 300 .
- 22- دحمان تواتي، المنظمة المسلحة السرية في الجزائر، 1961-1962 رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و

- المعاصر، جامعة الجزائر 1999-2000. ص : 88 .  
 23-عمار قليل، مصدر سابق، ص:296.  
 24-الملحق رقم 1
- 25-L'écho d'Oran N° 35199DU 091961-09-, p8  
 26-المتتبع لبعض العمارات القديمة و خاصة تلك التي سكنها المستوطنون حافظت و بقت آثارهم على جدرانها ما بعد الاستقلال و لسنوات متقدمة عينة عن ذلك العمارات المقابلة للمركز الذي تجري فيه عملية التسجيلات للسنوات الاولى جذع مشترك .
- 27-L'écho d'Oran N° 35200DU 101961-09-, p8  
 28-L'écho d'Oran N° 35340 DU 231962-02-, p  
 29- Radouane Aïmed Tabet ,opcit,p :236  
 30- زهير إحدادن ، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962 ، مؤسسة إحدادن للنشر و التوزيع ، الطبعة الاولى ،الجزائر ،2007، ص : 86 .
- 31 -l'écho d'Oran N° 35195 du 051961-09- p :6  
 32-l'écho d'Oran N° 35201 du 121961-09- p :8  
 33- Radouane Aïmed Tabet ,op cit,p :323  
 34- مجلة أضواء التاريخية ،العدد الأول ، سنة 1998 ،الصادرة عن مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس ، ص :16 .
- 35- Radouane Aïmed Tabet ,op cit,p :325  
 36- الخبر اليومي ،العدد 5368 ،الخميس 10 جويلية 2008 ، محمد عباس ،في كواليس التاريخ ،الأقلية الفرنسية سياسة الأرض المحروقة ، ص : 20 .  
 37- مجلة أضواء ،مرجع سابق ص : 17 .
- 38-l'écho d'OranN° 35 308 du 141962/01/15/ p :7  
 39-Radouane Aïmed Tabet ,op cit,p :330  
 40- مجلة أضواء مرجع سابق ،ص 77 .
- 41-Radouane Aïmed Tabet ,op cit,p331  
 42-Radouane Aïmed Tabet ,op cit, p332  
 43-l'écho d'OranN° 35 334 du 161962/12/ p :7  
 44- Radouane Aïmed Tabet ,op cit, p333  
 45- l'écho d'OranN° 35 360 du 221962/03/ p : 8  
 46-l'écho d'OranN° 35 408 du 261962/05/ p : 8
- 47-الجنيدى خليفة وآخرون ،حوار حول الثورة ،المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر 1986 ص: 320.  
 48-الجنيدى خليفة وآخرون ،نفس المرجع ، ص 321.  
 49- Radouane Aïmed Tabet ,opcit, p334  
 50-17- مجلة أضواء ،مرجع سابق ،ص:5017-  
 51-الجنيدى خليفة وآخرون ،نفس المرجع ،ص 320 .  
 52-مجلة أضواء ،مرجع سابق ،ص:17.

## النضال الصامت

غربي محمد - جامعة سيدي بلعباس

### مقدمة

تتبع الكثير من المبدعين الآثار الإبداعية التي خلفها المبدعون خلال الثورة الجزائرية، فاهتموا بالشعر، وافردوا له مصنفات مخصصة لأنه الأكثر تفاعلا مع الثورة. وأولوا اهتماما للقصص والروايات التي ظهرت في تلك الفترة. لكن معظم هؤلاء أهملوا المسرح ومكانته بين هذه الأنماط التعبيرية، سواء كان ذلك بذريعة ندرة النصوص التي كتبت في هذه الحقبة، أو بسبب تشتت هذه النصوص بين المجلات التي كانت تكتب في مختلف الدول العربية التي استقطبت الجزائريين مثل تونس الشقيقة، أو لأن معظم الذين كتبوا هذه النصوص المسرحية ليسوا من رجال المسرح، ولم تكن لهم اهتمامات سابقة بهذا الميدان. وإسهاما منا في التعريف بدور المسرح إبان الثورة التحريرية، ومواكبته لأحداثها. وخلق الثورة لمسرح ثوري عبر بصدق وتلقائية عن طبيعة المرحلة التي عايشها<sup>1</sup>، سأقتصر على تقديم بعض النصوص المسرحية التي كتب حينها، ونشرت خلال هذه الحقبة.

### 1 - النشاط المسرحي قبل الثورة التحريرية:

أ - مسرحية حنبعل<sup>2</sup>: توحى بالظروف التي كان يحياها الشعب الجزائري، المتمثلة في البحث عن زعيم سياسي قوي محنك شجاع ثائر، يقود الشعب، وينقذ البلاد من والعبودية الاستعمارية. فحاول الكاتب أن يسخر الحوادث التاريخية القديمة لهذه الغاية، وذلك بعرضها عرضا معاصرا ينطبق على حال الشعب الجزائري يومئذ. فذلك الخلاف الذي يقع بين زعماء قرطاج - وأرضهم محتلة - فيه إشارة دالة إلى اختلاف الأحزاب السياسية الجزائرية وتطاحناتها فيما بينها، ومن حيث كان ينبغي لها أن تتحد لخوض معركة التحرير. فالأحداث تاريخية حقا، ولكن الكاتب أراد أن يفسرها تفسيرا وطنيا بحتا. وقد وفق في أن يعرض تلك الحوادث التي تشكل موضوع مسرحيته في بساطة ويسر...

فيجعلها وكأنها حدثت بالأمس، أو هي إنما تحدث اليوم»<sup>3</sup>.

أراد مؤلف المسرحية، استلهام الدروس والعبر، واتخاذها «عبرة وذكرى» في الجهاد والتضحية. ومن ثم جاءت المسرحية: «عبارة عن تمجيدات وتقديسات للوطنية والكفاح. وكأن توفيق المدني كان يكتب عن مجاهد جزائري... لذلك اصطنع... جملا وعبارات كثيرة، تفيد انه كان يغري بالثورة ويدعو إليها، ويشرح للشباب الصعوبات التي ستقع لهم وتواجههم حين يعلنون هذه الثورة المنتظرة. «4.

كما أراد المؤلف التلميح إلى الدور السياسي «الذي ينتظر النساء الجزائريات يوم معركة التحرير»<sup>3</sup> وإلى كثير من الجزائريين: «الذين كانوا يومئذ يتخوفون من إضرام نار الحرب على عدو يفوقهم في العدد والعدة، فكانوا يتخذون هذا التفوق المادي علة يتعللون بها في أحاديثهم المشبعة بالخوف والجبن، وتكنة يتكئون عليها في تشييط همة الشعب.... وتذكير النساء الجزائريات بما كانت جداتهن الإفريقيات يصنعن في الماضي. وفي هذا التذكير أيضا إغراء لهن بالتحرك والعمل والمشاركة في الحياة السياسية..»<sup>5</sup>.

**ب - يوغرطا:** تعالج هذه المسرحية موقف الشعب الجزائري من الاحتلال الغاصب، إذ استعان عبد الرحمن ماضوي بالرمز يوغرطا المقاوم للوجود الروماني في بلادهم لأن الشبه واحد: «فالمقاومة وجدت في عهد يوغرطا، وفي عهد الاحتلال الفرنسي نفس الأسلوب التعسفي الذي استعمل تقريبا من طرف الرومان والفرنسيين معا. ونفس الموقف اتخذته الشعب الجزائري من الإحتلالين، وهو موقف المقاومة والصمود.»<sup>7</sup> وقد كان هدف المؤلف من خلال معالجته للأحداث التاريخية في مسرحيته، إيقاظ: «همم الناس للتأهب... الأمل»<sup>8</sup>.

## 2 - المسرح خلال الثورة الجزائرية (النضال الصامت):

**أ - مسرحية التراب:** عاش أبو العيد مرارة سنوات الجمر، وذاق مرارتها، وتجرع ويلاتها. فتأثر بها وتفاعل معها، فرأى أن ييث في الجيل الصاعد حب الوطن، والتحلي بالواجب الوطني. فجاءت مسرحية التراب مرادفة للوطن أو الأرض: «التي ولد فيها الإنسان الجزائري، فأحس وكأنه مربوط إليها بحبال يستعصى على الزمان قطعها.... إن الجزائري لم يكن يكافح من أجل مغانم اجتماعية، ولا من أجل حقوق أهدرت ويريد أن



يسترجعها، وإما من أجل صلة نفسية وتاريخية تربطه إلى هذا الذي أطلق عليه المؤلف «التراب»<sup>9</sup>. ويذهب الدكتور مصايف إلى أن المسرحية تتمحور حول: «تعلق الجزائري بوطنه، وما يستلزمه هذا التعلق من تضحية وكرم وتسامح»<sup>10</sup>.

لقد استمد المؤلف مسرحية «التراب» من أحداث الثورة الجزائرية، لأنها: «تدور حول موقف الشعب الجزائري من الثورة الجزائرية، وبالتالي من القوات الدخيلة الأجنبية التي أبت أن تستقر في الوطن وتتحكم في مصير أبنائه». وتشير أحداثها إلى نهضة الشعب بأكمله ضد الاستعمار الغاصب، سواء كان هؤلاء فتيانا أو فتيات أو أمهات، ضحين بفلذات أكبادهن للتضحية من أجل الوطن. والظاهر أن المسرحية قد غذت المشاعر الوطنية، ودعت الشعب: «إلى الثورة والتحرر من هيمنة الحكم الاستعماري»<sup>11</sup>، والسعي إلى بث حب الوطن، والواجب الوطني في النشء الصاعد، كما أراد أن يساهم كمتقف في عملية تحرير بلاده، وهي الفكرة التي ذهب إليها الدكتور مصايف حين يشرّح موضوع المسرحية فيقول بأنه يدور حول موقف الشعب الجزائري من الثورة الجزائرية، وبالتالي من القوات الدخيلة الأجنبية، التي أبت إلا أن تستقر في الوطن وتتحكم في مصير أبنائه. وهو نفس الرأي الذي رآه الدكتور عبد الله الركيبي حين قال: «في هذه المسرحية

نلتقي بأناس شغلتهم الثورة عن أنفسهم، وأصبحت خبزهم اليومي، ينطلقون منها وينتهون إليها في أحاديثهم ومواقفهم وأمثالهم، وهي صورة تصدق على الشعب الجزائري كله، في هذه الفترة الهامة من حياته. فالفرد في ذلك الوقت كان مشغولا بهذا التغير الذي طرأ في المجتمع، سواء منه ما كان صادقا في الوطنية أو خائنا أو سلبيا يتفرج من بعيد عن الأحداث... أن يندمجوا في الثورة ويتحرروا من الخوف ومن سلاسل الماضي التي شغلت الناس عن واقعهم، فجاءت الثورة وفتحت الباب والسعادة أمام المخلصين من أبنائها، فحققوا وجودهم فيها»<sup>12</sup>. لقد أثارت المسرحية في رأي كثير من النقاد:

- التضحيات الجسام للأُم: «التي كانت عنصرا جدهام في حراسة الثورة واستمراريتها. وعضتها المحن والآلام، لدرجة أنها عادت لا تفكر إلا في الخلاص من الاستعمار. وبما أن الخلاص لم يكن ممكنا إلا بمشاركة الشباب من بينهم ابنها، فقد كان خروج ابنها إلى الجبل، وتعرضه للخطر شيئا ضروريا، بل واجبا تحث على القيام به»<sup>13</sup>.



- ثقة المرأة واعتدادها بنفسها، لأن الثورة حررتها من التبعية المطلقة للرجل.
- تضحية المجاهد بالغالي والنفيس من أجل وطنه، ويظهر ذلك جليا حتى لذا الجرحى الذين تهون جراحهم فداء للجزائر، لأن جراح الجزائر أشد إيلاما.

**ب - مصرع الطغاة<sup>14</sup>:** أستمند موضوع مسرحية مصرع الطغاة من واقع الثورة التحريرية، ويتعرض فيها إلى مرحلة الإعداد للثورة، من خلال جمع الأسلحة وإعداد الشباب للعمل المسلح، ثم انطلاقها، وما تلا ذلك من أحداث، لتحضير الشعب لاحتضان الثورة وتحمل أعبائها.

اعتمد المؤلف أسلوب الرمز، لأن محور المسرحية يدور حول «الوطن والشعب على الخصوص، في صراعه مع الدخيل وثورته عليه»<sup>15</sup> للتدليل على أن مختلف فئات الشعب الجزائري قد شاركوا في الثورة بطرقهم المختلفة. وأراد المؤلف أن يبرز لنا إسهام المثقف في جميع مراحل الثورة، رغم عدم عوزه، و كونه لا بأس به ماديا. ورمز إلى ذلك بالدكتور «أحمد» الذي يمثل الطبقة المثقفة، ينخرط في صفوف المجاهدين الثوار، وييدي استعدادده للالتزام بالخطة الإستراتيجية التي اختطها رفاقه.

اتخذ عبد الله الركيبي، العاصمة مدارا لمسرحيته، لأنها تجمع مختلف الشرائح الاجتماعية التي يجمع بينها هدف واحد هو محاربة الاستعمار الفرنسي، وإجلائه بمختلف الوسائل والإمكانات. وخاصة الشباب الذين طردوا من مقاعد الدراسة، ودفعت بهم الظروف المعيشية الصعبة إلى الإدمان على شرب الخمر. يتمنون أن تحين لهم الفرصة لمواجهة المغتصب وطرده من بلادهم. كما تشير المسرحية أيضا إلى حقيقة أخرى وهي تبرم

الجميع من الأساليب العقيمة التي انتهجتها الأحزاب السياسية: «التي كانت تمارس أسلوب الكفاح اللفظي. وقد صح العزم منهم على أن تحرير الجزائر لن يكون بالكلام والخطب الحماسية، وتقديم المطالب وإنما بقوة السلاح، وكان من بين هؤلاء الدكتور أحمد، وسليم، وصادق، ونصير، وفرح، وحמיד.»<sup>16</sup>.

إن المتأمل في «مسرحية مصرع الطغاة، يمكنه أن يستشف بعدين أساسيين، بعدا واقعا منظورا تجسمه صفوة من الجيل الجديد من أبناء الجزائر الذين كانوا قد رفضوا

الواقع، ونبذوا أساليب آبائهم وطريقتهم في الكفاح السلبي، وانتهجوا أسلوب النضال المسلح، معتمدين على إمكانيات شعبهم وسواعده وحماس أبنائه، وبعداً آخر رمزيا يتمثل في شخصية رحمة التي تجسم بعزمها وإصرارها وعاطفتها الجزائر الجديدة الشابة التي كانت ترى أن لا أمان ولا حب ولا استقرار ولا مشاعر إلا أن يتحرر الوطن، وتطهر الأرض من أرجاس المكتلين، ويرفرف العلم فوق أشلاء الطغاة... فحقق عنادها وحبها ما عجزت عن تحقيقه أجيال وأجيال»<sup>17</sup>.

**ج - مسرحية في المعركة 18:** تجاوزت مسرحية «في المعركة» مرحلة الإعداد للثورة، إلى كتابة تاريخها، لتؤكد على حتمية النصر الذي تغلب على مشاعر المجاهدين، الذين صورهم المؤلف على نحو لا يغلب ولا يقهر. وقد حاول الكاتب تقديم شخصية الطالب «عبد الحميد» الذي كان يتابع دراسته بالمهجر، لكنه كان يعاني من أزمة نفسية تتمثل في الحيرة بين الرغبة الجامحة في الالتحاق بالمجاهدين والجهاد بالبندقية، وبين الجهاد بالقلم، والتفرغ للعلم الذي هاجر من أجله. وقد أسرر بخواطره إلى المجاهد «يوسف» الذي نزل ضيفا عليه، فكان رد يوسف، أن الجهاد بالقلم لا يختلف عن الجهاد بالبندقية<sup>19</sup>.

لقد أغرت هذه المحاولات بعض الكتاب العرب للمشاركة في كتابة مسرحيات تتعاطف مع الجزائريين وثورتهم التحريرية. فاستمد الكاتب الليبي «عبد الله القويري»، أحداث مسرحيته «جميلة» من حادثتين هما اعتقال «جميلة بحيرد» و«جميلة بوعزة». وجميلة المعنية في هذا النص المسرحي: «هي جميلة بوحيدي إحدى بطلات الثورة الجزائرية التي تجاوب مع حادثة اعتقالها الكثير من الكتاب والأدباء، وقد وصفها لنا النص وهي تقبع في إحدى الزنانات بعد إلقاء القبض عليها، وقد جيء بجميلة بوعزة مصفدة في الأغلال لتكون شاهدة عليها وعلى ياسف سعدي لإثبات التهمة عليها»<sup>20</sup>

لقد أراد عبد الله القويري أن يوحى للقارئ، نوعاً جديداً من النضال، ألا وهو:

- النضال الصامت الذي يتمثل في ثبات وعزم وإصرار وعناد جميلة بوعزة، رغم وسائل التعذيب والبطش معها، لتشهد ضد جميلة بوحيدي وياسف سعدي.
- قدرة وقوة الحق على اختراق غيابات السجن، وتبديد ظلمات الباطل والقلوب والنفوس.
- تردد الضمير الفرنسي: «بين الاقتناع بشرعية الكفاح الجزائري، وبين إصراره على

ممارسة سياسة الإرهاب، وتصدع هذا الضمير، وتخطئه بين الوازع الإنساني والواجب المهني المفروض»<sup>21</sup>.

- الدور الإيجابي والفعال للمرأة الجزائرية، سواء كانت زوجة أو أما أو أختا. فجميلة بوحيرد وجميلة بوعزة في مسرحية «جميلة»، وشخصية سلمى في مسرحية «البطلة»، ورحمة في مسرحية «مصرع الطغاة»، وحليمة زوجة مرزوق في مسرحية «الباب الأخير»، كلها تدل على إصرار المرأة الجزائرية على الوقوف إلى جانب أخيها الرجل في الثورة الجزائرية.

#### الهوامش:

1-Hassan Remaoun. L' Algérie histoire. Société et culture. Ouvrage collectif. CASBAH. Edition Alger. 2000. P 218

- 2- أحمد توفيق المدني، حنبعل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1950.
- 3- د، عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ( -1931 1954) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1968، ص 211.
- 4- المرجع نفسه، ص 200.
- 5- المرجع نفسه، ص 209.
- 6- كتبها عبد الرحمن ماضي سنة 1952.
- 7- د. محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 188.
- 8- د. عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص 198.
- 9- د. محمد مصايف، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1931، ص 51.
- 10- د. عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 51.
- 11- المرجع نفسه، ص 230.
- 12- د. عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 234 - 235.
- 13- د. عبد الله ركيبي، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 109.
- 14- عبد الله الركيبي، 1959 بتونس.
- 15- مجلة القبس، ع 06، ماي 1969، ص 24.
- 16- د. صالح الجابري، الثورة الجزائرية من خلال بعض المسرحيات التي نشرت بتونس إبان الثورة، مجلة الثقافة، السنة السادسة عشر، ع 96، نوفمبر - ديسمبر 1980، ص 26.
- 17- المرجع نفسه، ص 27.
- 18- الصالح خرفي، 1957.
- 19- د. صالح الجابري، مرجع سابق، ص 28.
- 20 - المرجع نفسه، ص 31.
- 21- المرجع نفسه، ص 30.

## الجيش النظامي في الجزائر العثمانية من خلال «المجلة الإفريقية»

أ.عبد الجليل رحموني - جامعة ابن خلدون تيارت

=====

تهيد :

إن الهدف الأسمى الذي يسعى إليه أي شعب من شعوب العالم، وفي أي زمن من الأزمنة هو محاولة تأمين رقعته الجغرافية التي يسكنها من التهديدات الخارجية وتعزيزها بتحسينات منيعة، الشيء الذي قام به العثمانيون في الإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني، وذلك بهدف تقوية الأيالة وتعزيز الأمن وتثبيت أركان الدولة العثمانية، ومن هنا جاء موقف المجلة الإفريقية باهتمامها بالجيش النظامي، حيث أن هذا الأخير لعب أدوارا هامة في التطورات السياسية و العسكرية التي عرفتھا الدولة العثمانية، وسنحاول في هذا المقال التركيز على النشاط البارز الذي لعبه رياس البحر و الإنكشارية على حدا سواء، وهذا انطلاقا مما خطته أقلام كتاب المجلة الإفريقية.

### أولا: المجلة الإفريقية والجيش البحري (رياس البحر)

لقد شكّل الجيش البحري طيلة القرون الثلاثة تهديداً دائماً لكل مُرتادي البحر الأبيض المتوسط بما يسمى القرصنة (الجهاد البحري)،<sup>(1)</sup> و لعل من المفيد أن نشير إلى أن الجيش البحري العثماني كان سيد البحر الأبيض المتوسط بصفة مطلقة دون منازع،<sup>(2)</sup> مما جعل المسيحيين يهابون هذه الإيالة، ولعل هذا ما دفعهم إلى الظفر والسعي للقضاء على هذا الأسطول،<sup>(3)</sup> لأنه كان يشكل تحديا قويا وحقيقيا لهم، وقد سعت الدول الأوروبية مرات عدة إلى تحطيم قوة الجيش البحري المتمثل في الأسطول، لكن الإيالة لم تكن تبدي أي اهتمام لتلك المؤامرات والتحالفات، فالأسطول كان بمقدوره القيام بعمليات عسكرية ليس على مستوى البحر الأبيض المتوسط، وإنما إلى غاية المحيط الأطلسي مما دفع بالمسيحيين إلى التعجيل بإنهاء هذا الأسطول.<sup>(4)</sup>

وترجع قوة هذا الأسطول إلى الموقع الجغرافي الذي تتمتع به الإيالة هذا من ناحية، وإلى طبيعة السواحل البحرية التي تتحكم في الحوض الغربي للبحر المتوسط من ناحية أخرى على مسافة قدرها 1200 كلم، وبذلك استحققت الإيالة لقب « الجزائر المحروسة»، وربما هذا ما جعلها أن تكون محط أنظار وصراع دائمين.<sup>(5)</sup>

ومما تجدر الإشارة إلى ذكره أن رياس البحر والجند قد تداولوا على منصب الحاكم إلى أواخر القرن 17م، وعلى الرغم من انشغال الرياس بأمور البحر فإن تأثيرهم بقي مستمرا طوال العهد العثماني لما كانوا يوفرونه من أموال لخزينة الدولة.<sup>(6)</sup>

كان الرياس في بداية الوجود العثماني في الجزائر من الأتراك العثمانيين، لكن مع مرور الزمن أصبح معظم هؤلاء الرياس من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، وبذلك تمكن الإنكشارية والأندلسيون وحتى السكان المحليين من المشاركة في طواقم السفن لكنهم لم يكونوا يتقاضون رواتب شهرية بل اكتفوا بأخذ حصصهم من الغنائم، والجدير بالذكر أن البحرية الجزائرية قد عرفت تنظيماً محكماً من حيث انضباط رجالها وتنظيمها الإداري، وكان وكيل الحرج هو المسؤول الأول على البحر لذلك أُعطيت له صلاحيات واسعة،<sup>(7)</sup> ويعتبر القبطان من أبرز ضباط البحرية فهو القائد العام للأسطول عند خروجه إلى البحر،<sup>(8)</sup> ولم يكن يسمح للرياس الخروج إلى البحر إلا بعد أخذ الإذن من الداى حيث يقوم هذا الأخير بتشكيل فريق يحتوي على عدد كبير من البحارة منهم طاقم القيادة وقائد السفينة والنجار والحارس.

أما الفريق الثاني فيتكون من رئيس الغنائم و«باش طوبجي» و«الكاتب» وغيرهم،<sup>(9)</sup> ولكن عندما ظهر البحارة المشاركة في وسط وغرب البحر، حدثت تطورات جديدة على مستوى البحرية، ذلك أن هؤلاء الرجال قد جاؤوا بسفن أكبر حجماً وزوارق ذات عشرة إلى ستة عشر مقعداً للتجديف، وكانت أكثر تسليحاً، كما كانوا أفضل تدريباً على فنون الحرب البحرية،<sup>(10)</sup> وهذا ما أهلهم للقيام بعمليات و غارات حربية بحرية مثل تلك التي قام بها «الرايس حميد» على سفينة حربية برتغالية مسلحة بـ 44 مدفعاً، وعلى متنها 282 راكباً تم أسرهم من طرف الرايس حميدو.<sup>(11)</sup>

يعتبر البحارة هم العمود الفقري لطاقم السفينة، و يتراوح عددهم من سفينة إلى أخرى حوالي 500 بحارا، وقد يرتفع هذا العدد إلى 3000 رجلاً وهذا عند الضرورة،<sup>(12)</sup> ويخبرنا الإداري دوفوليكس «A. Devoulx» عن القطع الحربية التي كان يملكها الأسطول سنة 1743 فقد قدر عددها بـ أربعة سفن من نوع شباك «Chbbecs»، وسفینتين من النوع الحجم الكبير، إلا أنه يوجد تقديرا حول تعداد السفن الحربية التي تشكل الأسطول البحري ما بين سنتي 1740-1742 تفيد بأن تعدادها كان يتشكل من 18 قطعة حربية موزعة كآتي:

سفن تحمل من 4 إلى 40 مدفعاً، وسفن أخرى تحمل ما بين مدفعين إلى 24 مدفعاً، كما كانت هناك في تلك الفترة 4 سفن في طور البناء تحتوي على حوالي 40 مدفعاً، وأخرى ذات 24 مدفعاً،<sup>(13)</sup> ويخبرنا جون ب وولف بقوله: «إنَّ السفن ذات الطاقم من 20 إلى 40 مدفعاً كانت تحمل من 300 إلى 450 رجلاً وأحيانا أكثر من ذلك، كما كانت السفن تحمل عادة عددا كبيرا من الرجال القادرين على قيادة سفينة مأسورة والرجوع بها إلى الجزائر، بالإضافة إلى بحارة آخرين للمساعدة على إدارة مثل هذه السفن.<sup>(14)</sup>

هكذا كان رياس البحر هم المهيمنون على النشاط البحري مُنذ العهد الأول من تأسيس الإيالة و الاستحواذ على مداخيل الغنائم،<sup>(15)</sup> وفي الجدول التالي نلخص تعداد السفن الحربية وفق ما أفاد به دوفوليكس «A. Devoulx» ومصادر أخرى من سنة 1750 إلى 1809:<sup>(16)</sup>

الرقم	السنة	إحصائيات دوفوليكس	إحصائيات أخرى
01	1750	12 سفينة	19 سفينة
02	1752	8 سفن	22 سفينة
03	1754	22 سفينة	29 سفينة
04	1755	21 سفينة	25 سفينة
05	1789	12 سفينة	22 سفينة
06	1802	20 سفينة	30 سفينة
07	1809	8 سفن	21 سفينة

وقد ذكر جون ب وولف أن البحارة الأوائل أمثال عروج وخير الدين قادوا أساطيل مؤلفة من عشرة إلى خمسة وعشرين سفينة من نوع الغلياطة، والإبريق، والزوارق، وكانت هذه السفن تغطي جزءا عريضا من البحر وهذا ما مكنهم من اعتراض طريق أي سفينة قد تحاول الهروب من شباكهم.<sup>(17)</sup>

منذ بداية القرن 17م طرأ تطورا كبيرا على الجيش البحري الجزائري مما أدى إلى رفع قوتها النارية بحيث أصبحت الشبيكات تصل أسلحتها من 20 إلى 40 مدفعاً، وفي سنة 1657 كان الأسطول الجزائري يمتلك سفناً تتراوح أسلحتها ما بين 30 إلى 50 مدفعاً.<sup>(18)</sup>

والجدير بالذكر فإن البحرية الجزائرية كانت عبارة عن مشروعاً خاصاً في معظم تاريخها، ذلك أن السفن كانت مملوكة من قبل الرياس باعتبارهم منظمة من مُلاكي السفن، فكان الرياس هم المسؤولين عن السفن في البحر.<sup>(19)</sup>

وتفيد إحصائيات أخرى قام دوفوليكس «A. Devoulx» بتقديمها ونشرها في المجلة الإفريقية أن السفن الحربية للأسطول الجزائري من سنة 1724 إلى غاية 1830 كانت على النحو الآتي:<sup>(20)</sup>

الرقم	السنة	عدد السفن الحربية
01	1724	25 سفينة
02	1734	14 سفينة
03	1760	60 سفينة
04	1799	12 سفينة
05	1815	30 سفينة
06	1822	12 سفينة
07	1825	14 سفينة
08	1830	15 سفينة

والجدير بالملاحظة فإن الداوي محمد بن عثمان اهتم بتنظيم الأسطول البحري، ففي عهده كانت سفن الشباك رمزاً للبحرية نظراً لخفتها وسرعتها، لكن مع نهاية القرن 18م تم استبدالها بنوع آخر يدعى «الشطية» التي امتازت بطولها وخفتها، ويصف دي

بارادي» (V de Paradis) « هذه السفن بقوله: « إِنَّ البحارة الجزائريين لهم أشرعة عريضة، ويقصد هنا سفن الشباك وسفينة بولاكر الشراعية، فهم يفضلون السفن الخفيفة والسريعة» كما هو موضح في الصورة.

لكن مع نهاية القرن 17م بدأ هذا الأسطول في الضعف والتقهقر نتيجة الحملات الأوروبية المتكررة<sup>(21)</sup> فقد مهدوا لذلك بإرسال جواسيسهم للتجسس على هذا الأسطول، وقد استطاعوا هؤلاء الجواسيس كتابة تقارير وافية تتضمن أدق التفاصيل والخطط للقضاء على القرصنة البحرية،<sup>(22)</sup> ففي مطلع القرن 19م عرفت البحرية الجزائرية عدة تحسينات من طرف الرايس حميدو، الذي أعاد تنظيم البحرية الجزائرية، وهذا ما مكّنه من تحقيق عدة انتصارات حاسمة، لكن بمجرد القضاء على نابليون بدأت البحرية في التراجع،<sup>(23)</sup> وما أن حلت سنة 1830 حتى انتهى عهد القرصنة والأسطول البحري الجزائري الذي دام مدة ثلاثة قرون.<sup>(24)</sup>

#### ثانيا: المجلة الإفريقية والجيش البري ( الإنكشارية):

ترجع أصول هذا التنظيم العسكري إلى عهد السلطان العثماني «أورخان» بن عثمان الأول، كان الهدف من إنشاء هذا الجيش هو للحيلولة دون بروز العصية القبلية، أم عن تاريخ تأسيس الإنكشارية في الجزائر وكيفية قدومهم فكان في بدايات القرن 16م مع انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية على يد خير الدين بربروس، فقد ضم الجيش البري في الجزائر عدت أعراق وأجناس أوروبية، أمّا العنصر المحلي فقد كان مستثنى من الانخراط في سلك الإنكشارية.<sup>(25)</sup>

أمّا عن تجنيد هؤلاء الإنكشارية فقد كانوا يجندون من عدة مناطق عثمانية أو من الأقاليم التابعة للإمبراطورية العثمانية في المناطق الأوروبية وغيرها ثم نقلهم إلى إيالة الجزائر لتعزيز قدرة البحارة الجزائريين ثم إرسالهم إلى الثكنات الداخلية تحت إشراف الدايات والأغوات.<sup>(26)</sup>

كان الجندي الإنكشاري بعد قبوله في الجيش تكون جميع نفقاته على عاتق الدولة العثمانية إلى غاية وصوله إلى الإيالة الجزائرية، وبعد وصوله يبقى مدة شهرين دون



أجرة حتى يتم تسجيله في الدفتر، ويُسجل فيه تاريخ وصول الجندي، واسم البلد المنحدر منه ورتبته العسكرية، والثكنة التي سوف يتجه إليها، وكان الجنود تحت إمارة ضابط يسمى «الأودا باشي»، فقد كان الجندي الإنكشاري عند قدومه إلى الجزائر يرتدي قميصاً كبيراً وتمنح له شاشية و حزام وغطاء من الصوف، وكان مقر سُكناهم في الثكنات العسكرية، كما كانت تمنح لهم بندقية ومسدس، وما يثير الانتباه أن البارود كان يشتريه الجندي بماله الخاص.

أما عن أجرة الجندي فكانت تمنح له أجرة كل شهرين قمرين، هذا علاوة على مكافآت أخرى وهذه الأجور تعرف بالجرايات الصغرى لأنها تخص قسماً من الجند فقط أي أولئك المتواجدين في مدينة الجزائر بينما بقية الجيش الموزع على الحاميات عبر أنحاء الإيالة يُضرب لهم موعد سنوي يتقاضى فيه كل جندي أجرته وهذه تعرف بالجرايات الكبرى،<sup>(27)</sup> والتي كانت تتم في فصل الربيع، وتدوم العملية أربعين يوماً وبهذه المناسبة كان يُقام حفل خارج مدينة الجزائر، وتنصب خيمة كبيرة تسمى «أوطاق»، ويشرف على عملية توزيع المرتبات الخزناجي وكبار الموظفين في الإيالة.<sup>(28)</sup>

كان الجندي الواحد يتقاضى 14 موزونة وهو ما يعادل 40 صولا، وكان هذا الراتب يرتفع حسب الأقدمية،<sup>(29)</sup> وتمنح للجندي أجرة إضافية عند خوضه لمعركة حربية أو عند قدوم أو تعيين داي جديد، إلى جانب ما يتقاضاه الجندي الإنكشاري من راتب كل شهرين، كما كانت لهم مصادر أخرى لزيادة ثروتهم المالية، لكن زيادة هذه الثروات قد ارتبطت بالظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية والمالية.<sup>(30)</sup>

والجدير بالملاحظة أن فرق الإنكشارية كانوا يخضعون لنظام صارم داخل الثكنة، ولقد شجعت الدولة العثمانية على إبقاء الجندي الإنكشاري أعزب دون زواج، و منحت امتيازات وإغراءات لمن لا يرغب في الزواج، لكن السؤال المحير هنا هو: لماذا سعت السلطة العثمانية على إبقاء الجندي الإنكشاري أعزب دون زواج ؟

للإجابة على هذا التساؤل ينبغي علينا الرجوع إلى المصادر المحايدة والموضوعية، فالمجلة الإفريقية تعلق هذه الظاهرة بما يلي: حتى لا يترك الجندي وراءه أي عقب قد

يرث أملاكه، وفي هذه الحالة فإن ثرواته تصبح ملكا للسلطة العثمانية.<sup>(31)</sup>

أمّا فيما يخص ثكنات الجنود فقد قدّم لنا دوفوليوكس «A. Devoulx» دراسة قيّمة حول ثكنات الجزائر في الفترة العثمانية، فبالنسبة لنوع البنايات التي شيدت لتمرکز الجنود العسكريين فإنها امتازت بطابع عمراني حسب النمط التركي العثماني،<sup>(32)</sup> فقد كانت هذه الثكنات تتألف من حصن كبير وأروقة تحيط بها تطل بطابقها الأرضي والعلوي عليها بواسطة عقود منكسرة تستند إلى تيجان وأعمدة، وكانت الغرف مظلمة ورطبة في أغلبها ولا رفاهية فيها، وكانت كل غرفة تحت إشراف مسؤول تركي كبير السن يسمى «طبجي» يتمتع بحق الحصانة والعناية التي لا يمكن لأيا كان التعدي عليها.<sup>(33)</sup>

كان الأوجاق ينقسمون إلى عددا من الكتائب أو ما يسمى بـ «الأورطة»، والتي يبلغ عددها في أغلب الأحيان حوالي 424 جنديا،<sup>(34)</sup> أما عن تنظيم الجيش فيخبرنا هنري فدرمان «Henri Federmann» في مقال نشره في المجلة الإفريقية كان تنظيم الجيش يتشكل من 15 سفرة، وتضم السفرة الواحدة مجموعة من الجنود يبلغ عدد أفراد السفرة الواحدة في أغلب الأحيان 16 جنديا، وهو أقصى ما يمكن أن تحتويه هذه السفرة، ولم تكن الثكنة المأوى الوحيد للجنود الإنكشارية بل كانت حتى الخيام من الوسائل المستعملة لدى الجنود أثناء تمرّكزهم خارج العاصمة، وكان يبلغ تعدادهم حوالي 1700 جنديا إنكشاريا.<sup>(35)</sup>

كان الیولداس العزاب أو ما يطلق عليهم «الزبنطوط» يستلمون أربع خبزات ذات وزن رطلين يوميا إضافة إلى الزيت واللحم ويدفع مقابل ذلك ثلث سعر السوق المتداولة، وكان راتب أصغر الیولداس في نهاية القرن 18م حوالي 14موزونة ترتفع هذه الأجرة حسب أقدمية وخبرة الجندي، هذا علاوة على الهبات التي يتقاضاها الجندي عند تعيين داي جديد أو تحقيق انتصارا كبيرا، وكان الراتب يستقر عند إنهاء الخدمة بـ 13 سنة بحيث لن تكون هناك أي زيادة.<sup>(36)</sup>

و باختصار فإن كتاب المجلة الإفريقية قد اختلفوا حول مجموع عدد الثكنات فيذكر هايدوا «Haedo» أن مدينة الجزائر كانت تحتوي على خمس ثكنات إلى جانب ثكنتين

صغيرتين، أما دي بارادي (V de Paradis) « فيحددها ما بين سبعة وثمانية ثكنات عسكرية، أما كاتكارت « Katkart » فيحصرها في ستة ثكنات.<sup>(37)</sup> وأيا كان الأمر فإن الثكنات هي الأماكن المخصصة للإنكشارية، وحسب إحصائيات لويس رين «Louis Rinn» فقد عرفت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني سبعة ثكنات عسكرية توزعت عبر مختلف الأحياء وهي:<sup>(38)</sup>

### ثكنة باب عزون:

قام ببنائها الباشا أبو محمد حسن، وكانت تسمى دار الإنكشارية باب عزون،<sup>(39)</sup> وكانت هذه الثكنة مخصصة للعسكريين غير المتزوجين ونظرا للأجرة الشهرية البسيطة التي كان يتقاضاها الجندي البسيط فإنه كان يضطر إلى ممارسة عمل إضافي، فوجد على سبيل المثال «يحي آغا» كان إسكافيا تدرج في الجندية حتى وصل إلى رتبة خزندار.

والجدير بالذكر فإن هذه الثكنة كانت تحتوي على عُرف قد سميت بأصحابها مثل غرفة قارة إبراهيم، وغرفة دالي عمر، وأخري تسمى بيت الخزناجي، وقد أصبح هؤلاء الجنود من كبار القادة العسكريين في الأيالة.<sup>(40)</sup>

أما عن مدخل هذه الثكنة يقع بأנحاء الغرب، وقد كُتب عليه نص بالعربية، وتربعت هذه الثكنة على مساحة 1560 م<sup>2</sup> يعتمد على حصن مركزي تحيط به أربعة أروقة،<sup>(41)</sup> وقد عُرف جنود هذه الثكنة بشرب الحليب في الفترات التي تقل فيها مواردهم المالية، تدرب في هذه الثكنة عددا كبيرا من الدايات والمسؤولين الكبار في الدولة، ومن أشهرهم إسماعيل بن إسماعيل، وحسن باشا داي الجزائر، ويحي آغا وإبراهيم آغا.

### ثكنة ما قارون:

استمدت هذه الثكنة شهرتها كونها احتضنت العديد من الشخصيات التركية العثمانية التي حكمت الإيالة الجزائرية، ويعتبر العُلاج علي أبرزهم، كان مسيحيا اعتنق الإسلام وتمكن من الارتقاء إلى غاية وصوله منصب الداى (1571-1572)، وهي السنة التي تم فيها بناء هذه الثكنة، وحسب بيربروجر «(Berbrugger)» أن جنود هذه الثكنة كان غذاؤهم الأساسي المقارون ومن ذلك استمدت تسميتها.<sup>(42)</sup>

أما مدخل هذه الثكنة يقع على شارع دائري سمي فيما بعد شارع المقرون، وكانت المنطقة التي فيها هذه الثكنة تسمى قاع السور، وحسب محتوى بعض الوثائق فإن بناء الثكنة المذكورة يعود إلى الباشا العلي، وتباعاً لنظام العسكر الإنكشاري فقد كان الجيش مقسماً إلى وحدات تسمى الأوجاق، كانت كل فرقة تتميز بعددها وقوتها ولها رقم خاص، ونظراً لموقع هذه الثكنة البعيد من وسط المدينة فلم تكن مثار اهتمام الجنود.<sup>(43)</sup>

### ثكنة الخراطين:

أخذت هذه الثكنة اسمها من الحي الذي وُجدت به محلات الخراطين بباب عزون، وتعد هذه الثكنة من أقدم الثكنات الموجودة في الجزائر تم تأسيسها في عهد خير الدين، وتسمى أيضاً بثكنة صالح باشا في الجهة اليمنى وعلي باشا في الجهة اليسرى.<sup>(44)</sup>

كانت بنائاتها مضاعفة لكونها تضم ساحتين محاطتين بأروقة وغُرف فقد كانت أكبر ثكنة في المدينة وأهمها نظراً لوزنها السياسي إذ كانت مصدر ثورات وانقلابات ضد الحُكام، وبذلك كانت تنافس قرينتها الواقعة بباب عزون، ورغم ذكر هذه الثكنة في كثير من العقود الشرعية فإن دوفوليكس «A. Devoulx» لم يتمكن من تحديد تاريخ بنائها، وتشير بعض الأقوال المحلية في عهده إلى أنها تعود إلى زمن الباشا بربروس، وقد جاء في بعض الوثائق ذكر بعض أرقام الأوجاق والغُرف التي كانوا يقيمون بها مثل دار دوران، وبيت الصبايحي وغيرها.<sup>(45)</sup>

### ثكنة الأسطى موسى:

عُرفت بهذا الاسم نسبة إلى أسطى موسى الأندلسي الذي أنجز القنوات لنقل مياه الحامة إلى مدينة الجزائر فكان له غرفة في الثكنة، لأنه كان إنكشارياً، وتقع هذه الثكنة بباب الدزيرة المؤدية إلى الميناء،<sup>(46)</sup> وتختلف آراء كل من بيربروجر «Berbrugger» (A) و دوفوليكس «A. Devoulx» حول هذه الشخصية الأندلسية فيرى الأول أنه قد انخرط في الجيش الإنكشاري وأقام بهذه الثكنة، بينما يرى الثاني أن التسمية جاءت لما قام به من تصميم معماري فقط، وقد كانت هذه الثكنة على يسار الخارج من المدينة من بوابة الجزيرة، ويعود تاريخ بنائها إلى القرن 17م.

## ثكنة الدُّروج:

تقع هذه الثكنة على شارع باب الجزيرة على يمين الخارج من المدينة من بوابة الجزيرة، وكان موقعها مقابل شارع القناصل، وكانت أحدث ثكنة لكنها الأقل أهمية،<sup>(47)</sup> سُميت بهذا الاسم لأن الدخول إليها كان يتطلب صعود دروج، وهي تقع بحي الدواس القريب من باب الجهاد،<sup>(48)</sup> وسماها الفرنسيون بعد ذلك بثكنة القناصل لقربها من الشارع المسمى بالاسم نفسه، ذكر دوفوليكس «A. Devoulx» كعادثه قائمة بأسماء الأوجاق والغرف التي أطلع عليها من الوثائق ومنها: بيت جعفر الصادق، وبيت بابا حسان وغيرها.<sup>(49)</sup>

## الثكنة القديمة:

كان يطلق عليها أيضا دار الإنكشارية القديمة نسبة إلى موقعها الأعلى،<sup>(50)</sup> والجدير بالذكر أن أغلب هذه الثكنات العسكرية كانت تقع داخل أسواق المدينة، أمّا خارجها فشيدت أبراج مجهزة بالمدافع ترابط بها الحاميات العسكرية وحسب بيربروجر «(A) Berbrugger» فإن الثكنات كان يقيم فيها العزاب فقط، أما المتزوجون منهم فكانوا يسكنون مع أفراد عائلتهم في أحياء.<sup>(51)</sup>

وقد سرد دوفوليكس «A. Devoulx» عددا من أسماء الأوجاق الذين كانوا يقيمون في غرف هذه الثكنة وتسميات تلك الغرف منها بيت الحاج علي، وبيت الكواجي، وبيت السطاكولي... إلخ، أخذت هذه الثكنة في العهد الفرنسي اسم ثكنة ميدي.<sup>(52)</sup>

## الثكنة الجديدة:

أطلق عليها «دار الإنكشارية الجديدة» نسبة إلى موقعها أسفل الثكنة السابقة، وقد كانت الثكنتان متباعدتان تفصلهما بنايات على طول شارع ميدي، لكنهما تتصلان في الأعلى، ولا تنفتحان على بعضهما، وقد بناها المعلم موسى الأندلسي، وكان ذلك سنة 1627.

وقد كان عناصر الجيش الإنكشارية الذين يقيمون في هذه الثكنة يدعون برماة القنابل الفضية، وقد وضع دوفوليكس «A. Devoulx» قائمة للأوجاق الذين ذكروا في الوثائق وغرفهم ومنها بيت ساري مصطفى، وبيت مصطفى شاوش، وقد تحولت هذه الثكنة إلى

مقر إداري كان قائما إلى عهد دوفوليكس»<sup>(53)</sup>. «A. Devoulx

وفي نهاية هذه الورقة البحثية نستنتج بأن المؤسسة العسكرية مثلت عصب الحياة وشرائه الذي قامت عليه الأيالة الجزائرية خلال العهد العثماني وعلى غرار باقي الأيالات التابعة للدولة العثمانية، حيث أن العثمانيون استعملوا الجيش النظامي وسيلة يهاجمون به كل من يقف في طريقهم طيلة ثلاث قرون من الزمن، كما لعب الجيش النظامي دورا هاما في الحفاظ على الأمن وحماية الرعية، مما جعل هذا الجيش أن يكون محل أنظار العديد من الكتاب الفرنسيون، غير أن هذه المؤسسة العسكرية لم تسير تطورات العصر الحديث كتلك التي عرفتها أوروبا مما أدى بها إلى التراجع مطلع القرن 19م.

#### الهوامش:

(1) من المفيد أن نفرق بين لصوصية البحر التي يقوم بها مغامرون من أجل السلب والنهب والسبي، كما فعلت إسبانيا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ويُطلق عليها بالفرنسية (Piraterie) (وين القرصنة Course) (التي هي نوع من أنواع الجهاد البحري التي كانت تقع بين الدول المتعادية، وكانت الغاية منها حماية المسلمين من جهة وضرب اقتصاديات العدو بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة عليه، وبما أن القرصنة التي كانت تمارس من طرف العثمانيين في الحوض الغربي، كانت تخضع لنظم وقوانين ولها تقاليد معروفة فإنه يمكن القول بأنها جهادا بحريا ما دام الغرض منه الدفاع عن أرض الإسلام، فالعثمانيين مسلمين فمن الواجب على المسلم الدفاع عن أرض الإسلام والتخلي عن الواجب عند المقدرة يعتبر خيانة. وللإطلاع حول هذا الموضوع بشكل مفصل ينظر: أحمد توفيق المديني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ط 1، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2007، ص 72.

(2) Devoulx (A), « La Marine de la Régence d'Alger », R.Af, n°13, Alger, 1869, p 13.

(3) Devoulx (A), *Revue Africaine La marine de La Régence d'Alger*, Paris, Challamael Aine Editeur, 1869, p3.

(4) Moulay (B), *Alger L'Europe et La guerre Secrète (15181830-)*, Alger, Editions Dahl ab, p67.

(5) Moulay (B), *Marine et Marins d'Alger (15181830-)*, Alger, B.N.A, 1996, T2, p 255.

(6) Ernest (Watbled), « Pachas- Pachas-Deys », R.Af, n°17, Alger, 1873, p144.

(7) Devoulx(Albert), « La Marine de la Régence d'Alger », R.Af, n°13, Alger, 1869, p388.

(8) de Grammont (H-D), « Un Episode Diplomatique à Alger au xvll Siècle », R.Af, n°26, Alger, 1882, p130 et 138.

(9) Devoulx (A), « La Marine... », op.cit, p388.

(10) جون ب وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، تر: أبو القاسم سعد الله ، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 182.

(11) Devoulx (A), « Le Registre des Prises Maritimes », R.Af, n°16, Alger, 1872, p 71.

- (12) de Paradis (Venture), « Alger au 18 Siècle », R .Af, n°40, Alger, 1896, p277.
- (13) Lemnouar (Merouche), Recherches Sur l'Algérie Al époque Ottomane II. La Course Mythes et Réalité, France, Editions Bouchene, 2007, p270.
- (14) جون ب وولف، المرجع السابق، ص188-189.
- (15) Berbrugger(A), « Topographie et Histoire Générale d'Alger», R .Af, n°15, Alger, 1871, p 407.
- (16) Lemnouar (M), op.cit, p388.
- (17) جون ب وولف، المرجع السابق، ص180.
- (18) Devoulx (A), « La Marine... », op.cit, p 418.
- (19) جون ب وولف، المرجع السابق، ص180.
- (20) Devoulx (A), « La Marine... », op.cit, pp 3545-.
- (21) Haedo (F .de Diego), op .cit, p 51.
- (22) Moulay (B), Alger L'Europe... , op.cit, p 67.
- (23) Devoulx (A), « La Marine... », op.cit, p195.
- (24) Devoulx (A), Revue Af... , op.cit, p 4.
- (25) توفيق دحماني، دراسة في عهد الآمان القانون الأساسي السياسي والعسكري للجزائر في العهد العثماني، الدار العثمانية، الجزائر، 2009، ص ص 20-21.
- (26) Colombe (M), « Contribution à L'étude du Recrutement de l'odjak d'Alger », R .Af, n°87, Alger, 1941, pp172175-.
- (27) de Paradis (V), « Alger au... », op.cit, pp 3942-40-.
- (28) de Paradis (V), Tunis et Alger au xvllle Siècle, paris, Sindbad, 1983, p118.
- (29) de Paradis (V) , « Alger au... », op.cit, pp 40.
- (30) ibid, pp 4142-
- (31) Thomas (Shaw), Voyage Dans la Régence d'Alger, Trad Par: J.Mac Carthy, Tunis, Editions Bous lama, 1980, p184185-.
- (32) Rinn (L), « Le Royaume d'Alger Sous le Dernier Dey », R .Af, n°41, Alger, 1897, p132.
- (33) ديفولكس ألبير، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق مصطفى بن حموش -بدر الدين بلقاضي، المؤسسة الوطنية للفتون المطبعة، الجزائر، 2004، ص 256.
- (34) Deny (J), « Les Registres de Solde des Janissaires », R .Af, n°61, Alger, 1920, p36.
- (35) Henri( Federmann), « Notices Sur Histoire et L admis Ration de Beylik de Titeri », R .Af, n°9, Alger, 1867, p283.
- (36) Haedo (F .de Diego), op .cit, p 499.
- (37) Rinn (L), « Le Royaume.... », op.cit, p132.
- (38) Berbrugger (A), « Les Casernes de Janissairesà Alger », R .Af, n°3, Alger, 1858, p142.
- (39) Robin (N), « Note Sur Yahia Agha », R .Af, n°3, Alger, 1858, p142.

- <sup>(40)</sup> Devoulx (A), «Les Casernes de Janissaires à Alger », R.Af, n°3, Alger, 1858, p140.
- <sup>(41)</sup> ألبير ديفولكس، المصدر السابق، ص ص 257-258.
- <sup>(42)</sup> Berbrugger (A), « Les Casernes... », op.cit, p132.
- <sup>(43)</sup> ألبير ديفولكس، المصدر السابق، ص 262.
- <sup>(44)</sup> Berbrugger (A), « Les Casernes... », op.cit, p132.
- <sup>(45)</sup> ألبير ديفولكس، المصدر السابق، ص 262.
- <sup>(46)</sup> Berbrugger (A), « Les Casernes... », op.cit, p132.
- <sup>(47)</sup> ألبير ديفولكس، المصدر السابق، ص ص 268-269.
- <sup>(48)</sup> Berbrugger (A), « Les Casernes... », op.cit, p132.
- <sup>(49)</sup> ألبير ديفولكس، المصدر السابق، ص 269.
- <sup>(50)</sup> نفسه، ص 266.
- <sup>(51)</sup> Berbrugger (A), « Les Casernes... », op.cit, p132.
- <sup>(52)</sup> ألبير ديفولكس، المصدر السابق، ص ص 266.
- <sup>(53)</sup> ألبير ديفولكس، المصدر السابق، ص ص 267-268.





## المقاومة المنظمة في الغرب الجزائري: مرحلة المخاض 1830-1832م

بساييس قويدر- جامعة جيلالي اليابس/سيدي بلعباس

عرفت منطقة الغرب الجزائري ما بين 1830م و1832م حراكا دينيا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا أدى إلى قيام دولة سيطرت على ثلاث أرباع الجزائر فيما بعد، الأمر الذي يدفعنا إلى القول أن هذه الفترة شكلت منعطفًا حاسمًا في تاريخ المنطقة كونها اختزلت جملة من المعطيات عكست الانتقال من نموذج الأيالة إلى الإمارة ومن هيمنة العنصر التركي إلى تحدي العنصر المحلي كما عرفت المقاومة خلال هذه الفترة نقلة نوعية إذ تحولت من اللّا تنظيم والالفعالية في مقاومة دولة فقد تكاثفت جملة من العوامل إدت إلى تحول مفصلي في المنطقة تجلى في الانتقال من النسق القبلي إلى نظام الدولة ومن تعدد الزعامات والقيادات إلى وحدة سياسية تستند إلى مرجعية فكرية وتتميز بأطرها التنظيمية، من هذا المنظور فإن الفترة ما بين 1830 و 1832 هي مرحلة مخاض اختمرت فيها المبادرة المحلية ونضج فيها المشروع السياسي في ظرف قياسي مقارنة بظروف الاحتلال وخصوصية الواقع الجزائري وتداعيات الإرث الإجماعي والثقافي، لذا فإن الوقوف على هذه العوامل يشكل حلقة هامة في فهم قيام دولة الأمير.

### 1- العامل الديني:

أدى سقوط نظام حكم الأيالة إلى فراغ سياسي وإداري، تحولت بفضل المؤسسة الروحية إلى سلطة بديلة، حيث أضحت منبع المقاومة ونقطة التقاء وعامل توحيد، وهذا ما أكدته العديد من المصادر، فقد ذكر حمدان خوجة<sup>1</sup> أن شيوخ الطرق الصوفية وهم من قاموا بتعبئة الناس للجهاد، فلا يوجد ثورة من ثوراة الأهالي إلا كانت وراءها يد مرابطية على حد رأي أوكتاف دييون<sup>2</sup>، ومن خلال مقارنة بين الدور الجهادي لعبد الرحمن الثعالبي أواخر القرن التاسع بمدينة الجزائر وسهول المتيجة إبان الغزو الاسباني<sup>3</sup>، وبين محيي الدين

في بايلك الغرب تتضح بصمات وآثار العامل الديني في صنع التحولات التي انتهت بتأسيس أياالة الجزائر سنة (1520م)<sup>4</sup> ودولة الأمير سنة (1832م)، كما تبين من خلال هذه المقاربة تماثل الظروف التي ساهمت في انبعاث النموذج الصوفي في المقاومة الذي خضع لإطار تصوري تحكمت فيه عوامل مختلفة، فلقد انطلق كل من عبد الرحمن الثعالبي ومحبي الدين من رؤيا، فأما الأول فقد عبّر عنها في

رسالته إلى محمد بن أحمد بن يوسف ببجاية<sup>5</sup>، أما الثاني (فلقد رأى أنّ عبد القادر الجيلاني ظهر له في حلمه وأعلمه بوجوب انتخاب عبد القادر)<sup>6</sup>.

إنّ دور العامل الديني في منطقة بايلك الغرب تجلّى في تأطير المرابطين للمقاومة، فقد حلّ رجال الدين محل فرسان السلاح وقاموا باجتماعات عديدة قدّروا أن يعهدوا الأمور لمحيي الدين<sup>7</sup>، هذا الأخير الذي ثار في وجه المستعمر وانتصر عليه في معارك متعددة، وبالتالي يمكن القول إنّ العامل الديني كان سببا وهدفا وثمرّة لحركة المقاومة.

## 2- العامل السياسي: الاحتلال وسياسة ملء الفراغ

تعددت أدوار الفاعلين السياسيين في المنطقة من أجل احتواء الوضع حيث أضحت منطقة نفوذ تحرك أحداثها أطراف تباينت غاياتها وتمايزت أهدافها .

اتسمت السياسة التوسعية في بايلك الغرب بطابعين:

أ- الطابع العسكري: لقد مرّ التدخل الفرنسي بمرحلتين، الأولى في 14 أوت 1830م انتهت بمقتل بورمو<sup>8</sup> وهزيمة الحامية، أما الثانية فكانت في 04 يناير 1831م حيث احتل المستعمر المرسى الكبير وحصون وهران<sup>9</sup>.

### ب - الطابع السياسي:

1- إفشال المبادرة المغربية: نظرا للأوضاع الصعبة وصعوبة المعيشة فقد فكر أهل الحضر<sup>10</sup> في حل سياسي يقضي بدخولهم في طاعة حاكم مسلم يمنحونه البيعة فاتفقوا على الاستنجد بسلطان المغرب المولى عبد الرحمن<sup>11</sup>.

فلقد سبق أن التجأ إليه حضر تلمسان إبان الثورة الدرقاوية 1806م<sup>12</sup>، فتوجه وفد إلى فاس وتم استقبالهم من طرف السلطان إلا أنه تأخر في الإجابة عنه مدة 6 أشهر<sup>13</sup> وشرح

السلطان عبد الرحمن<sup>14</sup> ابن عمه مولاي علي خليفة له، إلا أن الحملة المغربية اصطدمت بالکراغلة وجزء من قبيلة الدوائر والزماله<sup>15</sup> فاضطر السلطان إلى إصدار أمر إلى خليفته في 08 مارس 1831 بالعودة إلى المغرب الأقصى<sup>16</sup> وفي 13 أوت عين السلطان عبد الرحمن محمد بن الحمري الذي امتد نفوذه حتى مليانة والمدينة<sup>17</sup> إلى أن الديبلوماسية الفرنسية نجحت في إدارة الأزمة حيث تمكن لويس فليب<sup>18</sup> من إقناع السلطان بسحب قوات بن الحمري عن طريق مبعوثه الكونت شارل دي مورلي.

2- الصفقة الفرنسية التونسية: بعد تحليله وقراءته للوضع قرر كلوزيل<sup>19</sup> عدم المغامرة ولجأ إلى باي تونس عن طريق القنصل الفرنسي في مدينة تونس، انتهت في 04 فبراير 1831<sup>20</sup> بتعيين باي على وهران في مقابل ضريبة تقدر ب مليون فرنك<sup>21</sup> إلا أن تجربة تونس التوسعية انتهت بالفشل لعدة أسباب أهمها فراغ خزينة البايليك وقلة الموارد إضافة إلى حملات السلب والنهب التي قامت بها الحامية التونسية<sup>22</sup>.

3- موقف الباي حسن<sup>23</sup>: اتسم حكم الباي حسن بن موسى بالتسلط والإرهاب فهو لم يكن يحظى بنفوذ شعبي ولا نخبوي<sup>24</sup> وتميز موقفه من خلال:

\* استشار أعيان الأقاليم فلم يرضوه<sup>25</sup>

\* طلب اللجوء إلى محي الدين<sup>26</sup> والد الأمير الذي رفض طلبه بعد تدخل الحاج عبد القادر من منطلق عدم القدرة على حمايته من الغضب الشعبي ضف إلى ذلك تخاذله في مواجهة المحتل، وأخيرا خوفا أن تفقد الأسرة مكانتها بسبب موقف الناس من حكمه وإعدامه لكثير من الخلق<sup>27</sup>.

\* وقوفه إلى الجانب الفرنسي في مواجهة السلطان عبد الرحمن فلقد أرسل رسالة إلى السلطان مفادها أن تلمسان وما ولاها من التراب الجزائري مصيرها سيكون رهن مصير الجزائر<sup>28</sup>.

### 3- العامل العسكري:

يرى أبو القاسم سعد الله (أن المقاومة الشعبية في إقليم الغرب كانت أوسع انتشارا وأكثر استمرارية من حركة الأمير فقد انطلقت منذ 1830 واستمرت حتى ما بعد 1847م، لكن

شخصية الحاج عبد القادر طغت على كل الأحداث وأصبحت حركته رمزا للمقاومة).<sup>29</sup>

لقد اتسمت هذه المقاومة بالتلقائية والاندفاع حيث لم تمض شهور حتى كانت المتطوعة قملأ السهول لتؤدي الواجب المقدس. ويمكن تقسيم هذه المقاومة إلى:

### 1- مقاومة شعبية:

لقد انطلقت المقاومة في الغرب بمجرد حلول القوات الفرنسية وتموقع حامياتها في الموانئ وكان دو برومون قد صرح أن فرنسا ستحتل كامل الولاية<sup>30</sup>

ومما يؤكد خيار المواجهة والجهاد لدى السكان وقبائل المنطقة حصارهم للباي حسن صلبة جنوده الثمانمائة بعدما اتضحت رغبته في تسليم المدينة إلى الفرنسيين.

### 2-مقاومة عائلة محيي الدين:

دفعت الفوضى المتفاقمة بشكل كبير محي الدين إلى تشكيل فرقة صغيرة عهد بها إلى أبنائه كانت تجوب السهول والجلال لحماية الهاربين الذين تركوا وهران ولفض الخلافات بين القبائل التي هجرها الأتراك كما كانت تقوم بحرب العصابات على أبواب المدينة<sup>31</sup> وورد في كتاب هانري تشرشل (أن العرب كانوا يقومون بمحاولات عديدة لاستعادة وهران)<sup>32</sup> وهاجموا في العديد من المرات قلعة فليب، وهي قلعة في جنوب المدينة وكان عبد القادر هو الذي يشرف على العملية<sup>33</sup>، فقد نادى في أنصاره: أنا الحاج عبد القادر ابن الشريف محي الدين الحسني من المهم أن تعرفوا اسمي، فليدع في جميع الدوار وفي الساحات والأسواق وزوايا الدارسة ولينا دبه أنصاره أنا لا أسع لأي هيمنة ولا أريد أي نفوذ قد تفكرون به، إنما علينا أن ندخل مدينة الجزائر ونطرد الكافر من أرضنا<sup>34</sup>، وورد في مذكرات الأمير أن بعد مبايعة الشيخ محي الدين، نادى في الناس بإعلان الجهاد المقدس وأصبح مركز قيادته العليا القيطنة حيث ألف جيش من الفرسان خاض به معركة خنق النطاح الأولى في 03 ماي 1832، وكانت لصالح محي الدين كبد المحتل خسائر فادحة شارك فيها الأمير كجندي أما معركة خنق النطاح الثانية التي وقعت في 04 ماي 1832 فقد قادها الأمير بعد مرض والده، جرت هذه المعركة بواد سيقثم انتقلوا إلى عين الكرمة قرب وهران بالمكان المسمى خنق النطاح حيث نشبت الحرب بين الطرفين<sup>35</sup>، كما شارك محي

الدين بنفسه في معركة برج راس العين في 03 سبتمبر 1832 وعقد لواء الجهاد لابنه<sup>36</sup>.

#### 4- العامل الاجتماعي:

سجلت الكثير من المصادر الاضطرابات التي نجمت عن سقوط نظام الإيالة حيث يقول الشقراني<sup>37</sup>: «وقد دخل هؤلاء الفرنسيون صحوة يوم الاثنين في أول الصيف في 14 من المحرم سنة ست وأربعين ومائتين وألف وفي الشهر المذكور دخلوا وهران وفر المسلمون منها وانتشروا مع الطرق وانتهبوا ما بأيديهم من الأموال والأمتعة وثار الثوار بعضهم على بعض بالقتل، وشتت الغارات ووقع الفرع في الناس، ووقعت حروب كثيرة بين قبائل المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله واستمروا على نحو سنتين»<sup>38</sup>.

كما وصف محي الدين أوضاع الفترة قائلا: «عمت الفوضى والانشقاقات والفتنة قامت في كل مكان بين المسلمين... والبنيان الاجتماعي قد انهار، وكل واحد يرفع يده على جاره، وانصرف شعبنا إلى أهوائه الحقيرة، يخالف كل يوم شرائع الله وشرائع البشر»<sup>39</sup>.

يتضح مما سبق أن سقوط نظام الأيالة أدى إلى انهيار البنيان الاجتماعي نتيجة فقدان الأمن واقتتال القبائل فيما بينها وانتشار المحرمات والرذائل ضف إلى ذلك نزوح السكان وفرارهم وما يترتب عنه من اختلال اجتماعي واقتصادي، بالتالي فإن تعطيل الشرائع وضياع الحقوق تضرر المصالح شكل دافعا رئيسا في البحث عن سلطة بديلة تكفل النظام.

إن أهمية هذه الفترة تكمن في أنها أفضت إلى قطيعة مع نمط الحكم الذي كان سائدا في المنطقة طيلة عهود، ففشل الحلول الأجنبية، والبحث عن قيادة محلية عكسا مرحلة هامة من مراحل تبلور الجزائرية كبعد انتمائي لعبت فيه المقاومة دور الوسيط، لا كما يدعي مؤرخو المدرسة الاستعمارية أن بحث الأمة الجزائرية بدأ بدخول المستعمر.

لقد كشفت هذه الفترة عن ارتباط الشرعية السياسية بالشرعية الثورية، مما يعني أن خيارات وتوجهات الدولة المستقبلية قد تحددت في هذه الفترة، فرجال الدين الذين بادروا بالمقاومة سيتولون مقاليد الأمور فيما بعد، كما أن الاعدالة وفقدان الأمن ضف إلى ذلك سلبات النظام السابق ستحدد طبيعة النموذج السياسي المختار.

## الهوامش

- (1): ولد 1773م وتوفي ما بين 1840-1845 بقسنطينية، شغل منصب عضو في بلدية الجزائر بعد الاحتلال، ولعب دور الوسيط بين أحمد باي والأمير عبد القادر، من آثاره: المرأة، اتحاد المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء، حكمة المعارف، أنظر: بن عبد الكريم، محمد، حمدان خوجة الجزائري، دار الثقافة للطباعة، بيروت، 1974.
- (2): مفتش عام للبلديات الممتزجة صاحب كتاب الطرق الدينية الذي صدر عام 1887.
- (3): المديني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ط3، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1984، ص96.
- (4): سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص131.
- (5): سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1978، ص209.
- (6): تشرشل، شارل هانري، حياة الأمير عبد القادر، تر وتقديم أبو القاسم سعد الله، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص58.
- (7): آتين، برونو، عبد القادر الجزائري، تر ميشال خوري، ط1، دار عطية، 1997، ص139.
- (8): سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص168.
- (9): العربي، إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص26.
- (10): سعد الله، أبو القاسم، المرجع السابق، ص168.
- (11): العربي، إسماعيل، المرجع السابق، ص28.
- (12): تنسب إلى ابن الشريف الدرقاوي الذي دارت بينه وبين باي وهران مصطفى العجمي معركة كبيرة في موقعة فرطاسة الواقعة جنوب مدينة غليزان وتعرف اليوم بواد الأبطال.
- (13): تشرشل، هانري، حياة الأمير، ص53.
- (14): الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج9، تح وتعليق جعفر ناصر، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1986، ص29.
- (15): لما خيم الباي محمد في ظاهر معسكر، خرج الناس بخروجه، فعين من هؤلاء الخدم وأنزلهم في دائرة خيامه، فسموا الدوائر، كما عين آخرين لحمل أثقاله وأثقال عساكره، فسموا الزمالة، ومع مرور الزمن نالت الطائفتان حصة عند الأتراك، وأصبحوا يتمتعون بامتيازات عن باقي السكان. أنظر: العربي، إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير، ص44.
- (16): تشرشل، هانري، حياة الأمير، ص54.
- (17): العربي، إسماعيل، المرجع السابق، ص31.
- (18): (1773-1850م)، أنظر: خوجة، حمدان، المرأة، تح محمد العربي الزبيري، ط2، ش وط للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص240.
- (19): بورتون دو كلوزيل ولد بتاريخ 12 ديسمبر 1772، وتوفي في 21 أبريل 1842، شغل منصب مفتش علم سلاح، ثم حاكم عام للجزائر من 1835-1837، أنظر: حرب، أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808-1847)، ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص51-52.
- (20): العربي، إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير، ص53.
- (21): العربي، إسماعيل، المرجع نفسه، ص35.
- (22): الباي حسن: باي وهران أثناء الاحتلال، استسلم للفرنسيين في 04 جانفي 1831، ونقل إلى الاسكندرية، أن

- ظر: تشرشل، هانري، حياة الأمير، ص52.
- (23): سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية، ص167.
- (24): المرجع نفسه، ص167.
- (25): حرب، أديب، مقال سابق، مجلة أول نوفمبر، ع161، الجزائر، 1999، ص49.
- (26): تشرشل، هانري، حياة الأمير، ص51.
- (27): العربي، إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير، ص31.
- (28): سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية، ص166.
- (29): المرجع نفسه، ص170.
- (30): اتين، برونو، عبد القادر الجزائري، ص137.
- (31): اتين، برونو، المرجع نفسه، ص138.
- (32): تشرشل، هانري، حياة الأمير، ص54.
- (33): المصدر نفسه، ص55.
- (34): اتين، برونو، عبد القادر الجزائري، ص146.
- (35): بن تهاامي، مصطفى، سيرة الأمير وجهاده، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص204.
- (36): إتين، برونو، المرجع السابق، ص147.
- (37): هو أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي من قبيلة بني شقران، توفي بعد (1883م)، أنظر سعيدوني، ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص543-549.
- (38): الشقراني، أحمد بن عبد الرحمن، القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط، تح وتقديم ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص34.
- (39): اتين، برونو، عبد القادر الجزائري، ص140.





## الكفاح الثوري للكشافة الإسلامية الجزائرية (1954-1962 م)

جواد عبد اللطيف – طالب دكتوراه-سيدي بلعباس

### تمهيد

عند اندلاع ثورة التحرير الوطنية تحركت الكشافة الإسلامية الجزائرية من أفواج وقادة وجوالة، تبعا لمناطقهم وانضموا للعمل السياسي والعسكري تحت قيادة جبهة التحرير الوطني، حيث طلب منهم الالتحاق شخصيا، وبعد وصول معلومات للشرطة الفرنسية (1) مضمونها التحاق العناصر الكشفية بجبهة التحرير ألقى القبض على قادة الكشافة الإسلامية الجزائرية غداة الفاتح من نوفمبر 1954 م. لكن بعض الأفواج الكشفية واصلت نشاطها في بعض المدن الكبرى خاصة عمر لاغا رئيس الكشافة الإسلامية الجزائرية باتصال مع بن مهيدي الذي حافظ على نشاط هذه الحركة، وكان للأفواج محلات استعملت كأمكنة لاجتماعات مناضلي الجبهة، كما أن القادة تحملوا كل الضغوط الإدارية العسكرية الاستعمارية (2)، وسأحاول من خلال هذا المقال التطرق إلى بدايات الاتصال الأولى لجبهة التحرير الوطني بقيادة الكشافة الإسلامية الجزائرية ومساهمة قادة الكشافة الإسلامية في الثورة وكذا تأسيس الأفواج الكشفية الثورية.

### 1- جبهة التحرير ترأس الكشافة الإسلامية الجزائرية

في شهادة لأحد قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية اسمه محمد واعمر، وذلك في جريدة المجاهد بتاريخ 14 جانفي 1982م وبعبارة "عناصر من الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجهاد" ذكر صاحبها طريقة اتصال جبهة التحرير الوطني بقيادة الكشافة الإسلامية الجزائرية، حيث قال أنه في شهر ديسمبر 1954م أين لم تمر سوى بضعة أسابيع فقط على اندلاع الثورة انعقدت جمعية عامة استثنائية هامة للكشافة الإسلامية الجزائرية في سيدي فرج، خلالها قررت هيئات الكشافة الجزائرية بما فيها اللجنة المديرية إلغاء كل النشاطات

على غرار المخيمات والجولات والخرجات الليلية بسبب غياب الأمن والخطر السائدين والخوف من استفزازات السلطات الاستعمارية التي لا مفر منها، والتي يرتكبها الاحتلال وشرطته، أعطيت الكلمة للرئيس محمد القشعي منذ افتتاح جلسة هذه الجمعية، أعطانا قائمة الحاضرين (3)

وهم أعضاء اللجنة المديرية، الأخ الطاهر التجيني، القائد العام ونائبه الشيخ بوعمران) الشيخ عبد الصمد بولنوار، الشيخ محمد الغسيري والشيخ الحفناوي وكلاهما مرشد في الكشف الإسلامية الجزائرية وعضو في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة الجزائر، كذلك السيد الصادق الفول، محمود بن محمود، الأستاذ جيجلي من قسنطينة، الأخ حمادة والأخ بوقندورة من سوق أهراس، الأخ إبراهيم مبروك من فرندة، المسؤول العام للخزينة الأخ قاصد علي من مليانة وجميع القادة المحليين ومندوبي الجزائريين المتواجدين بفرنسا.

تم الاستماع لجدول الأعمال من طرف جميع الحاضرين الذين فهموه، قبل أن يقرأ علينا رسالة مستعجلة وهامة بعثت لنا من طرف إخواننا في جبهة التحرير الوطني أي من مسؤولي ثورة أول نوفمبر ونصت على: "الأخ أوعمران المدعو بوقروي يدعو حركات الشبيبة أن تلتحق بصفوف المنظمة الثورية لكن بصفة فردية وليس باسم الجمعية الكشفية"، بعدها أخذ الطاهر التجيني -آنذاك أستاذ في ثانوية غويلمين- الكلمة وكرر النداء مركزا على الصفة الفردية لانضمام كل واحد منا حتى لا يتضرر مسؤولوا جمعية الكشفية المسلمين الجزائريين وهذا حتى يكون كل شيء واضحا بين الجمعية وأعضائها "إن إخواننا في جبهة التحرير الوطني في حاجة إلى مشاركتكم في الكفاح التحريري للجزائر" الأرض الخالدة للرجال العدول، ثم أعطى الرئيس محمد القشعي الكلمة للشيخ الحفناوي المرشد الديني (اعتقل وسجن من طرف اليد الحمراء) في نهاية 1956 بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجزائر العاصمة الذي عقب بهذه العبارات: "الكشفية التي يعود تاريخها إلى عهد لرسول صلى الله عليه وسلم لعبت دورا كبيرا في ميدان الوعى الإسلامية، إخلاصها وتضحياتها كانت كبيرة وهذا ما دفع بادن باول أن يستلهم مشروعه من منظمة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما يخص الربط والاتصالات

من مخيم إلى آخر بعزم.(4)

وهكذا كان الكشف بمثابة طليعة ومؤطر للجيش وإذا وجه لنا إخواننا المجاهدون النداء علينا أن نجيب: حاضر، لأن غايتنا هي: "الموت أو العيش رجالا مستقلين، هذا هو شعارنا" واختتم الشيخ الحفناوي خطابه قائلا: "إخواني لا تظنوا أن الاستعمار سيبقى مكتوف الأيدي سوف يحرق بيوتنا ويقتل نساءنا وأطفالنا، وسيحاول إبادةنا لكن سننتصر، لأن يد الله فوق النفوس الشريرة حتى ولو كان هذا آخر لقاء يجمعنا، رغم ذلك ثقوا في الله لأن الله لا ينسى أبدا تضحيات الرجال الذين ضد الظلم، لأن الذين سيعيشون سيقولون سلاما على شهدائنا، لذا اطلبوا الموت كي تأتيكم الحياة" الجمعية تأثرت لهذا الخطاب، اختتم الأخ القشعي هذه الجمعية مركزا على خطورة الوضع ودعا مرة أخرى كل واحد منا لتحمل مسؤولياته شخصا لأن ساعة الخيار قد حانت فالحدث الذي نعيشه كبير وكل كشاف جدير بالتربية التي تلقاها عليه أن يقوم بواجبه: الموت شهيدا أو الحياة في ظل الكرامة والشرف، رفعت الجلسة بترديد نشيد (من جبالنا) بعد سبعة أيام من المناقشات وهي آخر جمعية عامة عقدت في ديسمبر 1954م.(5)

## 2- نشاطاتها خلال الثورة:

عند اندلاع الثورة التحريرية عام 1954، تسابقت العناصر الكشفية للالتحاق بصفوف الثوار وهذا بعد حلها كبقية المنظمات بأمر من القيادة الثورية فتدعمت جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني بكفاءات شبانية تتمتع بروح انضباطية عالية وغيرة وطنية حيث أثبتت ولاءها وإخلاصها للوطن عند تبنيها للمباديء الثورية.(6)

" لقد وجدت الثورة في الكشافين خير العناصر الواعية المدربة على العمل والنظام المشبعة بالروح الوطنية عن فهم واقتناع، المدركة لكل الأبعاد الثورية التحريرية، فكونت منهم الجبهة والجيش خير الإطارات النضالية السياسية والعسكرية وأثبتوا جدارتهم في خدمة بلادهم بصدق وإخلاص وتفان، سواء في الجبال والأدغال أو في الأعمال الفدائية داخل المدن والقرى، وغير ذلك من الأعمال الاجتماعية والإسعافية التي كانت تتطلبها الثورة في كل ميدان".(7)

فعلا لقد استعان ضباط جيش التحرير الوطني بخبرة كثير من القادة الكشفيين في مجال التدريب العسكري والمجال الصحي لاملاكهم خبرات في ميدان الإسعاف والإنقاذ، بحيث أن أغلب الأطباء والممرضين قد اكتسبوا خبرات في مجال التمريض عن طريق الكشافة الإسلامية الجزائرية أو عبر تربصات جد قصيرة. (8)

وفي هذا الإطار دائما استمر النشاط الكشفي خلال الثورة المسلحة وقدم دعما ماديا ومعنويا خاصة في استعمال مقرات الحركة الكشفية كملاجئ ومستشفيات سرية ومخابئ للذخيرة والأدوية (9)، وقد اعتبر محمد حري الكشافة الإسلامية الجزائرية أحد التيارات الوطنية التي تتركب منها حركة التحرير الوطني والتي يتجاوز إشعاعها حدود الأحزاب التي تشرف عليها (10) ونظرا لأهمية التنظيم الكشفي قام قادة الثورة بالخارج خاصة بتونس والمغرب بتأسيس أفواج كشافة أشبال الثورة حيث قاموا بتدريب أبناء اللاجئين وتأطيرهم من أجل إلحاقهم بالتنظيم السياسي والعسكري لجيش وجبهة التحرير الوطني، وكانت هذه الأفواج مهيكلية في خلايا سرية تعمل حسب مناهج ثورية مدروسة (11) وعلى سبيل المثال أسس قادة الثورة بالخارج فوج الجبل الأحمر بتونس، هذا الأخير انخرط عدد من جواته في جيش التحرير وصعدوا للجبال (12) وسأطرق في العنصر الموالي إلى التعريف بتنظيم كشافة أشبال الثورة وأبرز مهامها من خلال شهادة لإحدى المنخرطات في التنظيم بالتراب التونسي. (13)

### 3- تأسيس كشافة أشبال الثورة الجزائرية

نظرا للظروف التي وجد فيها التنظيم وكذا تبعيته لجيش التحرير الوطني، يمكن أن نعرف تنظيم كشافة أشبال الثورة الجزائرية بأنها منظمة مدنية شبه عسكرية كانت تعمل تحت قيادة التنظيم السياسي والعسكري لجبهة وجيش التحرير الوطني بالتراب التونسي، يشرف على تدريب أفواجها جنود جيش التحرير الوطني، حيث كانوا يعلمونهم دروسا في اللغة العربية والأناشيد الوطنية مثل: حكاية العلم، أيها الأم، أنا لاجئ غريب، لغة الأجداد... كما كانوا يتلقون تدريبات رياضية من أجل تجهيزهم للجهاد ضد المستعمر الفرنسي. (14)

**أ- مهامها:**

كان جنود جيش التحرير الوطني المرابط في الجبال التونسية الحدودية يكلفون أعضاء كشافة أشبال الثورة بنقل الألبسة إلى المخيمات وغسلها، وكذا جلب الطعام وإرساله إلى الجنود، وكان أعضاء الجيش - حسب الشهادة- يوصون أشبال الكشافة بكتمان أسرار الجبهة والجيش في حالة وقوعهم في يد العدو.

**ب- قواعدها:**

حسب الشهادة السابقة فإن أعضاء كشافة أشبال الثورة كانوا يتنقلون مع جيش التحرير الوطني المرابط بدولة تونس من قاعد لأخرى، حيث أقاموا بعدة مناطق بتونس نذكلا منها: منطقة قرن حلفاية، وبلدة تاج روين التي تقع على بعد 40 كلم جنوبي الكاف وعلى بعد 10 كلم عن الحدود الجزائرية، وهي إحدى القواعد المهمة التي تركز بها جيش التحرير الوطني، كذلك مدينة غار الدماء (15) التابعة لمحافظة جندوبة والتي كانت تستخدم كمقر للقيادة العامة لجبهة التحرير الوطني خلال الثورة (1958-1962م). (16)

**خاتمة**

لقد لعبت الكشافة الإسلامية الجزائرية دورا فاعلا في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، هذا ما دفع بالمستدمر الفرنسي إلى مراقبتها و سجن قادتها بتهمة الاتجاه الوطني والميولات الإسلامية الداعية إلى العمل التحرري، كما أن قادة الكشافة انخرطوا في الثورة التحريرية بالداخل والخارج وأسسوا أفواجا كشفية ثورية تحت مسؤولية جيش التحرير الوطني بتونس والمغرب، عملوا من خلالها إلى مساندة الكفاح التحرري، والتعريف بالقضية الجزائرية في إطار المنظمات الكشفية.

**الهوامش:**

1- لقد كانت مصالح الاستعلامات التابعة للشرطة الفرنسية تراقب نشاطات الكشافة الإسلامية الجزائرية وقياداتها خاصة أولئك الذين كانت لهم علاقة بحزب الشعب الجزائري PPA ، وحسب التقرير السري (أرشفيف ما وراء البحار A.O.M) الذي يحمل رقم: NA/3 1094 الذي كتبه الكولونيل بول سكوين «PAUL SCHOEN » في النشرة السياسية الشهرية لشهر أفريل 1954 والذي جاء فيه بأن هناك اتجاه جديد برز في حزب الشعب سماه بالحياديين وذكر بأن بعض قادة الكشافة المسلمين الجزائريين S.M.A ومنهم بوزوزو ولاغا الذي قال التقرير عنهما أنهما يبodon محايدين. أنظر: رابح بلعيد، مقال بعنوان: "مجموعة الخمسة وميلاد القوة الثالثة"، جريدة الأطلس، العدد 147، الاثنين 21-27

- جويلية 1997م، الحلقة 55.
- 2- محمد الطيب إيلول وعلي عروة، فوج الأمير خالد ببلكور- من رواد الكشافة الإسلامية الجزائرية، دحلب للنشر، د.ط، د.ت، ص 69.
- 3- أبو عمران الشيخ ومحمد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)م، دار الأمة، د.ط، 2010م، ص 400.
- 4- المصدر نفسه، ص 401.
- 5- المصدر نفسه ص 401
- 6- في ديسمبر 1954 بعث أوعمران المدعو "بوقروي" برقية مستعجلة لقادة منظمة الكشافة الإسلامية الجزائرية يدعوهم فيها للالتحاق بصفوف المنظمة الثورية، لكن بصفة فردية وليس باسم الجمعية الكشفية. راجع: أبو عمرن الشيخ ومحمد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)، دار الأمة، د.ط، 2010، ص 400.
- 7- محمد الصالح رمضان، تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، مجلة الثقافة، العدد 70 ، جويلية- أوت 1982، ص 59-60.
- 8- محمد تومي، مجلة الجيش، عدد 376، نوفمبر 1994، ص 38.
- 9-Mohamed Tayeb Illoul-Ali Aroua ,Le groupe Emir Khaled de Belcourt, Un maillon des scouts Musulmans Algériens, 1946-1962-, Ed.Dahleb, 1991, p75
- 10- محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 2007، د.ط، ص 15.
- 11-المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الكشافة الإسلامية الجزائرية، بدون طبعة، بدون سنة، ص 60.
- 12- الرجوع نفسه ص 86.
- 13- شهادة السيدة جميلة جواد بنت التليلي، مقابلة بتاريخ يوم الجمعة 24 سبتمبر 2012 بمنزلها الكائن بالزاوية ولاية سكيكدة.
- 14- نفس المصدر (المقابلة)
- 15- نفس المصدر (المقابلة)
- 16-عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة: عالم مختار، دار القصة، الجزائر، دون طبعة، 2007م، ص 105.

## التربية والتعليم في منطقة سطيف خلال الحرب العالمية الثانية وعلاقتها بانتفاضة ومجازر 8 ماي 1945 (محاولة لكتابة تاريخ محلي، بلدية تاقيطونت المختلطة نموذجا).

سيد أحمد بن نعماني – جامعة الجزائر

في إطار المجهود الذي تبذله المدرسة التاريخية الجزائرية لكتابة التاريخ المحلي لجهات الوطن الغالي، أقترح هذه الدراسة المتواضعة والموسومة: النضال في مجال التربية والتعليم في منطقة سطيف خلال الحرب العالمية الثانية وعلاقته بانتفاضة ومجازر 8 ماي 1945 (محاولة لكتابة تاريخ محلي، بلدية تاقيطونت المختلطة نموذجا)

من مظاهر ظلم السلطات الاستعمارية للجزائريين في منطقة سطيف عامة وفي بلدية تاقيطونت المختلطة خاصة على غرار كل مناطق الجزائر، تعمدتها إهمال الحياة الثقافية لإفشاء الجهل في أوساطهم، وبقاء الاحتلال للبلاد و الاستغلال للعباد، ومع ذلك تميزت البلدية بكثرة المؤسسات القرآنية والمساجد، وتمسك السكان الجزائريين بثقافتهم ومقوماتهم الشخصية من دين ولغة، وتبلور ذلك عمليا في مظهرين اثنين تمثلا في الزوايا والطرق الدينية الصوفية ومؤسساتها القرآنية (التعليم التقليدي)، وفي مدارس التعليم العربي الحر (التعليم الحديث) الذي ازدهر في البلدية أثناء الحرب الكونية الثانية، وأشرف عليه مجموعة من الرجال المخلصين و المصلحين من المنخرطين والمتعاطفين مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولهذا رأينا من الضروري تسليط بعض الضوء على هذا التعليم وتوضيح عدة مسائل ومنها:

تعريف بلدية تاقيطونت المختلفة، وكيف كان حال التعليم فيها بأنواعه المختلفة خلال العالمية الثانية؟ من كان الأكثر تطورا وازدهارا واستقطابا للجزائريين؟ ماهو موقف سلطات الاحتلال المحلية من التعليم بأشكاله المختلفة؟ وماهي العلاقة بين النشاط التعليمي في البلدية وما جرى من انتفاضة الجزائريين وما ارتكبه الفرنسيين من مجازر



مروعة في حقهم يوم 8 ماي 1945 وما تلاه من أيام بل من أشهر؟

### تعريف بلدية تاقيطونت المختلطة

البلدية المختلطة (La Commune Mixte) تعد نوعا خاصا من البلديات التي عرفتها الجزائر المستعمرة، وقد تطورت لتظهر بعد سنة 1875م على شكلها النهائي. هذا النوع من البلديات ليس له مثيل في العالم. فهي في ذهنية المشرع الاستعماري، مرحلة انتقالية إلى البلديات ذات الصلاحيات الكاملة أي التي يتمتع سكانها بحياة ديمقراطية حقيقية، وفي ذهن المشرع أيضا أن الكتلة الأوروبية القليلة المقيمة في هذه البلديات تعمل على تأهيل الجزائريين على حياة البلدية، وريثما تبلغ هذه الأخيرة مرحلة النضج، حينئذ ترتقي البلدية المختلطة إلى بلدية كاملة الصلاحيات يتمتع سكانها بكامل الحقوق الديمقراطية.1

يقدر متوسط مساحة البلديات المختلطة 1000 كلم، ويطغى على تركيبها الاجتماعية العنصر العربي المسلم الذي يشكل الأغلبية الساحقة فيها والذي يفوق نسبة 90 % من مجموع سكان البلدية، حيث يقيم بها 3/2 من مجموع الكتلة الجزائرية، و10/1 من مجموع كتلة المستوطنين الذين كانوا متواجدين بالجزائر.2

وقد كان يمثل السلطة العليا في هذه البلدية الحاكم الإداري برتبة متصرف إداري « Administrateur » الذي يلقبه الجزائريين الخليفة، والذي يعين من قبل الحاكم العام أو من قبل عامل العمالة ويساعده أعوان من الأوروبيين والمسلمين معينين أيضا من قبل الحاكم العام، وللمتصرف مكتب إداري يتكون من كتاب أوروبيين وجزائريين (خواجهات).3

وهكذا كان يجسد حاكم البلدية المختلطة السلطة الاستعمارية بكل سماتها فهو يمثل رئيس البلدية وموظف الدولة، وبعبارة أخرى فهو يجمع بين يديه كل السلطات السياسية والعسكرية والمدنية، وبالتالي فإن صلاحياته تفوق صلاحيات رئيس البلدية ذات الصلاحيات الكاملة.4

تميزت أعمالهم وسلوكا تهم بالخطورة وعدم الاكتراث بطلبات الجزائريين المسلمين و احتياجاتهم الأساسية. وقد عزز التشريع الاستعماري سلطة الحاكم الإداري بقانون

## استثنائي أطلق عليه قانون الأهالي.5

بلدية تاقيطونت التي اخترناها كنموذج لدراستنا، تعد إحدى البلديات المختلطة المنتشرة في ربوع الجزائر المستعمرة وقتئذ و بالتحديد في منطقة سطيف فهي حاليا (عهد السيادة و الاستقلال الوطني) تشغل الحيز الجغرافي الأكبر من شمال شرق ولاية سطيف.

كانت بلدية تاقيطونت المختلطة ثاني أكبر بلدية في الجزائر من حيث المساحة بعد بلدية (فيليفيل) المختلطة (سكيدة حاليا) بعمالة قسنطينة، وتأسست بقرار الحاكم العام الصادر في يوم 25 أوت 1880، الذي ألحقها بدائرة بجاية التابعة لعمالة قسنطينة آنئذ، ونص نفس القرار على أنها تتكون من أربعة عشر قسما منها ثلاثة أقسام أوربية ( قرى استعمارية) و هي: تيزي نبشار، خراطة و ملحقاتها من مزارع جرمونة، عموشة وملحقاتها من مزارع ثنية التين، بالإضافة إلى إحدى عشر قسما جزائريا (دواوير): جرمونة قلعون، تاقيطونت، منتانو، ثنية التين، قرقور، بني مرعي، بني فولكاي، أولاد صالح، البابور، والدهامشة.6

يبدو أن اسم البلدية أي لفظة تاقيطونت بربرية الأصل، و تعني الخيمة الصغيرة، ولكن اختلفت الروايات حول سبب إطلاق تلك التسمية على منطقة صغيرة من البلدية ثم البلدية بكاملها. فمن الروايات من ترجع التسمية إلى شكل جبل تاقيطونت الذي بني فوقه جيش الاحتلال الفرنسي البرج الحامل لنفس الاسم، حيث يبدو للرأي لهما من بعيد أنهما يشكلان هيئة تشبه الخيمة ومن الروايات الأخرى الشائعة بين سكان المنطقة، أن المكان الذي بني فوقه البرج أعلى قمة الجبل كان يرى فيه الناس خيمة صغيرة تخرج منها أضواء كل يوم جمعة ليلا، ويعتقد معظم السكان، أن وليا صالحا يربط فيه، خاصة وأن المكان كان موحشا وصعب الوصول إليه.7

كان برج تاقيطونت مركزا للبلدية، وبه يقيم المتصرفون المدنيون المتعاقبون على حكم البلدية، وتجتمع فيه اللجنة المسيرة لشؤونها، وتغير مقر البلدية واسمها مؤقتا ليتحول إلى القرية الاستعمارية عموشة، فتسمت باسم هذه الأخيرة بمقتضى قرار الحاكم العام المؤرخ

في 20 ديسمبر 1879، لكن سرعان ما استعادت البلدية مقرها الأول و تسميتها القديمة. ففي 1886 تشكلت أقسام جزائرية جديدة تفرعت عن الأقسام القديمة الكبيرة المساحة كقسمي سيدي ميمون وسرج الغول المتفرعين عن دوار البابور، وقسم معاوية المنبثق عن دوار الدهامشة. وفي سنة 1900 غيرت الإدارة أسماء دوازي أولاد صالح وسيدي ميمون ليصبحا اسمهما على التوالي دوار وادي البارد و عرباؤون، ومع حلول سنة 1901 تحول مقر البلدية مجددا وبصفة دائمة إلى القرية الاستعمارية بيريقوتفيل (عين الكبيرة حاليا)، و فصلت البلدية سنة بعد ذلك من دائرة بجاية لتلحق بدائرة سطيف بموجب قرار الحاكم العام المؤرخ في يوم 19 فيفري 1902.8

ثم توسعت البلدية من جهتها الجنوبية بضمها لقسمين جزائريين جديدين كانا تابعين لبلدية العلمة المختلطة و هما: دوازي أولاد عدوان وأولاد علي بن ناصر بمقتضى قرار الحاكم العام المؤرخ في 04 أوت 1926. وهكذا تكون البلدية قد بلغت مساحتها سنة 1926 الـ 95.939 هكتار، ثم 99.854 هكتار سنة 1940 لتستقر في حدود هذه المساحة إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية.9

و يحد البلدية، كل من بلدية قرقور المختلطة، بلدية وادي المرسى المختلطة، بلدية جيجلي المختلطة، بلدية فج أمزال المختلطة، بلدية العلمة المختلطة، بلدية الأوريسية الكاملة الصلاحيات، وبلدية عين عباسه الكاملة الصلاحيات وتمتد البلدية مسافة 28 كلم من الشمال إلى الجنوب، وعلى بعد 55 كلم من الشرق إلى الغرب.10

في الحرب العالمية الثانية توالى على حكم البلدية كل من بواسان مارسيل (Boissin Marcel) المولود في 22 نوفمبر 1890 من سنة 1940 إلى 1941، روسو (Rousseau René) المولود في 13 ديسمبر 1895 من سنة 1942 إلى 1945 فأحمد بن مبارك المولود في 04 أفريل 1897 من جويلية 1945 إلى أكتوبر 1946.

أما نواب المتصرفين المدنيين، فمن أشهرهم أحمد بن مبارك في مركز خراطة من 1940 إلى 1941، وبانسيل إيف (Bancel Yves) المولود في 03 جويلية 1915 في عين كبيرة (Perigotville) من 1944 إلى 1945، ثم في نفس القرية الاستعمارية روجيرا أندري

(Regerat André)، المولود في 03 فيفري 1911 من 1945 إلى 1946، وقراس روجي (Gras Roger) المولود في 08 أفريل 1914 في مركز بني عزيز (Chevreul) سنة 1945، ثم جاء بعده في نفس المركز الاستيطاني بونة كاميل (Beunat Camille) المولود في 02 جانفي 1915.

كما نصبت السلطات الاستعمارية على رأس كل قسم جزائري موظفا جزائريا يعينه الحاكم العام برتبة قايد (Caid)، وقد كان عددهم عند تأسيس البلدية إحدى عشر قايدا، وبقي العدد نفسه لم يتغير حتى سنة 1945. 11

**حال التعليم في البلدية خلال الحرب (أنواعه، خصائصه، أهم العاملين فيه)**  
ساد البلدية نوعين منفصلين من التعليم الأول ترعاه وتدعمه بل تنحاز له بطبيعة الحال السلطات الاستعمارية الفرنسية للبلدية، والثاني عربيا أصيلا يرعاه الجزائريين من سكان البلدية ومجموعة من المثقفين المصلحين من الأعضاء أو المتعاطفين مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو الزوايا والطرق الدينية الاسلامية.

#### 1. التعليم الرسمي (الفرنسي - الاستعماري)

كان التعليم الرسمي في البلدية صورة مصغرة لما كان سائدا على أرض الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية، فقد كانت موجودة في البلدية خمسة مدارس فرنسية موزعة على المناطق التي يوجد فيها المستوطنين كخراطة (Kerrata)، عين الكبيرة (Perigotville)، بني عزيز (Chevreul)، عموشة (Amoucha) وتيزي نبشار (Tizi n'bechar)، وأربعة مدارس فرنسية - إسلامية في الفروع الادارية الجزائرية (الدواوير)، كثنية التين، وادي البارد، بني مرعي وأولاد عدوان .

وكانت المدارس الفرنسية ممنوعة على الجزائريين باستثناء بعض أفراد العائلات الكبيرة المتعاونة مع الاحتلال والتي فضلت إعطاء أبنائها تعليما فرنسيا اعتقادا منها أنه التعليم الأصلح لاستمرار امتيازاتها إلى جانب الكتلة الأوروبية، والمدارس المختلطة الفرنسية - الإسلامية كما سبق ذكره، كانت تتركز في الدواوير، وكانت تهدف إلى إدماج الجزائريين عن طريق تعليمهم الثقافة الفرنسية، وكانوا على قلتهم ينقطعون عن التعليم أو يتسربون

تصاعديا خصوصا في مرحلة التعليم الابتدائي وكانت تلك المدارس الرسمية مهما كان نوعها، تتكون من فصل واحد أو فصلين.12

والحقيقة أن هذه المؤسسات التعليمية الرسمية، لم تكن في المستوى من حيث تأثيثها و مستوى تأهيل القائمين بالمهمة التربوية فيها، بل توقف نشاط أغلبها وتراجعت الأخرى في مستواها خلال الحرب العالمية الثانية، وقد اشتكى حاكم البلدية من تلك الوضعية المزرية التي وصل إليها التعليم الرسمي في بلديته لحاكم عمالة قسنطينة وللجهات الأمنية الاستعمارية المختصة، في تقرير مؤرخ في 3 فبراير 1944، حصر فيه أسباب هذا التراجع للتعليم الرسمي ومبديا تخوفه من ازدهار و تطور وإقبال الجزائريين على التعليم العربي الحر خاصة التي تشرف عليه و تؤطره جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.13

وقد قال بالخصوص ما يلي : « ... من المؤكد أنه إذا قارننا بين التعليمين، الذي تلقنه المدارس الرسمية الفرنسية و الفرنسية - العربية وتعليم مدارس جمعية العلماء المسلمين كفي خراطة، يبدو جليا أن التفوق لصالح الأخيرة لعدة أسباب منها: توقف نشاط المدرسة الفرنسية - العربية بخراطة منذ 3 سنوات، وتوقف نشاط المدرسة الفرنسية - العربية الكائنة في قرية أولاد مسالي بدوار وادي البارد منذ 6 أشهر، و توقف نشاط المدرسة الفرنسية - العربية في تيزي نبشار منذ 3 أشهر فضلا عن أنها كانت تشتغل بمعلم واحد بدلا من اثنين، ويوجد في القرية الاستيطانية بخراطة 168 تلميذا تدرسهم معلمة واحدة تعاني من مشاكل صحية، استخلفتها مؤقتا منذ 21 ديسمبر 1943 معلمة، لم تدرس ولو يوما واحدا إلى الآن!، كما توجد نقائص مشابهة في التعليم الرسمي بمركز الاستيطان بعين الكبيرة (Perigotville) حيث أن المدرسة الفرنسية ذات العشرين (20) تلميذا من بينهم خمسة (5) جزائريين توقف نشاطها منذ شهرين، لأن معلمها المعين رسميا في عطلة لظروف خاصة، ولم يستخلف بعد، أما المدرسة الفرنسية - العربية فهي بدورها معطلة لأن معلمها مجند في الخدمة العسكرية ولم يعوض قط إلى تاريخ كتابة هذا التقرير...» 14.

## 2. التعليم العربي الحر التقليدي والحديث (الجزائري)

أما التعليم الحر (العربي - الجزائري)، فقد كان ينقسم إلى نوعين: أولهما تقليدي يلحن في الكتاتيب والزوايا المنتشرة في الدواوير (الفروع الادارية الجزائرية)، أما ثانيهما فحديث يتمثل في ثلاثة مدارس ترعاها وتشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهي موجودة في مركز القرى الاستعمارية خراطة (Kerrata)، وبني عزيـز (Chevreul)، و عموشة.

## أولاً: التعليم العربي الحر (التقليدي)

انتشرت عدة زوايا، اختلفت فيما بينها من حيث الانتماء والشكل والمحتوى، وكلها تنتمي إلى الطريقة الرحمانية باستثناء واحدة تعود إلى الطريقة العمارية، بعضها يتشكل من كتاب واحد يدرس فيه القرآن، ويستقبل المريدين والزوار، وبعضها يرقى إلى مستوى المدرسة، فتدرس بها مبادئ القراءة والكتابة والقرآن، وعلوم الدين كالفقه واللغة و النحو إلى جانب القيام بإرشاد الناس و تفقيهم، وإقامة الصلوات، والفصل في الخصومات، والإصلاح بين المتخاصمين، ورعاية عابري السبيل والمعوزين.

وقد كانت أهم تلك الكتاتيب والمدارس الملحقة بالزوايا و المساجد في تراب البلدية خلال الحرب العالمية الثانية تتمثل في كتاب الحاج عمار بدوار منتانو الملحقة بزواوية مقدم الطريقة الرحمانية الشيخ الحاج عمار الأطرش، وقام بمهمة التدريس فيها الشيخ معطي ابن الحسين ابن البشير ابن أحمد ابن عبد القادر الياحوي المدعو الشيخ «صالح»<sup>15</sup>.

ولد الشيخ « صالح » في 10 يناير 1919، أبوه الحسين وأمه حليلة خرف الله بقرية الماعلي وأصلها ماء علي والتي تدعى أيضا عين سلطان نسبة إلى إحدى الينابيع المائية فيها، ومن أهم قرى دوار منتانو بلدية تيزي نبشار حاليا، وتعد قرية الماعلي من الناحية العلمية، من القرى الرائدة في بلدية تاقيطونت المختلطة، إذ تعرف في وسط القرى المجاورة بقرية القرآن الكريم، إذ أن جل سكانها يحفظونه و يعلمونه.<sup>16</sup>

نشأ الشيخ في عائلة محافظة ذات علم و ورع إذ كان أبوه من حفظة القرآن وإماما من أئمة القرية، كما كان قبله جده وجد أبيه. يعد الشيخ « صالح » من الثمار الياينة

لهذه العائلة وتلك القرية، حيث تفتحت أكماله عن ذكاء باهر و فراسة كبيرة، فأحب العلم وهام فيه وسعى في تحصيله وتعليمه، فقد حفظ القرآن في سن مبكرة جدا، كما صال وجال في أنحاء الوطن من زاوية إلى أخرى طالبا للعلم من أصول الفقه والتفسير والحديث و العقيدة، وقد حضي بنصيب وافر منه على يد علماء أجلاء، تخرجوا من الأزهر الشريف و جامع الزيتونة منهم: الشيخ محمد القاضي، الشيخ محمد أرزقي الأزهري، الشيخ أرزقي أبو يعلى، الشيخ سعيد فضلاء المدعو السعيد البهلولي والشيخ أحمد لخضاري رحمهم الله جميعا.17

وتتلمذ على يد الشيخ و حفظ القرآن المئات والكثير منهم يشغلون حاليا مناصب في السلك الديني من أئمة وخطباء مساجد و معلمين في المدارس القرآنية و المدارس العامة والثانويات، كما اشتهر الشيخ « صالح » بإمكانياته الخارقة في علم الإرث و الفرائض.18

بعد عودته من زاوية سيدي موسى بسيدي عيش سنة 1941 بدأ تعليم القرآن بمسقط رأسه ثم بزاوية الحاج عمار الأطرش حتى استدعي للخدمة العسكرية الإجبارية. حيث جند كالألاف من الجزائريين للحرب العالمية الثانية وذلك سنة 1943 قضى مدة 9 أشهر بالجزائر ليواصل الخدمة بجزيرة كورسيكا إلى وقف إطلاق النار في ماي 1945 لينتقل إلى باريس حتى تسريحه في سنة 1946 بعد قضاء ثلاث سنوات في الجيش الفرنسي في فصيلة الدفاع الجوي.19

بعد تسريح الشيخ من الخدمة العسكرية، عاد إلى أرض الوطن ليستأنف رسالته ومسيرته العلمية ليمر على عدة محطات إلى ما بعد الاستقلال، وقد داع صيته في الأفاق وقصده الكثيرون ممن سمع عنه وعن أعماله، ومازال الشيخ صالح ملازما للانشغال بالعلم و قرأت القرآن والعمل بدقائق الورع أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حتى دنى أجله ودعاه الحق في صبيحة يوم عيد الفطر المبارك عند صلاة الفجر الموافق ليوم الأحد 14 نوفمبر 2004. 20

ويوضح الجدول الآتي أسماء أهم الكتاتيب الأخرى الموجودة في مختلف مناطق البلدية، وأسماء الزوايا الملحقة بها، وأهم شيوخها خلال الحرب العالمية الثانية (1939 -

المكان	اسم الكتاب	الزاوية أو المسجد	المدرســــــــون
البابور	الجــــــــوادة	زاوية سيدي الجودي	الشيخ عاشور عراس
قرقــــــــور	بن عــــــــلاق	زاوية سيدي بن علاق	الشيخ عبد الرحمن بن علاق
معاويــــــــة	القــــــــريني	زاوية الشيخ القريني	الشيخ عيساوي علاوة
وادي البارد	بن حــــــــافظ	زاوية الشيخ بن حافظ	الشيخ بو لعــــــــوينات
جرمــــــــونة	سيدي علي أوشان	مسجد بــــــــرامة	
قلــــــــعون	سيدي بوبكر	مسجد سيدي بوبكر	الشيخ ســــــــري الطيب
بني مرعي	سيدي عبد الرحمن	مسجد سيدي عبد الرحمن	
	سيدي تواتي	مسجد سيدي تواتي	
الدهامشة	بــــــــن زادي	زاوية سيدي لعزازي	الشهيدــــــــان الشيخان: البشير و الزروق بن زادي
عربــــــــاؤون	حكيمــــــــي	زاويــــــــة الحكماء	الشيخ:مجايدة علي، ناصري مختار، منيري الطيب، بوزيت عبد الرحمن .

والحق يقال بأن تلك المؤسسات القرآنية، والمساجد في بلدية تاقيطونت المختلطة قامت بدورها كمراكز إشعاع علمي وثقافي إلى جانب العبادة، ورغم ما كان يعتري طرق التدريس فيها آنذاك من الجمود والخمود إلا أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام في ربوع البلدية بصيانة الكتاب الكريم من الضياع والاندثار.

### ثانيا: التعليم العربي الحر(الحديث)

تأسست ثلاثة مدارس عربية حرة، أثناء الحرب العالمية الثانية في بلدية تاقيطونت المختلطة، وكانت كلها تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فالأولى تأسست في القرية الاستعمارية خراطة في 28 أوت 1941، تحت مظلة جمعية أهلية محلية تسمى الجمعية الفرنسية - الإسلامية للتربية بخراطة، والتي ترأسها المرحوم سليمان يحي باشا، وتكفل بتسيير ماليتها الشهيد محند أعراب حنوز22، وكلف بالدعوة إلى أنشطتها الشهيد رياش محمد بمساعدة ابنه الشهيد عمر، والثانية مدرسة النجاح في بني عزيز التي أدارها الشهيد محمد الطيب حكيمي.23 والثالثة مدرسة عموشة التي كان يشرف عليها الشهيد عبد القادر بن علاق 24 بمساعدة المرحوم زيغمي الحسين، وملحقتها مدرسة أولاد



جابر والتي كان يشرف عليها المرحوم خلفه الهاشمي.

وقد كان الشيخ بلعربي الهادي المؤسس الحقيقي للمدرسة الأولى 25 فهو من وجوه حركة الإصلاح البارزين في البلدية، بل وفي كل عمالة قسنطينة، أصله من بجاية، درس بالمدرسة مدة سنة كاملة ثم غادرها تاركا مهمة مواصلة التدريس بالبلدة للشيخ شريف العربي بن حسين الذي جاء من دوار « ايورجيوان » التابعة لبلدية سيدي عيش المختلطة (سيدي عيش حاليا)، وكان شيخ المدرسة الجديد قد تلقى تعليمه في زاوية بن سحنون الشهيرة الكائنة في دوار « بني و غليس » بنفس البلدية، وصنفته التقارير الأمنية الاستعمارية كسابقه من أنصار حركة الإصلاح الديني في الجزائر وتعني بذلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. 26

وكما نعلم كان تيار الإصلاح الديني بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محل شبهة لدى سلطات الاحتلال و تخشى منه، و عملت على مضايقة أنشطته، وقد ذكر حاكم البلدية الشيخ الهادي بلعربي في تقريره قائلا: «... » توجهاته إصلاحية، لكنه يحترم السلطات المحلية، و يتجنب البروز أمام أعينها، نشاطه التعليمي قوي جدا، فهو لا يكتفي بتعليم تلامذته القرآن الكريم، بل يعلمهم مواد أخرى كالجغرافيا، التاريخ، الحساب، النحو والصرف، ومن تلامذته مجموعة بنات من بينهن واحدة عمرها خمسة عشرة سنة ونصف، وأخرى ستة عشرة سنة. صلاته بتلامذته قوية فكثيرا ما يترجل مع أكبرهم سنا لمسافات طويلة بين خراطة ووادي المرسى مثلا، وينظم في كل مناسبة دينية أو وطنية حفلات مدرسية يحضرها كل أولياء التلاميذ، ويتل التلاميذ القرآن وينشدون أناشيد حماسية دينية و وطنية...» 27.

وكان يساعده في مهمته التربوية الشهيد الربيع بوشامة الذي جاء إلى خراطة قادما إليها من مسقط رأسه قنرات (Lafayette)، وكلف بتدريس الفئة الصغرى من التلاميذ، كما أشار نفس التقرير إلى الدور التنظيمي الكبير الذي بدله الشهيد محند أعراب حنوز في المدرسة، حيث جاء فيه: «... » و يساعد شيخ المدرسة في مهمته التنظيمية المتعصب [هكذا] محند أعراب حنوز، الطبيب المساعد في الملحقة الاستشفائية لمركز خراطة ... ». و يبدو جليا غضب وقلق السلطة الاستعمارية المحلية من نشاط المدرسة

والمؤطين لها، من خلال العبارة التي وضفتها لوصف رئيسها الشهيد حنوز بالمتعصب.28  
كما تأسست مدرسة عربية حرة ثانية، تنفذ البرنامج التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القرية الاستعمارية بني عزيز (Chevreul)، أسستها هي الأخرى جمعية محلية اسمها بني عزيز إحياء لاسم القبيلة الساكنة في محيط القرية الاستيطانية، وقد كان الشهيد الشيخ محمد الطيب حكيمي رائدها29، ولأشك أنه كان يوجد تنسيق بينه وبين مدرسة خراطة خاصة وأن من أبرز مؤسسيها الشهيدين رياش محمد وابنه عمر وهما ينتميان لمشته الرياضة في بني عزيز، وكانا قد لعبا دورا بارزا في تأسيس مدرسة خراطة كما أشرنا إلى ذلك من قبل.30

وقد تشرفت بلدية تاقيطونت المختلطة، خاصة بلدات خراطة، بني عزيز، وعموشة بزيارة رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي أياما قبل تأسيس المدرسة ومكث بين أهل المنطقة يومين كاملين، ولم يفوت حاكم البلدية الفرصة لكتابة تقرير عن وقائع الزيارة للسلطات الإدارية والأمنية بعمالة قسنطينة محذرا من نشاط الحركة الإصلاحية في البلدية بسبب تأثيرها المتزايد على نفوس الجزائريين و قال: «...نتيجة هذه الأوضاع هو سيطرة أكبر فأكبر للفكر الإصلاحي على نفوس الأهالي وحتى على اللذين كانوا أكثر وفاء للقضية الفرنسية، وقد استطاع الشيخ البشير الإبراهيمي المجيء إلى خراطة حيث قضى يومين كاملين بدون علمي، وأعرب السكان حينها عن ضرورة بناء مسجد، وقد جمعت أموالا معتبرة لذلك الغرض. أعتقد أن مجيء الشيخ البشير الإبراهيمي بصفته مفتش مدارس الطور الثانوي التابعة لجمعية العلماء كتلك التي بخراطة ليس بدافع مشروع بناء مسجد بل أيضا الرغبة في التحكم على نشاط المدرسة وإعطاء نفس جديد للتعليم باللغة العربية بالبلدية...31.»

**العلاقة بين نشاط المدارس العربية الحرة وانتفاضة ومجازر 8 ماي 1945 في البلدية**  
لا شك أن رواج وازدهار وتطور المدارس العربية الحرة التابعة للجزائريين مقارنة بالتعليم الرسمي الفرنسي، أثناء الحرب العالمية الثانية في إقليم البلدية المختلطة، كان له تأثيرا كبيرا على مجريات الأحداث عند انتهاء الحرب، كما كان الحال في كل القطر الجزائري، وتجلّى هذا التأثير في اندلاع انتفاضة جزائرية عارمة ضد المستعمر وكل ما يرمز

له في 8 ماي 1945، وكان الاقليم محل دراستنا هو الذي عرف أكبر هجمات الجزائريين المنتفضين على المعمرين و مصالحهم، كما تكبد الجزائريين في البلدية، خسائر جسيمة، ونالهم قمع شديد و دموي من الاستعمار و زبانياته، الذين استعملوا عنفا مفرطا وغير مبررا، وهو دليل قاطعا عن عنصرية مقبلة و حقد دفين للمعمرين نحو الجزائريين، وقد سجلنا، هذه الملاحظات و الاستنتاجات عن علاقة النشاط التربوي و التعليمي الرائع للجزائريين وتلك الأحداث المروعة والمؤلمة:

**أولا:** ازدهار التعليم العربي الحر بنوعيه التقليدي و الحديث، على التعليم الرسمي في إقليم البلدية المختلطة محل دراستنا، في الفترة الممتدة من 1939 إلى 1945، و يبدو ذلك من تقارير حكم البلدية الفرنسيين، الذين أحزنهم هذا الوضع، و ما توقفوا عن دق ناقوس الخطر، و الاستجداء بالسلطات الاستعمارية العليا، بضرورة التدخل بأي كيفية لتغيير الوضع لصالح التعليم الفرنسي الرسمي.

**ثانيا:** جل العاملين في مجال التربية و التعليم سواء تعليما حرا عربيا تقليديا(الشيخ معطي الأطرش وآخرين) أو حديثا (الشيخ عبد القادر بن علاق، محمد الطيب حكيمي، محند أعراب حنوز...)، تمتعوا بشخصية قوية، منها الحث على التمسك بمقومات الشخصية الجزائرية، و حبهم اللافت للنظر، لبني جلدتهم من الجزائريين فكانوا خدومين لهم (الكتلة الجزائرية من ساكنة البلدية)، فبدلوا من أجلهم كل عزيـز عليهم، من وقت، و مال، بل حتى أرواحهم الزكية.

**ثالثا:** معظم الذين ذكرناهم من الجزائريين العاملين في هذا الحقل النبيل والشريف في البلدية محل هذه الدراسة، تعرضوا للقتل المتعمد مع سبق الإصرار و الترصد، وبوحشية نادرا ما تحصل، بواسطة ميليشيات المعمرين ومختلف فرق الجيش الفرنسي، أثناء مجازر 8 ماي 1945، وتغاضت السلطات القضائية الاستعمارية عن متابعة الجناة، بل تسترت عن جرائمهم بطريقة غريبة، كما فعل النائب العام على مستوى قضاء بجاية المسؤول عن منطقة سطيف قضائيا، عندما أخبر النيابة العامة بالجزائر العاصمة عن ختمه وغلقه للتحقيق في قضية العثور على جثث مقطعة للشهداء حنوز محند أعراب و أبنائه الأربعة، و هي مرمية في «وادي أغريون» بخراطة، و كانت حجته في ذلك أنه لم يعرف الجاني!

بينما كان شهد و علم الجميع في خراطة من معمرين و جزائريين، كيف أبيدت عائلة حنوز في الساحة العامة من طرف قوات الليف الأجنبي<sup>32</sup>.(Legion étrangère)

رابعا: لم يكن استشهادهم نتيجة قتل عشوائي كما حدث فعلا، في أماكن عديدة من إقليم البلدية، بل كانوا مستهدفين، طيلة الحرب العالمية الثانية، كما تدل على ذلك التقارير الدورية التي كان يكتبها حاكم البلدية الممتزجة للسلطات الاستعمارية العليا المدنية و العسكرية، حيث كان يذكرهم بالاسم و يضع تحته خط ليدل عن خطورتهم من وجهة نظره، ويذكر تفاصيل دقيقة عن أحوالهم الشخصية، بل حتى عن صفاتهم الخلقية و الأخلاقية، و دقائق الأمور عن أنشطتهم التربوية كالبرامج و المواد المدرسة، و الاحتفال بمختلف المناسبات الدينية، و عن مواقفهم السياسية المشبوهة من وجهة نظره، و ينعتهم بصـفات مختلفة، كالتعصب، أو المسبوقين قضائيا، أو أصحاب العواطف الوطنية - الإسلامية!.

خامسا: رغم استشهاد أوليائك الأبطال، زرع نشاطهم بذورا أثمرت بعد حين، و تمثل ذلك في الشباب الجزائري الذي تربى وتعلم على أيديهم في المدارس العربية الحرة، مبادئ الوطنية، و انظموا إلى الثورة الجزائرية الكبرى، في الفاتح من نوفمبر 1954م، فخلصوا بلداتهم من الاستعمار الفرنسي و ظلمه، على غرار ما فعل شباب الجزائر من خريجي تلك المدارس أو غيرهم في مناطق أخرى من وطننا الغالي.

في ختام هذه الدراسة نستنتج، أن الاستعمار الفرنسي كان عدوا لأي مبادرة مهما كانت من شأنها أن تجعل الجزائريين يحسنون أو يطورون أوضاعهم وأحوالهم، ومنها التربية والتعليم، ومكافحة الجهل والامية، وقد كان في البلدية رجال مخلصين تمتعوا بحيوية، ونشاط، و وعي نادر ومثير للإعجاب جلب لهم شأن و سخط المعمرين و السلطات الاستعمارية مدنية و عسكرية على السواء، وتعرض جلهم للقتل و الإبادة بمعية أسرهم الأبرياء أحيانا في مجزرة 8 ماي 1945 و ما تلاه من أيام، ولكن شهادتهم لم تذهب سدا بل جعلت من استقلال الجزائر في المنظور القريب أمرا محتوما ، كما حصل فعلا سنة 1962.

PREFECTURE  
DE  
CONSTANTINE

ARRÊTÉ

Le Préfet du Département de Constantine,  
Officier de la Légion d'Honneur,

Vu la demande formée par le nommé Cheikh Belaribi el Houdi  
en vue d'être autorisé à ouvrir une école coranique privée à Kenafa  
(Takitaunt)  
Vu l'article 18 du Décret du 8 Décembre 1897 ;  
Vu les avis favorables de M. L'Administrateur de Takitaunt  
et M. l'Inspecteur d'Académie de Constantine ;

**ARRETE :**

Article premier. — Le nommé Cheikh Belaribi el Houdi  
est autorisé aux fins de sa demande, sous la réserve qu'il se conformera au  
règlement sur l'enseignement privé lequel devra être placardé en français  
et en arabe dans la salle de l'école. En second lieu, il ne devra pas recevoir  
les enfants d'âge scolaire pendant les heures de classe des écoles publiques,  
conformément aux prescriptions de l'article 55 du Décret du 18 Octobre 1892

Article 2. - M. L'Administrateur de Takitaunt  
est chargé de l'exécution du présent arrêté.

Constantine, le 28 Aout 1941.  
P. LE PRÉFET,  
LE SECRÉTAIRE GÉNÉRAL :  
Fouad St.

Pour copie conforme et notification.  
1° à M. L'Administrateur de Takitaunt, Peugeot ville.  
s/c de M. le Sous-Préfet de Sétif  
à toutes fins utiles.  
2° A M. l'Inspecteur d'Académie de Constantine, pour son information.

Constantine, le 28 Aout 1941.  
P. LE PRÉFET,  
Le Secrétaire Général,

Affaires Indigènes  
N° 99/6

Minute

قرار حاكم عمالة قسنطينة، يرخص لفتح مدرسة خراطة العربية الحرة، مؤرخ في

33 1941/08/28

رسالة من وكيل الجمهورية في بجاية إلى وكيل الجمهورية لمحكمة الاستئناف في العاصمة، يخبره فيها طيه للتحقيق في قضية مقتل أفراد عائلة حنوز إثر اكتشاف جثثهم في «وادي أغريون» بحجة أن الجاني مجهول، مؤرخة في 1946/11/09. 34

**Le Procureur de la République à Monsieur  
le Procureur Général près la cours d'Appel.**

ALGER

Comme suite à votre dépêche du 13 Mars 1946 n° 123756 et 3018 par laquelle vous me prescriviez d'ouvrir une information régulière dans une affaire relative à la découverte le 6 février dernier, dans les gorges de l'oued aghrioum (Kerrata) de cadavres de la famille Hanouz Arab. Dont six membres avaient disparu au cours des émeutes de mai 1945 j'ai l'honneur de vous rendre compte, que sur mes réquisitions conformes, Mr. Le juge d'instruction de mon siège a rendu, ce jour, une ordonnance de non lieu dans cette procédure ouverte, contre x, les consorts Hanouz, qui avaient été arrêtés pour leur participation aux émeutes, par des militaires venus pour rétablir l'ordre, avaient été tués ni quels étaient les auteurs de ces meurtres.

Bougie, le 9 Novembre 1946

**P. le Procureur de la République**

Signé : illisible

*Pour copie conforme*

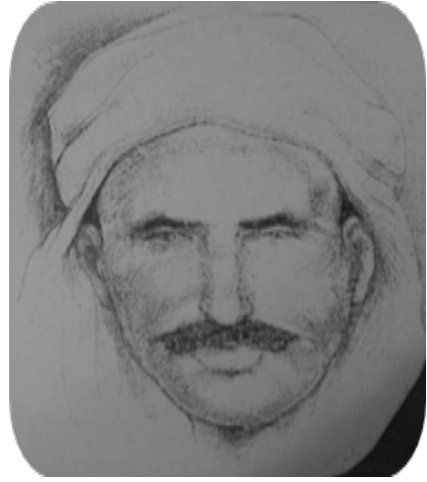
**Le Procureur Général.**

الملحق رقم 03 :

صور لرواد التعليم العربي الحر بنوعيه التقليدي و الحديث في بلدية تاقيطونت  
المختلطة من 1939 إلى 1945. 35



صورة 02: الشهيد الطبيب محند أعراب  
حنوز(خراطة)



صورة 01: الشهيد عبد القادر بن علاق  
(عموشة)





صورة 04: الشيخ معطي الأطرش  
المدعوصالح (عموشة)



صورة 03: الشهيد محمد الطيب حكيمي (بني  
عزيز)

#### الهوامش:

1-Maxime Champ : La Commune Mixte d'Algérie , Editions P. et G. Soubiron , Alger , 2° édition revue et augmentée , p.22.

2-Didier Guignard : La mise en place de l'administration coloniale en Algérie (1880 – 1914) , colloque pour une histoire critique et citoyenne . Le cas de l'histoire franco – algérienne, 20 – 22 juin 2006, ENS LSH , 2007 , <http://ens-web3.ens-lsh.fr/colloques/France-Algérie/communication.php3?id-article=280>

3-Cherif Benhabyles : L'Algérie Française vue par un indigène, Edition Fontana , Alger , 1914 , pp. 50 – 51.

4-Champ : op.cit., pp. 43 – 82.

5 هي ترجمة للعبارة الفرنسية « Code de l'Indigénat » ، وهي مجموعة من القوانين الرهيبة الجائرة التي سنتها الإدارة الفرنسية سنة 1881 لتطبيقها على المسلمين الجزائريين دون غيرهم من سكان الجزائر من المستوطنين الفـرنسيين والأوروبيين، واللذين أطلقت عليهم اسم «Indigènes» أي الأهالي. ولقد حدد قانون الأهالي عند صدوره 41 مخالفة يعاقب عليها الجزائريون ثم انخفضت هاته المخالفات إلى 21 مخالفة عام 1891 لتستقر عند 23 مخالفة من سنة 1904 إلى 1914. كما حددت مدة سريان مفعوله بسبع سنوات ولكنه سيمدد لنفس المدة عند نهاية كل أجل حتى سنة 1930 وهو تاريخ إلغائه بقرار إداري، لكن بقي سائر المفعول في الواقع حتى 1962. أنظر بهذا الصدد:

Isabelle Merle : De la légalisation de la violence en contexte colonial. Le régime de \_



L'indigénat en question, in *Politix*, n°66 Volume 17 Année 2004, pp. 137 – 162  
 6 قبل 25 أوت 1880م، كان في تاقيطونت مكتبا عربيا، تأسس في 1856، و كان تابعا للحاكم العسكري في مدينة سطيف، و تولى قيادته كل من: النقيب كابدبون (Capdepont) من 1858 إلى 1863 ، الملازم كينو (Queneau) من 1864 إلى 1865، الملازم بولوند ((Boulard من 1866 إلى 1867، النقيب رافان (Raffin) من 1868 إلى 1869، النقيب ماريشال (Maréchal) في 1870 ، النقيب بيدولت (Bidault) في 1871، الملازم أنقوت (Angot) في 1872، النقيب لانق (Lang) من 1876 إلى 1878 ، وقد كان النقيب برويير (Bruyère) آخر قائد للمكتب العربي في 1879، وذلك قبل تحول المكتب العسكري إلى بلدية مختلطة.أنظر:

- R. Peyronnet : Livre d'or des officiers des Affaires Indigènes 1830 – 1930 , T.1 (Histoire et Annuaire) , Imprimerie Algérienne , Alger , 1930.

7-A. Sicard : Pratiques médicales , superstitions et légendes de la commune de Takitount , in *Revue Africaine* , V. 55 Année 1911 , A. Jourdan Libraire – Editeurs , Alger , pp. 61 – 62.

8-M. Alquier: Notice concernant les Communes du Département de Constantine , Vve D. Braham Imprimeur – Editeur , Constantine , 1927 , p. 123.

9-Archives de la Wilaya de Sétif.: Monographie de la commune mixte de Takitount , 1944, pp. 14 – 15.

10-Archives de la Wilaya de Constantine: Monographie de la commune mixte de Takitount , 1946 , p.07.

11-Ibid.

12-A.W.C.: Notice sur la commune mixte de Takitount, 1940 , p. 3.

13-Centre National des Archives d'Algerie: Rapport de L'Administrateur de la commune mixte de Takitount, A Monsieur le Préfet de Constantine au sujet des écoles coraniques, 031944/02/, s.p.

14-Ibid.

15 أنظر: الملحق رقم 02 ، صورة (04) لمعلم المدرسة العربية الحرة التقليدية، الشيخ معطي الأطرش المدعو «صالح».

16 شهادة السعيد لطرش وهو شقيق أصغر للشيخ معطي المدعو «صالح» بعموشة، يوم الاثنين 12 2007/11/

17 نفسها.

18 نفسها.

19 نفسها.

20 نفسها.

21-A.W.S.: op.cit

22 أنظر: الملحق رقم 02، الصورة (2) للشهيد الطبيب و الناشط في مجال الاصلاح محند أعراب حنوز.

23-C.N.A.A. : op.cit

24 أنظر: الملحق رقم 02، صورة (01) للشهيد المصلح عبد القادر بن علاق.

أنظر: الملحق رقم 01، قرار حاكم عمالة قسنطينة يرخص فتح مدرسة خراطة العربية الحرة، مؤرخ في 25/08/1941.

26-C.N.A.A.: op.cit.

27-Ibid.

28-Ibid.

29 أنظر: الملحق رقم 02، الصورة (03) للشهيد محمد الطيب حكيمي المصلح والكشاف في بني عزيز.

30-C.N.A.A. : Rapport du Centre d'Informations et d'Etudes sur la commune mixte de Takitount, 101942/04/, s.p.

31-C.N.A.A.: Rapport de L'Administrateur de la commune mixte de Takitount, A Monsieur le Préfet de Constantine au sujet des écoles coraniques, s.p.

32 أنظر: الملحق رقم 02، رسالة من النائب العام لقضاء بجاية إلى النائب العام للقطر الجزائري، عن إقفاله التحقيق في قضية العثور على جثث مرمية في «وادي أغريون» بخراطة لأسرة حنوز.

33-A.W.C. : Arrêté du Préfet du département de Constantine autorisant cheikh Belaribi el hadi a ouvrir une école prive a Kerrata, daté le 28 aout 1944.

34-C.N.A.A : Rapport du Procureur de la République de Bougie au Procureur Général près de la cours d'Appel d'Alger sur les conclusions de l'information régulière relative à la découverte de cadavres de la famille Hanouz, fait à Bougie le 09/11/1946.

35 الأرشييف العائلي: عائلة بن علاق، عائلة حنوز، عائلة حكيمي، عائلة الأطرش.



## النشاط السياسي لنجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري بمدينة تلمسان 1935-1939م

عمر جمال الدين دحماني- طالب دكتوراه- جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس

### المقدمة:

عرفت مدينة تلمسان في الثلاثينات من القرن العشرين منعطفات في مسيرة الأحداث التي رُسمت من خلالها محطات تاريخية، كان لها وزنها الاجتماعي على سكان المدينة، إذ شكل ظهور الوعي ( الثقافي والسياسي ) حلقة مهمة من حلقات هذه المسيرة، التي بدأت تبرز داخل تلك النشاطات الثقافية متمثلتاً في الجمعيات والنوادي التي ذاع صيتها بالمدينة، كما تمثلت أيضاً في النشاطات السياسية التي احتك بها السكان وذلك لتحقيق مقصد الحرية والتنفيس الاجتماعي، فكان منها طلوع ذلك النجم وارتقاءه على سماء شمال إفريقيا، فاستحق أن يطلق عليه تسمية « نجم الشمال الإفريقي »، هذا الذي تمثل في فرعه بتلمسان أين قام بنشاطات سياسية كبيرة، تمحورت أساساً في تحريك الحس الوطني ودفعه إلى تحقيق أهداف الحرية والاستقلال، ولا نخرج عن هذا الصرح السياسي إذا تحدثنا عن نشاط سياسي آخر عرف بحزب الشعب الجزائري تولد بنتيجة حتمية عن نجم شمال إفريقيا بعد حله، فكان لتلمسان الحظ أن أنشأ بها فرع له، وبذلك ضمنت استمرار النشاط السياسي بداخلها.

ومن هذا المنطلق نريد أن نتعرف على أهم المحطات التي ميزت النشاط السياسي لنجم شمال إفريقيا وكذا حزب الشعب الجزائري بمدينة تلمسان 1935-1939م.

### أولاً- الإرهاصات الأولى للنشاط السياسي بمدينة تلمسان:

شهدت مدينة تلمسان مع مطلع القرن العشرين نهضة فكرية صاحبها وعي سياسي وثقافي، برز جلها في إنشاء وتأسيس لتلك الجمعيات والنوادي التي كان لها دور إيقاظ الحس الوطني وتحريك المشاعر الفكرية في أبناء الوطن، ولا يخرج أبناء تلمسان عن

هذا الصرح الفكري، إذ عمدوا إلى توضيح هذه الصورة منذ بداية تكوين النخبة المثقفة بتلمسان كأمثال : محمد ابن رحال\*، ومحمد مرزوق\*... .

وعليه فقد كان حال صوت التلمسانيين ينبع من داخل هذه الأندية والجمعيات كتعبير عن فحوى انشغالاتهم الفكرية « والسياسية<sup>(1)</sup> » كأمثال نادي الشبيبة الذي تأسس سنة 1904م من قبل المعلمين الأوائل للغة الفرنسية، كان مقره بباب الجياد في مقر La coupole وكان تحت رئاسة السيد منير بورصالي، وأتخذ محلا لاجتماعاتهم بدل الذهاب إلى المقاهي<sup>(2)</sup>.

**والنادي الإسلامي** الذي تأسس في بداية العشرينيات، بعد الخلاف الذي وقع بين المعلمين والأمير خالد حول موضوع الهدف الأساسي للجزائر، -أي البعد السياسي للجزائر-، بعدما كان هؤلاء المعلمين يرون أن ارتباط مستقبل الجزائر لا يكون إلا مع فرنسا، وبذلك نلاحظ الانشقاق الذي حصل بداخله، ونذكر على سبيل المثال الشيخ محمد مرزوق وموقفه من هؤلاء المعلمين ( المفرنسين )، وبذلك نلاحظ أنهم أسسوا جناح آخر اسمه حركة الشبيبة الإسلامية سنة 1921م لتعارض بذلك أفكار ومبادئ الشبيبة اللائكية ( النادي الإسلامي)<sup>(3)</sup>، وبذلك قام هذا النادي بتقديم رواية « فتح الأندلس » للزعيم المصري مصطفى كامل، وامتازت بنجاح كبير<sup>(4)</sup>.

أما عن الجمعية السنوسية الخيرية فقد أنشأت سنة 1924م، وكان مقرها بزقاق الرمان في دريبة الزرار، ترأسها الشيخ محمد مرزوق والذي كان مؤسسها الفعلي، « قامت هذه الجمعية بأعمال جليلة في الميدان الديني والاجتماعي وكانت تعتبر بمثابة الأم لكل الجمعيات الموجودة آنذاك.<sup>(5)</sup> » وبولوجنا إلى النشاط الرياضي بمدينة تلمسان مع بداية القرن العشرين فإننا نلاحظ ذلك النشاط الذي امتاز به النادي الرياضي الفرنسي التلمساني والذي اعتبر النادي الوحيد بالمدينة، إلى أن تكون نادي المستقبل التلمساني لرياضة الجمباز في سنة 1912م وكان هدفه الرئيسي الرياضة والموسيقى<sup>(6)</sup>.

يذكر السيد محمد قنانش أن «الحركة الوطنية حينما بدأت تنتظم في المدينة، كان الفن الروائي من أهم الوسائل لإذكاء الشعور بالوطنية، ولو في إطار ضيق<sup>(7)</sup> » من هنا

نتابع أولى بدايات تأسيس جمعية أحباب الكتاب بتلمسان سنة 1927م، والتي كان لها دور مهم في النهضة الثقافية بالمدينة والناحية الوهرانية، كما نشاهد أن الجمعية قد إلتفتت في نشاطها إلى المسرح وهذا أهم شيء استمد منه النشاط السياسي بمدينة تلمسان شعوره بالوطنية، فقد مثلت عدة مسرحيات نذكر منها:

- رواية « آخر بني سراج » لشاتو بريان ترجمة الأمير شكيب ارسلان.
- رواية « دار القاضي » نالت إعجاب الحاضرين.
- رواية « صلاح الدين الأيوبي »<sup>(8)</sup>.

وهكذا تبدأ منذ سنة 1933 بتلمسان تقام «مشاهد صغيرة من رواية أو اسكتش مسلي في قبو تحت الأرض أمام سيدي إبراهيم ثم انتقلت إلى بيت خارج في نهج بني زيان»<sup>(9)</sup>

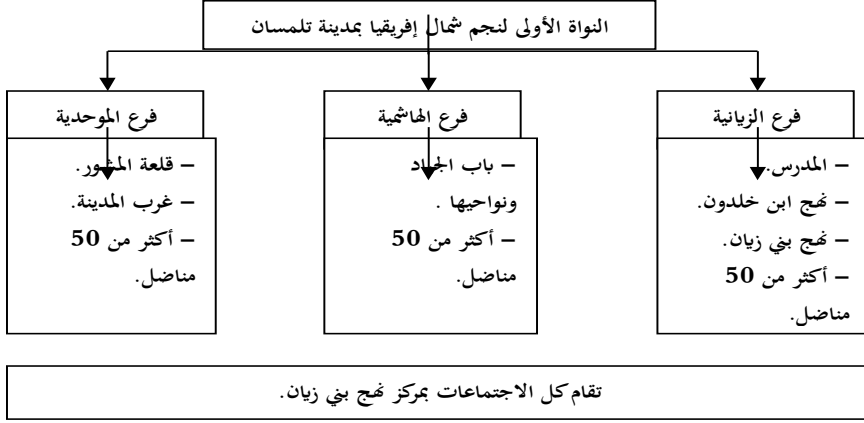
ومن هذا المنطلق يمكن القول أن بذور نجم شمال إفريقيا كانت تنمو شيئاً فشيئاً داخل جو هذه الأندية والجمعيات، وهذا ما عبر عنه السيد مصالي الحاج بالقول أن «نجم شمال إفريقيا كان معروفاً في الوطن قبل مجيئه إلى العاصمة، إذ تحلى بوجود سياسي مدعماً بعدة فروع منتشرة في العملات الثلاث، إلا أن أنشطتهم كانت تدور في سرية»<sup>(10)</sup> ويزيد يذكر بالنسبة لمدينة تلمسان «أن بعض الخلايا كانت قد تأسست في السابق داخل الأندية والجمعيات أين يجتمع الشباب، وتميزت بحسن تنظيمها»<sup>(11)</sup>.

إذن كل هذه البذور التي نظمت في شكل خلايا كانت مجتمعة بانتظام، فعلى حسب شهادة السيد محمد قنانش «أن مدينة تلمسان كانت مكونة من ثلاثة فروع» وهي:

- فرع الزيانية: نسبة إلى بني زيان، ويضم المدرس و نهج ابن خلدون و نهج بني زيان.
- فرع الهاشمية: نسبة إلى الأمير عبد القادر، ويضم باب الجياد ونواحيها.
- فرع الموحدية: نسبة إلى الدولة الموحدية، يضم المشور وغرب المدينة.

كان كل فرع يضم أكثر من خمسين مناضلاً وكانت الاجتماعات تقع في مركز نهج بني زيان ولكل فرع يومه الخاص، زيادة على نادي الرجاء - سنتطرق إليه في الصفحات القادمة - الذي كان قد انتقل إلى دريبة الزرار وكان يقوم بالمحاضرات والتعليم<sup>(12)</sup>.

(الشكل الموالي: من إعداد الباحث بالاعتماد على مذكرات قناش محمد).



ومن هنا تتكون النواة الأولى التي فكرت في إنشاء فرع للنجم في مدينة تلمسان وقيامها بالتوعية والتنظيم ونشر «جريدة الأمة» في الأوساط التلمسانية<sup>(13)</sup>، أمثال السيد أحمد حلوش، والسيد الخوقي بن شك، والسيد معروف بومدين، من نادي شارع بني زيان، والسيد تجيني سقال المناضل مع قدماء الحركة بباريس<sup>(14)</sup>.

ثانياً/- تأسيس فرع نجم شمال إفريقيا بمدينة تلمسان 1935م:<sup>(15)</sup> إن أبرز ما ميز سنة 1935م كونها مليئة بالأحداث التاريخية التي بقي شأن صيتها إلى يومنا هذا، فزيارة وزير الداخلية الفرنسي «مارسيل رينيى MARCEL Rénier» إلى الجزائر لم تمر هكذا «إذ أغتنم النواب والمتمسكين بالاستعمار هذه الفرصة لتنظيم مظاهرة سلمية بالعاصمة وقسنطينة لافتين الراية الفرنسية وناطقين بشعارات مثل «أن الجزائر فرنسية» غير أن رجال الأمن اضطهدوا المتظاهرين<sup>(16)</sup>».

وكان من مطالب النواب عند استقبالهم من طرف الوزير مايلي:

- منح الجنسية لكل الجزائريين رغما عنهم . فلم تقبل ولم يستجاب مطلبهم هذا.

كما نتج عن ذلك إصدار «قانون رينيى Décret Rénier» سنة 1935م الذي وصف بالقمعي والجائر والغاشم، وفي الأخير «تربع قانون رينيى على عرش قانون الأندجينا

Indigénat وقانون الغاب ليتم الثالث المشؤوم للقمع الاستعماري بالجزائر<sup>(17)</sup>».

وعلى اثر هذا القمع الاستعماري انعقد المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا بتلمسان في سبتمبر 1935م<sup>(18)</sup> ليكون جواباً بيناً لزيارة الوزير رينبي وقانونه الجائر.

\* **كولج دوسلان Collège de Slane**: لقد أظهر طلبة « كولج دوسلان » بمدينة تلمسان حركة شديدة وتصدي لأساتذتهم الذين كانوا في أغليبيتهم ينفون وجود أمة جزائرية، وتوحيد مع ممثلي الطلبة والاتفاق على توحيد الصفوف، تقرر إنشاء فرع « نجم شمال إفريقيا » يضم جميع التيارات ويتكلف بالتحسيس الوطني وبالترتيب ونشر الجريدة دون انقطاع، «وهكذا نشأ فرع « النجم » بتلمسان<sup>(19)</sup>» يمثل:

- السيد سيد أحمد حلوش والسيد الغوتي بن شك: ممثلان عن تلاميذ كولج دوسلان .
- السيد بومدين معروف: ممثل عن نادي نهج « بني زيان ».
- السيد التجيني السقال: مُعرف بالحركة الوطنية في باريس والمتحدث والمتصل بالأوساط الأخرى<sup>(20)</sup>.

وقد كَلَّف السيد مصالي الحاج للسيد معروف بومدين مهمة تنظيم فرع « النجم » بتلمسان والسهر عليه و «قد تكون هذا الفرع من<sup>(21)</sup>» :

- السيد معروف بومدين ولد الحسين: محاسب.
- السيد قنانش محمد ولد عبد الرحمن: خياط.
- السيد برزوق مصطفى ولد محمد: كاتب عمومي.
- السيد سنوسي محمد ولد الماحي: صانع أحذية.
- السيد قلوش جديد عبد السلام: معلم سابق ورئيس نادي الرجاء.
- السيد مراد بودية ولد محمد الصغير ابن ديمراد: عامل في مطبعة.
- السيد شلبي حميد ولد محمد: طالب ومثقف.
- السيد بريكسي عبد القادر ولد محمد: صانع برادع.

#### 1- تأسيس نادي الرجاء بتلمسان ماي 1936م:

تأسس هذا النادي سنة 1936م من قبل نجم شمال إفريقيا حيث امتاز بنشاط سياسي



وتعليمي وتربوي وكذا مسرحي<sup>(22)</sup>، هذا الأخير الذي حظي بمكانة عالية من طرف أعضاء النادي، حيث وجدوا من خلال هذا النشاط المسرحي متنفسا عن كل أفكارهم السياسية التي يسعون لتحقيقها.

لقد توسع هذا النادي حتى بات يضم عددا كبيرا من الشباب الذين تدفقوا فيه بأعداد كثيرة،<sup>(23)</sup> وهذا كله يؤكد ذلك الحماس الوطني الذي غرسه السيد مصالي الحاج بمدينة تلمسان، « وكثرة تنقله بين أرجاء القرى والمناطق والحرص على اللقاءات بالشباب وإلقاء الخطب المشجعة والحماسية في أوساطهم.<sup>(24)</sup> »

ومن الروايات المسرحية التي قدمها نادي الرجاء هي رواية « هند العظيمة » التي تدور أحداثها حول احتلال إيطاليا للبيبا، وذلك بمناسبة عيد الفطر المبارك وحضرها جمع غفير من الناس، فلم تتسع قاعة البلدية، وقد حضر إلى هذا الحفل كل من الشيخ البشير الإبراهيمي « والشيخ محمد مرزوق وجميع مستشاري البلدية ووجوه المدينة<sup>(25)</sup> » وبعض المصلحين ومدير فرقة بابا عز الدين المصرية التي كانت تقوم بجولة بالجزائر آنذاك، وقد أُعجب بالتمثيل<sup>(26)</sup>.

## 2- انعقاد مؤتمر فيدرالي لعمالة وهران بمدينة تلمسان 11 نوفمبر 1936م:

بعد أن قضى السيد مصالي الحاج ثلاثة أشهر بالجزائر يجول في أرجاء مدينتها، ويتصل بمختلف الطبقات - استمر السيد مصالي الحاج ينتقل من منطقة إلى منطقة ومن مدينة إلى مدينة من أجل توضيح أهدافه وبرنامج حزب نجم شمال إفريقيا وذلك سعيا منه لالتفاف الشعب الجزائري حوله - وأسس عدة فروع، بات لزاما عليه العودة إلى باريس لمهام حزبية ويعرض بذلك على الإدارة العامة للحزب تفاصيل - تقارير - ما أنجزه وما قام به في الجزائر.

وجه السيد مصالي الحاج بيان إلى الأمة الجزائرية أورد فيه تحية كبيرة للشعب الجزائري الكريم وبين فيه عدة نقاط أهمها :

- بين الآلام والآمال.
- دعوة إلى العمل والكفاح حتى تستعاد الحرية والاستقلال.

\* نداء 12 نوفمبر 1936: (البيان)

« أَيُّهَا الشَّعْبُ الْجَزَائِرِيُّ الْكَرِيمُ سَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ لَكَ أَقْسَمُ أَنْ يُصْحِي فِي سَبِيلِ

حُرَيْتِكَ وَسَعَادَتِكَ إِلَى آخِرِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَآخِرِ جُزْءٍ مِنْ رُوحِهِ، وَآخِرِ نَفْسٍ مِنْ رَمَقِ حَيَاتِهِ. « وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا شَعْبُ يَوْمَ وُلِدْتَ حُرّاً عَزِيزاً، وَيَوْمَ نَشَأْتَ حُرّاً شَرِيفاً، وَيَوْمَ تُصْبِحُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُرّاً طَلِيقاً، وَتُزَفَرُ عَلَى هِضَابِ الْمَجْدِ أَعْلَامُكَ، وَتَتَنَاوَلُ نُجُومَ السَّمَاءِ أَحْلَامُكَ، وَيَنْتَصِرُ لَكَ فِي الْعَالَمِينَ إِيْمَانُكَ وَإِسْلَامُكَ...»<sup>(27)</sup>

إذن في يوم 5 نوفمبر 1936م يرجع السيد مصالي الحاج إلى مدينة تلمسان ليودع عائلته، وليطلب الورقة الصفراء من البلدية ليتمكن من خلالها أن يسافر إلى فرنسا، وتم له ذلك في 8 نوفمبر 1936م<sup>(28)</sup>، وفي 11 نوفمبر 1936م يتم انعقاد مؤتمر فيدرالي لعمالة وهران بمدينة تلمسان حيث أرسلت فروع « النجم » الأساسية على مستوى القطاع الوهراني وفودها إلى هذا المؤتمر<sup>(29)</sup>، وذلك لغرض دراسة الحالة السياسية والنظامية، وكانت أولى كلماته في الوطنية بعد افتتاح ألقاه الأستاذ الهادي السنوسي في جلسته الأولى<sup>(30)</sup>. وقد تشكلت هذه الوفود من<sup>(31)</sup> :

الوفد	الأعضاء الممثلين في المؤتمر
وفد مستغانم.	السيد ولد عيسى. الطالب بومدين بن سماعيل. الطالب بن عليوه.
وفد غليزان.	السيد غنام. السيد الشاذلي المنور. السيد محمد بن يمراد.
وفد سيدي بلعباس.	السيد الجيلالي البادسي.
وفد عين تموشنت.	طالب كان بالمدرسة الرسمية ( فرانكو-إسلامية ) بخصوص الطالب من معسكر هو « بلبقرة محمد صغير » <sup>(32)</sup>
وفد معسكر.	
إلى جانب وفد تلمسان المحتضن لهذا المؤتمر.	

### 3- اجتماع 17 أوت 1936م:

اثر وصول السيد مصالي الحاج إلى مدينة تلمسان في 17 أوت 1936م، وبعد تلك الحفاوة التي أستقبل بها من طرف سكان المدينة وتقديم الحليب والتمر وخبز الشعير -

وهم من الرموز الأساسية لاستقبال الضيف المرحب به - وإلقاء كلمة الترحيب، استأذن للجميع بقسط من الراحة.

- وفي مساء ذلك اليوم أقيم حفل استقبال على شرف رئيس «نجم الشمال الإفريقي» بمنزل أمام البستان العمومي حضره كل من شبان الحركة الوطنية وممثلون عن الأحزاب السياسية المنتمون إلى الجبهة الشعبية، وافتتحت جلسة الاجتماع كالتالي:
- السيد محمد قنانش: افتتاح الجلسة بكلمة ترحيب للضيف والمدعوين.
  - السيد بومدين معروف: - بصفته كاتب عام لفرع «النجم» بتلمسان - ألقى كلمة ضمنها التعريف بالحركة الوطنية وآفاقها.
  - السيد الغوتي بن شك: ألقى كلمة حول الحياة الاقتصادية.
  - السيد بومدين الشافعي: ألقى كلمة بصفته ممثلا للطلبة .
  - كلمة ممثل الجبهة الشعبية.
  - كلمة ممثل المؤتمر الإسلامي الجزائري السيد بوشامة عبد الرحمن.
  - السيد مصالي الحاج: ألقى كلمة أعطى فيها تحليلا للسياسة العالمية ، وبين وضعية الجزائر في هذه الإستراتيجية وموقف «النجم» من جميع القضايا، وحث الشبيبة على النظام والعمل المتواصل<sup>(33)</sup>.

كما أعقب هذا الاجتماع اجتماع آخر لإدارة فرع تلمسان تحت إشراف رئيس الحزب ، وخرج بعدة مسائل عملية كان أبرز عنوانها هو أن الحركة ( النجم ) هو حركة نضال .

كما اجتمع أيضا السيد مصالي الحاج مع بعض المعلمين الجزائريين، وكان أغلبهم ينتسب إلى الحزب الاشتراكي<sup>(34)</sup>، حيث « رأوا استحالة تحقيق مطالب الاستقلال، فما كان من مصالي إلا أكد لهم أن الاستقلال شيء طبيعي ومعقول، أما الاندماج غير ممكن لا عقليا ولا تاريخيا ولا عمليا<sup>(35)</sup> » .

كما وضع لهم بأنهم يعيشون في الأوهام - أي بعيدين عن الحقيقة - وخائفين منها ، وما الاندماج إلا خرافة يلهيكم بها أساطين السياسة الاستعمارية، كفيوليت وغيره، - بينما - مهتمكم الأساسية كمعلمين أن تقوموا بدوركم على أحسن وجه في تعليم أبنائنا تعليما

وطنيا وتربوا هذا الجيل تربية صحيحة وهكذا تكونوا قد شاركنم في بناء وطنكم فكل واحد منكم يمكنه أن يكون وطنيا إذا قام بدوره<sup>(36)</sup>.

### ثالثا/- زيارات مسؤولو فرع تلمسان صحبة مصالي الحاج:

يمكن القول أن وجود السيد مصالي الحاج في القطاع الوهراني، والتفاف مناضلي « النجم » حوله، ساهم بشكل كبير في رفع نفستهم وتقوية مبادراتهم - النشاط السياسي - فنلاحظ ذلك في تحركاتهم وزياراتهم المتكررة داخل وخارج مدينة تلمسان، والسعي لتحقيق أهداف عديدة وهي:

- إنشاء فروع جديدة تابعة « للنجم » والسهر على تنظيمها والاتصال بقادتها من أجل خلق جو التعاون السياسي والاجتماعي.
- كسب ثقة الشباب وتوحيد النظرة المستقبلية للجزائر.
- التقرب أكثر من الإصلاحيين سواء في شكل لقاءات فردية أم في شكل زيارات متبادلة على مستوى النوادي والجمعيات.
- توسيع دائرة النضال وإعطاء أهمية كبيرة للبعد الاجتماعي الذي تمثله الزوايا الدينية داخل المجتمع، ومحاولة التقريب المجتمعي في ذلك.

والجدول الآتي نبين فيه هذه الزيارات وأهم الأهداف التي حققتها<sup>(37)</sup>:

الزيارة	الاستقبال	برنامج الزيارة	نشاطات الزيارة
إلى سيدي بلعباس 30 أوت 1936م.	الجيلالي البادسي.	إنشاء فرعا لنجم شمال إفريقيا.	- الذهاب إلى النادي الأدبي وإلقاء خطاب حول سوء المعاملة التي يتلقاها سكان نواحي سيدي بلعباس من طرف الكولون .
إلى عين تموشنت 31 أوت 1936م (صباحا).	- اللجنة الشعبية. - لجنة السلم.	تعزيز التعاون مع فرع للنجم عين تموشنت .	- إقامة اجتماع بدار النقابة، حيث ألقى السيد مصالي الحاج خطابا باللغتين وكان الاجتماع ناجحا. - زيارة الحي الشعبي خارج المدينة وأخذ صور مع أصحاب الحي.

إلى سيدي بلعباس 31 أوت 1936م (مساء).	نادي النجاح ممثلا عنه الشيخ ابن حلوش مصطفى .	دعوة حضور من طرف نادي النجاح.	- إلقاء كلمة ترحيب من طرف الشيخ حلوش مصطفى رحب فيها برئيس النجم وحث الناس على حب الوطن والعمل من أجله. - إلقاء السيد قنانش محمد كلمات للعريف بالحركة. - إلقاء السيد مصالي الحاج خطابا جامعا نال به تصفيقات الجمهور.
إلى نادي السعادة بتلمسان 1936م	نادي السعادة	احتفال أصحاب النادي.	- الترحيب بالسيد مصالي الحاج من طرف رئيس النادي وتكريمه. - كلمة شكر وامتنان ألقاها السيد محمد قنانش للنادي ، عرفانا له لمواقفه الحسنة في الإصلاح وفتح أبوابه لمؤتمر طلبة شمال إفريقيا. - كلمة السيد مصالي الحاج والتي كان موضوعها يدور حول العمل المتواصل والنظام.

كما كانت له زيارات متكررة للزوايا الدينية المتواجدة بمدينة تلمسان، لاسيما الزاوية الدرقاوية - زاوية الشيخ بن يلس - التي كان من مريديها في شبابه، كما لا ننسى اتصاله بالشعب والفلاحين و - التقرب منهم - في القرى، كما زار كل من جامع سيدي أبي مدين بالعباد وجامع عين الحوت وقرى أخرى<sup>(38)</sup>.

#### رابعا- الجبهة الشعبية والقرار بحلّ « النجم » 26 جانفي 1937م:

لقد ساعدت عدة عوامل خارجية وداخلية للسعي وراء حلّ « نجم شمال إفريقيا » ، فكان التربص لهذه العملية من طرف الإدارة الاستعمارية وشيكا، إذ بعد « انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري ومقتل كحول وتشيت المؤتمر ... أظهر لهم - الإدارة الاستعمارية - خطر الحركة الوطنية على مطالب المؤتمر وعلى نفوذهم في وسط الشعب، فحاربوا الوطنيين ومنعواهم من الكلام في اجتماعاتهم... وبما أن الشيوعيين هم الذين كانوا يسرون دفة المؤتمر فقد طلبوا من الحكومة أن تجعل حدا لنشاطات النجم<sup>(39)</sup> » .

ومع الخطاب التاريخي الذي قام به السيد مصالي الحاج اثر عودته إلى الجزائر، بعدما

كان قد التقى ببعثة «المؤتمر الإسلامي» ، حيث هاجم به البرامج الاستعمارية ووضح في المقابل مشروعا وطنيا، ثم قام بجولة سياسية في المدن الجزائرية، وبعد عودته إلى فرنسا - واجهته - دعوى ضد «النجم» لحله يوم 26 جانفي 1937م من طرف الجبهة الشعبية<sup>(40)</sup>.

#### \* جمعية أحباب الأمة:

إن هذه الإجراءات الإدارية الاستعمارية لم تؤثر على واقع نشاط «نجم شمال إفريقيا» الذي لجأ إلى تأسيس جمعية سميت بـ (أحباب الأمة) وذلك لتغطية جميع النشاطات التي يقوم بها «النجم»، ويذكر السيد مصالي الحاج أنه «خلال اجتماع للفرع المركزي طلبت من أصدقائي مواصلة أعمالهم باسم جمعية أصدقاء الأمة<sup>(41)</sup>» وهكذا فقد استمرت «النشاطات باسم «أحباب الأمة» التي كانت دائما بجانب الحزب (النجم) تقوم بنشر الجريدة<sup>(42)</sup>» والدعاية لها، وقد كان السيد محمد قنانش الكاتب العام لجريدة الأمة بالنسبة للقطاع الوهراني<sup>(43)</sup>.

ولإبراز الوجود السياسي من حيث القوة والتمسك، سعى حزب الشعب الجزائري إلى عقد الاجتماعات من حين لآخر، وأبرز هذه الاجتماعات هو الاجتماع الذي نظمته «أحباب الأمة» ومسؤولو حزب الشعب الجزائري في تلمسان يوم 28 ماي 1937م برئاسة السيد محمد قنانش<sup>(44)</sup> .

#### خامسا/- تأسيس فرع حزب الشعب الجزائري بتلمسان ماي 1937م:

في اجتماع لجمعية «أحباب الأمة» بنانتير (باريس) أعلن عن تأسيس حزب الشعب الجزائري<sup>(45)</sup> يوم 11 مارس 1937م<sup>(46)</sup> ، «وجدد الاختلاف بين النجم وحزب الشعب في كون الأول اعتنى بالدفاع عن كامل إفريقيا الشمالية في حين اقتصر الثاني أي حزب الشعب الجزائري على إبقاء العلاقات مع تونس والرباط<sup>(47)</sup>» .

وعليه فإن السيد مصالي الحاج يذكر «أن إنشاء حزب سياسي بعد حل نجم شمال إفريقيا إنما هو عملية جريئة وخطيرة وضرب من الجنون<sup>(48)</sup>» وبعد أخذ ورد في عملية اختيار التسمية وقع الاختيار على تسمية «حزب الشعب الجزائري»<sup>(49)</sup> وتقرر أن يكون

السيد مصالي الحاج هو رئيس هذا الحزب<sup>(50)</sup>.

أما في الشأن الداخلي لتلمسان، فالواقع أن الدعاية ضد الرواية والمضايقات التي تعرضت لها فرقة الرجاء والتي ضمت في صفوفها السيد محمد قنانش، والموسيقي عبد الكريم دالي، والسيد بومدين الشافعي، والسيد جيلالي البادسي، وغيرهم، كانت عبارة عن مؤشر يوحى بصدور إجراءات صارمة ضد « النجم » وذلك ما حدث عندما قررت الإدارة الفرنسية منع رواية « هند » بكامل التراب الوطني والمغرب وتونس بل وأكثر من ذلك لجوء حكومة ليون بلوم الاشتراكية إلى إصدار قرار حل « النجم » يوم 26 جانفي 1937م<sup>(51)</sup>.

وبذلك يتأسس فرع تلمسان مع نهاية ماي 1937م، وهو بذلك يعتبر كأول فرع يتأسس على مستوى العمالة - وبقي ينشط في سرية - إلى أن عقد أعضاء هذا الفرع مهرجان احتجاج ضد إيقاف المناضلين ( مفدي زكريا ولحول )، وذلك يوم 28 ماي 1937م وتم إعادة تنظيم هذا الفرع في 29 أوت من نفس السنة.

- السيد معروف بومدين: رئيسا.

- السيد قنانش محمد: مساعدا.

- يضم هذا الفرع: 150 مناضلا.<sup>(52)</sup>

كما أن مطالب الحزب جاءت تتناول قضية المجلس ( البرلمان ) الجزائري المنتخب من طرف الجميع دون الأخذ بعين الاعتبار عنصر الدين واللغة، ورفض مطلق لسياسة الاندماج والفرنسة والعمل على تحرير الجزائر<sup>(53)</sup>.

سادسا/- الاحتجاجات والإضرابات بمدينة تلمسان:

1- تجمع شعبي احتجاجي 29 أوت 1937م:

لقد اشتدت حدة الصراع بين مصالي الحاج والحزب الشيوعي الجزائري منذ الاجتماع ببلدية تلمسان في أبريل 1937م، واتهام الحزب الشيوعي الجزائري لمصالي بأنه يخدم مصالح الامبريالية والاستعمار<sup>(54)</sup>، وزادت حدة الصراع بينهما أكثر فأكثر لما علم السيد مصالي الحاج أن الحزب الشيوعي الجزائري وأحزاب الجبهة الشعبية سيشاركون في

احتفالات 14 جويلية 1937م<sup>(55)</sup>.

وبد ذلك نلاحظ أن السيد مصالي الحاج قد « أخبر من طرف زوجته بأنها قد خيبت علماً أثناء وجودها في تلمسان ، هذا العلم الذي رآه الناس وصفقوا عليه وقبلوه طوال الصبيحة كلها بين بلكور ومسجد الجزائر العاصمة<sup>(56)</sup> » ، وبعد هذا الحدث اتهمت السلطات الاستعمارية أنصار الحزب بتهديد أمن الدولة، فأعتقل على اثر هذا السيد مصالي الحاج ورفاقه في 27 أوت 1937م<sup>(57)</sup>.

وعلى اثر هذا القمع والاعتقالات « نظم تجمع شعبي عظيم بمدينة تلمسان<sup>(58)</sup> » يوم 29 أوت 1937م تنديدا على اعتقالات القادة ، « وقد تم تنظيم هذا التجمع الشعبي كل من: السيد معروف بومدين، بمساعدة السيد بوحنان عبد الله ، والسيد ابن قنانش، والسيد عومارة محمد، بمكان فندق « مولاي الحسن » في ساحة الزقاق<sup>(59)</sup> » ، وحضره أكثر من ألفين من الأشخاص وكان العلم الجزائري يخفق ويرفرف فوق الرؤوس<sup>(60)</sup>.

## 2- إضراب جماعي 15-16 سبتمبر 1937م:

شهدت مدينة تلمسان في الأيام الأخيرة من يوم اعتقال السيد مصالي الحاج وإخوانه ضروبا في المعاملات القاسية، فمن تفتيشات في المنازل إلى تهم ودعاوي باطلة، ومن مناورات قوات البوليس والجندرمة إلى قفل مركز الحزب وضرب واعتقال المناضلين، فقد ألقى القبض على الأخوين: بومدين معروف ومصطفى بن رزوق.

تأثر سكان مدينة تلمسان لحملة الاعتقال التي تعرض لها قادة الحزب، فأعلنوا احتجاجهم القوي بتنظيم إضراب عام عن العمل وغلق جميع الدكاكين بالمدينة، فكان الأول من نوعه من حيث الإجماع، وأقيمت مظاهرات أمام دار المحكمة وفي المسجد الكبير - حيث أقيمت فيه صلاة جماعية - وفي الشوارع<sup>(61)</sup>.

## سابعا/- حملات الاعتقال وحل حزب الشعب الجزائري:

بعد الاعتقالات الأولى التي مست كلاً من رئيس « حزب الشعب الجزائري » وبعض من أعضاء هيئته في 27 أوت 1937م واعتقال مسؤولو فرعه في تلمسان السيد معروف بومدين و السيد رزوق مصطفى سبتمبر 1937م، استمرت حملات الاعتقالات، نوردها كالتالي:



- في 25 فيفري 1938م: أعتقل السيد ارزقي كحال، والسيد فيلاي مبارك، والسيد لخضر حيواني، والسيد محمد قناش، في 14 نهج بوتان بالعاصمة.
- في 01 مارس 1938م: أعتقل السيد فيلاي علي، والسيد جلول أحمد، في عنابة، والسيد بوجريدة عمار في قالمة.
- في 18 أبريل 1938م: أعتقل السيد محمد بلبورهان، والسيد علاوة بومعزة، والسيد عبد الرحيم الطاهر، بقسنطينة، ثم السيد عبد القادر هرقة، والسيد أحمد مزغنة، والسيد مصطفى دشوك، والسيد محمد العساكر، بالعاصمة.
- في 25 أبريل 1938م: أعتقل السيد عبد الكريم بن عصمان بتلمسان، ثم السيد رابح موساوي، والسيد عمار بن دحمان، والسيد الجيلاني محمد السعيد، بفرنسا وحولوا إلى سجن بربروس<sup>(62)</sup>.

ومع اقرب اندلاع الحرب العالمية الثانية، أصدرت فرنسا قوانينها التي تتمحور حول تنفيذ سياسة المنع والتسلط اللذين بقيا كعنوانين رئيسيين أثناء هذه الفترة، وعليه فقد منعت الإدارة الاستعمارية كافة التظاهرات الوطنية (احتجاجات- إضرابات- تجمعات شعبية...).

وفي سبتمبر 1939م صدر مرسوم يقضي بحلّ « حزب الشعب الجزائري »، وإغلاق صحيفة البرلمان<sup>(63)</sup>، وبدأت حملة الاعتقالات لمناضليه.

وبالرغم من هذا كله نلاحظ أن « نشاط الحزب لم يتوقف بفضل ما بقي من قاداته خارج السجن، ومناضليه والمتعاطفين معه وقاعدته الشعبية<sup>(64)</sup> »، وبذلك يلجأ عناصر الحزب المتبقية « بعد حالات القمع والاضطهاد الإداري والقضائي المسلط عليها من قبل الإدارة الاستعمارية » إلى - جمعيات وطنية لم يشملها الاضطهاد والتعسف الاستعماري - كـ « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » التي كان يتم التقارب والتآزر بينهما على مستوى النوادي والجمعيات والكشافة الإسلامية والمدارس وغيرها، وسيستمر هذا التقارب طيلة فترة الحرب العالمية الثانية<sup>(65)</sup> ». وهذا ما أكدّه الشيخ خالد مرزوق حين قال: « أن معظم من لهم نشاط سياسي داخل حزب الشعب الجزائري، كان لهم ميول كبير لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>(66)</sup> » .

كما توضح هذا التقارب أيضا على مستوى الكشافة الإسلامية الجزائرية متمثلتاً في فرعها « فرع المنصورة » بتلمسان الذي احتضن أزيد من « 10 أعضاء من حزب الشعب الجزائري<sup>(67)</sup> » .

ومن الملاحظ أيضا أن نشاط حزب الشعب لم ينقطع - خصوصا بتلمسان - ، إذ بقي في نشاط مستمر ولكن في سرية تامة وهذا ما حصل على مستوى بلدية أولاد ميمون ( لامورسيار ) إذ استمر نشاط الحزب بواسطة الأخوين « عياشي » من خلال عقد سلسلة من الاجتماعات للشبيبة الجزائرية، وكانت تتم هذه اللقاءات في أماكن متنوعة، خاصة منها في « حمام بالي أو بعلي » بأولاد ميمون،<sup>(68)</sup> وكانت جل المواضيع مرتبطة أغلبها باهتمامات حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين، كما عقدت عدة اجتماعات أيضا في المحل الصغير لعائلة العياشي، حيث كان يستغل في بعض الأوقات ليجتمع فيه بعض الشبان الجزائريين، ولكن وفي المقابل أغلقت الإدارة الاستعمارية هذا المحل واتهموه بإفساد وتحريض الشباب على الاستعمار الفرنسي<sup>(69)</sup>.

لقد كانت تهدف هذه الاجتماعات إلى غرس أفكار ومبادئ حزب الشعب الجزائري في أوساط الشبيبة الجزائرية، وتنمية الروح الوطنية لديها ومحاولة تنظيم شبكة سرية لاستمرار الدعاية الوطنية بمدينة تلمسان وضواحيها، هذا ما جعل العياشي الذي غادر تلمسان بأن يستقر في أولاد ميمون ويتأرض خلية الحزب بتلمسان وينشر مبادئ الحزب واستقطاب الشريحة الشبابية وتعبئتها وتجنيد لها لنشر الدعاية الوطنية بالمنطقة<sup>(70)</sup>.

#### الخاتمة:

تعد الفترة من 1935 إلى 1939م نقطة - تقارب وانفصال - لأهم نشاط سياسي بمدينة تلمسان، إذ اعتبرت بمثابة حلقتين زمنيتين متقاربتين ولكنهما منفصلتين، فالحلقة الأولى مثلت ميلاد جديد لنجم شمال إفريقيا مكونا في فرعه الذي تأسس في 1935م، والذي شهد نشاط سياسي كبير وأعتبر كقاعدة فكرية سياسية بعد القاعدة الأولى التي مثلتها الحركة الإصلاحية، ففترته ملئت بأحداث سمية - بأحداث بداية الوعي التحرري - وذلك لما يحمله من مبادئ استقلالية ومواقف تحررية، وقد كُرس هذه المواقف في العديد من المجالات فمن تأسيس النوادي « نادي الرجاء » وعقد اجتماعات ومؤتمرات إلى توسيع

دائرة النشاط إلى المدن المجاورة والسعي إلى تشكيل هياكل جديدة وموحدة.

ثم تأتي الحلقة الثانية كحتمية مُقَرَّة والتي وصفت بالانفصالية لأنها انفصلت عن « النجم » كون هذا الأخير قد تعرض للحلّ من طرف الإدارة الاستعمارية، وبالرغم من ذلك فإن حزب الشعب الجزائري الممثل في فرعه بتلمسان يبدأ نشاطه منذ 1937م بحماس كبير وتشجيع قوي مستوحى من مبادئ « النجم »، فيلاحظ ذلك في تكثيف الجهود على مستوى تلمسان وحتى على مستوى العمالة مشكلتنا نفوذا كبيرا من خلال تأسيس لفروع عديدة ومتنوعة، وكذا محاولة توطيد العلاقات مع تيارات الحركة الوطنية، كجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية، حيث يبرز مردود هذه العلاقة مع نهاية 1939م حين يحلّ حزب الشعب من طرف الإدارة الاستعمارية ولجوء أعضاء الحزب إلى هذه التيارات لاستئناف أعمالهم بشكل سري.

#### الهوامش:

- \* - يعد السي محمد ابن رحال من أهم الشخصيات الوطنية التي لعبت دورا رياديا بالإسهام في تشكيل الحركة الوطنية الجزائرية، وسعى للمحافظة على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، ولد محمد بن رحال في 16 ماي 1857م بندرومة، ينحدر من أسرة عريقة في المجد والسؤدد. لمزيد من التفاصيل ينظر إلى: عبد المجيد بن عدة، (المنقث الثائر سي محمد بن رحال 1857-1928م)، حولية المؤرخ يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 5، دار الكرامة للطباعة والنشر، جوان 2005م، ص 151-152.
- \*\* - ولد السي محمد مرزوق في 21 يناير 1884م من عائلة شريفة، تابع دراسته بالمدرسة (الفرنسية العربية)، ثم (الفرنسية الإسلامية)، فتحصل على شهادة دراسات الأدب العربي، وشهادة الفرنسية بمدرسة المعلمين. لمزيد من التفاصيل ينظر إلى: خالد مرزوق، يقظة الروح الوطنية الثقافية 1908-1939 قصص وشهادات (مخطوط)، ص 22-23.
- (1) - لحسن جاك، (التواصل بين مدينتي معسكر وتلمسان في إطار الحركة الوطنية 1930-1954)، أعمال الملتقى الوطني: HOMMAGE A MESSALI HADJ 1898-1974 (تحية مصالي الحاج 1898-1974) ، يومي 17 و18 سبتمبر 2011م، تلمسان 2014م، ص 155.
- (2) - خالد مرزوق والمختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف 1907-1931-1956 وملحق، طبعة خاصة 2013، دار زمورة للنشر والتوزيع الجزائر 2013م، ص 67.
- (3) - نفسه، ص 68.
- (4) - محمد قنانش، مذكرات 1915-2001م، جمع الأستاذ خالد مرزوق (مخطوط يتكون من 30 نصا)، ص 38.
- (5) - خالد مرزوق والمختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، المرجع السابق، ص 69.
- (6) - نفسه، ص 101.
- (7) - محمد قنانش، مذكرات، المصدر السابق، ص 39.
- (8) - نفسه، ص 38-39.
- (9) - نفسه، ص 39.
- (10) - إبراهيم مهديد، الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني خلال عقد الثلاثينات- النهضة والصراع السياسي، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة وهران جوان 1986م، ص 142.

- (11)- نفسه، ص 143.
- (12)- محمد قنانش ومحفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي 1926-1937 وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984، ص 121.
- (13)- إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 143.
- (14)- خالد مرزوق، يقظة الروح الوطنية الثقافية 1908-1939، المرجع السابق، ص 174-175.
- (15)- تأسس فرع تلمسان بعد القرار الذي خرج به مؤتمر النجم المنعقد سنة 1933م القاضي بإرسال مبعوثين عنه إلى الجزائر لتأسيس فروع له: فرع تلمسان وفرع مستغانم في 1935، فرع سيدي بلعباس في 30 أوت 1936، وفرع غليزان وفرع عين تموشنت وفرع معسكر في 1936م، ينظر إلى: لحسن جاك، المرجع السابق، ص 155-156.
- (16)- محمد قنانش، مذكرات، المصدر السابق، ص 81. وينظر أيضا إلى: خالد مرزوق، يقظة الروح الوطنية الثقافية 1908-1939، المرجع السابق، ص 173.
- (17)- محمد قنانش، مذكرات، المصدر السابق، ص 81.
- (18)- خالد مرزوق والمختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، المرجع السابق، ص 157. وينظر أيضا إلى: لخضر عواريب، جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1955، مذكرة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 2006-2007م، ص 104.
- (19)- خالد مرزوق، يقظة الروح الوطنية الثقافية 1908-1939، المرجع السابق، ص 174.
- (20)- محمد قنانش، مذكرات، المصدر السابق، ص 82.
- (21)- إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 143.
- (22)- خالد مرزوق والمختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، المرجع السابق، ص 105.
- (23)- مقابلة شفوية مع الشيخ خالد مرزوق، تلمسان من 1 25- ديسمبر 2014م ( تقرير عن الزيارة ).
- (24)- مقابلة شفوية مع الحاج عبد المولى بن عبد المولى، مناضل بارز في صفوف حزب الشعب الجزائري على مستوى الجهة الغربية لمدينة تلمسان ( أولاد ميمون - عين السر - سيدو )، أجريت المقابلة في ماي 2014م.
- (25)- خالد مرزوق، يقظة الروح الوطنية الثقافية 1908-1939، المرجع السابق، ص 158.
- (26)- خالد مرزوق والمختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، المرجع السابق، ص 105.
- (27)- للاطلاع على النص الكامل للنداء ينظر إلى: خالد مرزوق، مصالي الحاج الأب المطارد والأبناء المتمردون، م 1، ( غير منشور )، ص 35-43.
- (28)- محمد قنانش، مذكرات، المصدر السابق، ص 113.
- (29)- إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 146.
- (30)- محمد قنانش، مذكرات، المصدر السابق، ص 113.
- (31)- نفسه.
- (32)- لحسن جاك، المرجع السابق، ص 157.
- (33)- محمد قنانش، مذكرات، المصدر السابق، ص 129-130.
- (34)- نفسه، ص 107-108.
- (35)- إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 149.
- (36)- محمد قنانش، مذكرات، المصدر السابق، ص 108.
- (37)- محمد قنانش ومحفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي 1926-1937، المصدر السابق، ص 119-121.
- (38)- نفسه، ص 121.
- (39)- محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 76-77.
- (40)- محمد قنانش، مذكرات، المصدر السابق، ص 160.
- (41)- مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، تر: محمد المعراجي، منشورات ANEP سلسلة التراث 2007، ص 219.

- (42)- محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر، المصدر السابق، ص 78.
- (43)- مقابلة مع الشيخ خالد مرزوق، تلمسان شهر فيفري - أوت 2015م.
- (44)- إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 196.
- (45)- محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر، المصدر السابق، ص 79.
- (46)- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 96.
- (47)- لحسن جاك، المرجع السابق، ص 158.
- (48)- مصالي الحاج، مذكرات، المصدر السابق، ص 223.
- (49)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م، ص 219.
- (50)- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر 1997م، ص 301.
- (51)- لحسن جاك، المرجع السابق، ص 157-158. وينظر إلى: محمد قنانش ومحمود قداش، نجم الشمال الإفريقي 1926-1937، المصدر السابق، ص 125-126.
- (52)- إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 194.
- (53)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المرجع السابق، ص 225-228.
- (54)- قداش محفوظ وقنانش محمد، حزب الشعب الجزائري وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص 36.
- (55)- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص 302.
- (56)- مصالي الحاج، مذكرات، المصدر السابق، ص 232.
- (57)- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص 303.
- (58)- محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر، المصدر السابق، ص 93.
- (59)- إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 198.
- (60)- محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر، المصدر السابق، ص 93-94.
- (61)- نفسه، ص 141 و ص 94.
- (62)- نفسه، ص 98-99.
- (63)- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007م، ص 87-88.
- (64)- صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية - صانعو أول نوفمبر 1954 المواجهات الصغرى في المواجهة الكبرى، دار الكتاب الحديث، الجزائر 2010م، ص 11.
- (65)- مصطفى أوعامري، (بعض مظاهر المقاومة السياسية لحزب الشعب الجزائري بعمالة وهران 1939-1942)، حولية المؤرخ يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 3-4، دار الكرامة للطباعة والنشر، 2005م، ص 451.
- (66)- مقابلة شفوية مع الشيخ خالد مرزوق، المرجع السابق.
- (67)- أمال علوان، دور الحركة الكشفية الإسلامية في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية بالغرب الجزائري ما بين 1936-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 2008م، ص 62.
- (68)- مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945، منشورات دار القدس العربي 2013، ص 57.
- (69)- دراسة الأستاذ محمد الهاشمي حول مدرسة التعليم العربي بأولاد ميمون في 29 أوت 2001م.
- (70)- مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية، المرجع السابق، ص 57-58.

## من التاريخ إلى فلسفة التاريخ - قراءة في تطور الفكر التاريخي في الفلسفة الغربية

د. حساين دواجي غالي - جامعة سيدي بلعباس

التاريخ: دلالات المعنى وتطور المفهوم :

التاريخ كلمة نسمعها يوميا وهي تجري على أفواه البشر، تلوّكها الألسنة، ونأخذها على أنها ذات المدلول البسيط، ويبدو لنا من الوهلة الأولى أنه بالإمكان إعطاء معنى أو تعريفا للتاريخ. أو بإمكاننا أن نعود إلى أي كتاب من الكتب المختصة أو قاموس من القواميس للوقوف على معناها. لكننا عندما نحاول ذلك، نجد أنفسنا في مواجهة العديد من التعاريف المختلفة، المتباينة تارة، والمتكاملة تارة أخرى وكذا المتناقضة. وهذا مرجعه التصور الذي نتبناه في فهم معنى التاريخ. وسنحاول من خلال هذا المقال أن نتناول بعض التعاريف اللغوية والاصطلاحية علنا نقرب من تحديد مفهوم للتاريخ. وأن نقف على أهم المحطات الفكرية التمر بها تطور التاريخ، لنبين مدى اهتمام الغرب بالفكر التاريخي.

إن كلمة (تاريخ) عموما في اللغة تعني تحديد الزمن وهي كلمة مشتقة من مادة أرخ يؤرخ التي تعني الشهر في اللغات السامية والقدّيمة كاللغة الأكادية واللغة البابلية، واللغة الآشورية وتدل في اللغة العربية على الإعلام بالوقت، مضافا إليه ما وقع في ذلك الوقت من أخبار ووقائع.1 يقول (الجوهري): «التاريخ تعريف الوقت و التورخ مثله»2.

والجدير بالذكر أن العرب المسلمين كانوا يستعملون أحيانا كلمة (عدّ) بمعنى (أرّخ) قبل أن تصبح كلمة تاريخ واشتقاقاتها متداولة بينهم بمعنى التوقيت والتقويم، إذ نقل البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قوله: «ما عدّوا من مبعث النبي، ولا من وفاته. ما عدوا إلا من مقدّمه المدينة»3. وقد جرى استعمال كلمة (تاريخ) لمعنى التوقيت بعد ذلك، حتى أصبح معنى هذه الكلمة لغة يدل كما تصرّح معاجم اللغة على الإعلام بالوقت أو تعريف الوقت، وانحصر مفهومها في حقبة استعمالها الأولى تلك بهذا المعنى،

## وإن تعددت ألفاظها بين: تاريخ، وتأريخ، وتورخ. 4.

وتطلق لفظة تاريخ تارة على الماضي البشري ذاته، وتارة على الجهد المبذول لمعرفة الماضي ورواية أخباره، أو العلم المعني بهذا الموضوع ، وهذا اللبس نراه حتى في اللغات الأجنبية histoire الفرنسية و history الإنجليزية، و Geschicht الألمانية. تستعمل الكلمة للمعنيين على السواء إذ يراد من كل تلك الكلمات الإفرنجية حوادث الماضي وأحيانا أخبار هذه الحوادث أو العلم الذي يحققها، وقد حاول بعض الباحثين في الغرب التمييز بينها فأطلق بعض الفرنسيين مثلا كلمة Histoire بـ: (H) على الماضي و histoire بـ: (h) على العلم الذي يدرسه واحتفظ الألمان بـ: Geschichte للمعنى الأول و Histoire للمعنى الثاني، ولكن العادة الجارية ظلت غالبية و بقي اللبس قائما .

وهكذا يتجلى هذا الاختلاف بين اللغات رغم أنها بالجزء الهنديأوروبي (فيد-wid) ويعني المعرفة. فلفظة هيستور Histor كان يراد بها الإنسان الخبير المجرب، أو الإنسان العارف ومنها أتى فعل هيستوريو Historio. أي «البحث عن المعرفة»<sup>5</sup>. وهو نفس الأمر الذي يؤكد (جوزيف هورس) في كتابه قيمة التاريخ حيث يراد بكلمة تاريخ الإنسان الخبير والمجرب والإنسان العارف، ومنها أتى الفعل هيستوريو Historio أي البحث في المعرفة<sup>6</sup>.

ويرجع (مصطفى النشار) في كتابه من « التاريخ إلى فلسفة التاريخ » أن الاشتقاق اللفظي لكلمة Istoria يرجع إلى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد حيث قصد به في البداية «البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة »، وهو كما نلاحظ معنى عام جدا فالأشياء الجديرة بالمعرفة متعددة وكثيرة. وانحصر هذا المعنى العام بمرور الوقت وصارت الكلمة دالة على نوع واحد من المعرفة هو معرفة الأحداث التي وقعت في الماضي ورافقت تطور الأشياء و الظواهر المختلفة ، وبذلك ولد تعبير (التاريخ) بمفهومه الشائع. الذي استخدمه به أوائل المؤرخين اليونان. أمثال (هيرودوت) و(ثيوكديدس) اللذين قصرهما على تتبع الأحداث التاريخية التي صنعها الإنسان في الأزمان الماضية، ومحاولة تمحيص هذه الأحداث، وروايتها على نحو ما وقعت به فعلا بقدر الإمكان .

ثم بدأت الكلمة تتخذ معاني أخرى أكثر اتساعا لدى بعض الفلاسفة، فقد استخدمها



(أرسطو) حينما كتب عن (تاريخ الحيوان) فأصبح التاريخ ليس فقط تاريخا للإنسان وإنما يمكن أن يكون هناك تاريخا للحيوان، والنبات وربما يتسع المعنى أكثر ليكون هناك تاريخا لكل مادة، أو لكل شيء من أشياء الطبيعة الأخرى. وأخذ الرمان الكلمة بمبناها ومعناها كما يقول (روزنتال) في كتابه : «علم التاريخ عند المسلمين»، كتعبير فني لم تتبدل حروفه بانتقاله إلى اللغات الرمانية غير أن معناها أصبح يتقلص<sup>7</sup>.

وفي العربية فإن كلمة (التأريخ أو التاريخ و التواريخ ) كلمات مترادفات بالعربية كلمة *histoire* ويبدو أنها استعملت أول مرة في الآداب العربية مع أخبار إدخال التقويم الهجري بمعنى (التوقيت) أو (التقويم) وجاء بعد أن أخذ المسلمون في عهد الخليفة الراشدي الثاني تقويميا خاصا بهم يستند إلى الهجرة النبوية<sup>8</sup>.

لكن المعنى اللغوي هذا للكلمة تطور بعد تداوله لحقبة من الزمن، فحمل دلالات اصطلاحية، فضلا عن دلالاته السابقة، إذ أصبحت كلمة (تاريخ) مترادفات كلمة (أخبار)، التي كانت تستعمل من قبل. وتمائلها في معنى مشترك هو: تسجيل الحوادث على أساس الزمن. وهي عملية يقوم بها (الإخباري). ثم بدأت تحل منذ حوالي منتصف القرن الهجري الثاني كلمة (تاريخ) محل كلمة (أخبار)، وأصبحت تعني تدوين حوادث الماضي و حفظ الأخبار بشكل متسلسل متصل الزمن والموضوع<sup>9</sup>.

كما يرجح بعض الباحثين أنها من أصل سامي، ومن اللغة العربية الجنوبية وهي تعني في أصلها الأولى «القمر» أو «الشهر» ثم انتقل للدلالة على الشهر في الوثائق حيث اكتسبت الكلمة بعدها معنى الكتابة التاريخية. وقد رسخت في القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي. كما نجد من يرجح ويزعم أن لفظ (تأريخ) مشتق من (تاريخ) العبرية بمعنى القمر أو (يرخ) معنى الشهر<sup>10</sup>، هذا الرأي يذهب إلى أن كلمة تاريخ أخذت عن أصل سامي مشترك هو كلمة (ورخ) بمعنى القمر أو الشهر، وهو أصل اشتقت منه ألفاظ متعددة في اللغات السامية، كلفظ (أرخو) في الأكادية، و(يرخ) في العبرية و(ورخ) في العربية الجنوبية<sup>11</sup>.

أما في العصر الحالي منذ القرن التاسع عشر فقد صارت فكرة التاريخ فكرة عامة وأصبحت تطلق على كل شيء سواء كان حيا أو جامدا<sup>12</sup>.



أما من ناحية الضبط الاصطلاحي، فهناك العديد من التعاريف الاصطلاحية التي حاولت أن تضبط مفهوم التاريخ فإن المتصفح للكتب والمقالات المهتمة باستيمولوجية التاريخ كعلم، سوف نجد كما هائلا من هذه التعاريف المتعددة، مختلفة ومتناقضة حيناً، ومتكاملة حيناً آخر ونجد من بينها :

يعرفه (أرسطو) على أنه :«جمع الوثائق» ويعرفه (بيكون):«العلم بالأمور الجزئية التي تكون الذاكرة وسيلتها»، وعند(ابن خلدون) هو:«خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرضه لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك و الدول ومراتبها، وما ينتحله البشر من أعمالهم ومسايعهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.» وهو عند (السخاوي) : «فن يبحث فيه عن وقائع الزمن من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم.» . ويعرفه (هيجل) hegel :«هو مجموع الدراسات الخاصة بالفكر باعتباره مناقض للطبيعة ..مما يجعل التاريخ «ليس هو الماضي والحاضر فحسب بل إنه أيضا مستقبل الإنسانية الحرة» و لهذا كما سنرى نجده يربط مفهوم العقل الحر بمفهوم التاريخ إذ تاريخ الإنسان عنده هو تاريخ التقدم البشري كما أنه يمثل مراحل نمو العقل الحر للإنسان عبر الزمان . ويعرفه (كولنجوود) collingwood :«التاريخ هو نشاط عقلي يقوم به المؤرخ،فهو ماض يحياه المؤرخ و يستحضره» أو هو :«التاريخ علم يكشف عن جهود الإنسان ، أو الأعمال التي قام بها في الماضي .». كما يعرفه الفيلسوف الإيطالي (كروتشه) croce «التاريخ بأجمعه هو تاريخ معاصر، بمعنى أن التاريخ يتألف بصورة أساسية من رؤية الماضي من خلال عيون الحاضر وعلى ضوء مشاكله».

ومن جهة أخرى فهذا (إدوارد كار) Edward carr يرى:« التاريخ هو عملية مستمرة من التفاعل بين المؤرخ ووقائعه وحوار سرمدى بين الحاضر والماضي ..ولماذا لا نقول مع المستقبل لأن الزمن التاريخي هو ثلاثي في طبيعته الأصلية ،ماض،حاضر، ومستقبل،زمن مسترسل.» . ويعرفه (هنري بير) Henri Berr :« إن التاريخ في المفهوم العلمي هو البحث عن الأسباب التي أنتجت الحضارة منذ قدم العصور ودفعتها قدما عبر الكثير من الأزمان ..»

(ريمون آرون) Raymond Aron هو الآخر يعطينا تعريفا للتاريخ: «التاريخ هو سرد أو هو قصة الأموات يحكيها الأحياء». وكذلك نجد (فرناند بروديل) Fernand Braudel يعرف التاريخ: «إن التاريخ هو الإنسان... والباقي كل شيء تاريخ... الأرض والمناخ... التاريخ علم للإنسان في الزمان عبر المكان...» وهنا نشير إلى أن هذا تأكيد على جيو-تاريخ Géo histoire .

ويعرفه (وولش) Walsh: «إن التاريخ بمفهومه الأمثل، رواية لأفعال الماضي البشري، نظمت على نحو لا نرى فيه ما حدث فحسب، بل أيضا لماذا حدث .

أما على المستوى الفكر العربي المعاصر، فهذا (عبدا لله العروي): «التاريخ من صنع المؤرخ، معناه التاريخ المحفوظ هو ما يرويهِ الحافظ، التاريخ ينتهي عند المؤرخ...» 13 ، فالتاريخ من منظور العروي هنا هو استحضار للماضي من طرف المؤرخ.

كما يرى (قسطنطين زريق) أن التاريخ هو: «السعي لإدراك الماضي البشري وإحيائه... إن لهذا الإحياء قواعده وضوابطه المجارية للغرض العلمي الخالص» 14.

أما (فتحي تريكي) فيرى: «إن التاريخ في العمق هو دراسة الماضي البشري انطلاقا من حس نوعي بالزمان وبإشكالات عصر الدارس أقول الماضي البشري لأنه لا محل للحديث عن التاريخ بالنسبة لغير الإنسان...».

وهكذا نجد أنفسنا أمام كم هائل من التعاريف المختلفة التي تحملنا على صعوبة تبني تعريف معين لأنه قد نأخذ بأحد التعاريف دون تردد وهكذا من الأفضل أن نأخذ بإجابة (هنري مارو) Henry Marro عندما طرح عليه السؤال: ما التاريخ؟ أجاب: أقترح أن التاريخ هو معرفة الماضي البشري كما فعل (ريمون آرون) 15.

### التاريخ بين النزعة الطبيعية و النزعة المثالية:

لقد أثار علماء التاريخ والمناهج مسألة مهمة حول ما إذا كان التاريخ علما كالعلوم التجريبية ؟ وقد استهوى هذا المبحث نفوس كبار المؤرخين، فمنهم من ينفي صفة العلمية عن التاريخ، باعتبار أن العلم يفيد المعرفة اليقينية الدقيقة بحقيقة الشيء، ومنهم من يرى أن التاريخ هو تلك المعرفة العلمية بشؤون الماضي، وأنه بإمكان نقل

مناهج العلوم التجريبية إلى حقل العلوم الإنسانية نظرا لأوجه التشابه بين علم التاريخ والعلوم الطبيعية، فالمنهج التاريخي هو نفسه المنهج المطبق في العلوم الحقة الأخرى. وهذا ما تؤكده النزعة الطبيعية يقول (كارل همبل): «هناك طبيعة في التاريخ كما هناك تاريخ في الطبيعة»<sup>16</sup>، مبينا أن ما أحرزته العلوم الطبيعية من تقدم منذ القرن السابع عشر قد انعكس على العلوم الإنسانية، ولما كان من أسباب هذا التقدم انتهاج العلوم الطبيعية (المنهج التجريبي)، فقد تساءل علماء الإنسانيات عن مدى إمكان تطبيق منهج العلوم الطبيعية على علوم الإنسان، لتحرز تقدما مماثلا .

وما يمكن ملاحظته أن الفضل في تقدم العلوم الطبيعية يرجع بالدرجة الأولى إلى فلاسفة وعلماء، من خلال انشغال الفلاسفة بالمنهج و العلماء بالموضوع ،كما يتبين ذلك من خلال الفلاسفة أمثال (بيكون، لوك، وهيوم) والعلماء أمثال (جاليليو، كبلر، ونيوتن).

لقد انعكس ما أنتجه هؤلاء العلماء و الفلاسفة، وما أحرزوه من نتائج في مجال العلوم الطبيعية على التاريخ ، وأصبح العلم هو وحده القادر على إغراء التاريخ بعد أن تصدعت سلطة الدين والفلسفة.

وأما المؤرخون الذين ينفون صفة العلمية عن التاريخ، فيرون أن علوم الطبيعة وحدها خاضعة للتفسير والتعليل، لأنها تقوم على الملاحظة والتجربة والاستقراء والمقارنة. بخلاف العلوم الإنسانية والتي من ضمنها التاريخ لأنها لا تخضع إلا للفهم والتأمل. ويقصد هنا بالتفسير النهج التحليلي الذي يقوم على إبراز العلاقات السببية بين الظواهر، في حين أن الفهم نهج تركيبى يركز على معرفة الغير وتأويل النوايا البشرية عبر استعمال التفكير الفلسفي.<sup>17</sup>

يقول (كروتشه): «كل التاريخ تاريخ معاصر»<sup>18</sup>. تعتبر النزعة التاريخية أهم ممثل لهذا التيار الذي يرى أن منهج التاريخ مستقل عن منهج العلوم الطبيعية، ويمثل (هردر) \* هذه الحركة، لقد تكاثفت عوامل دينية وفلسفية وأدبية لتجعل من (هردر) رائد الحركة التاريخية المعارضة لعصر التنوير، فالفهم للتاريخ لديه كما حدده في كتابه «فلسفة أخرى للتاريخ» يقتضي التحرر من سوء التصور عصر التنوير للتاريخ، معتبرا أنه عصر يفترض

وحدة الطبيعة البشرية، وقيم بصورة مطلقة يفرضها على كل عصور التاريخ ، مع أن التغير الدائم هو جوهر مسار التاريخ، كذلك ليست مهمة المؤرخ إصدار أحكام الزيج والظلال على الماضي. كما يرى أن زعماء عصر التنوير يرون أن التاريخ تدهور خلال العصر الوسيط وتقدم خلال عصر التنوير، وبذلك يتجاهلون الطابع الاستمراري للتاريخ. كما أن التاريخ يمثل روح الأمة ولا يمكن التعرف على روح الأمة بمنهج العلوم الطبيعية، لأن هذا لا يكشف إلا على الطابع الظاهري أما الماضي التاريخي فهو ماضي روحي، ولا يمكن التعرف على الروح إلا بالروح. ومن ثم فلا بد على المؤرخ كي يتعرف على شخصية الأمة أن يتفاعل معها، وأن يستشعر في ذاته تراثها، ولا يتسنى له ذلك بمنهج العلوم الطبيعية.

والحقيقة أن التاريخ علاقة بين طرفين :وقائع الماضي وعقل المؤرخ، وقد طرحت المدارس التاريخية في الفكر المعاصر تصورات عدة أعادت للتاريخ واقعيته، وقربته من الدراسة العلمية المجردة من البواعث الفلسفية، وهذا ما تطرحه مدرسة الحوليات من خلال التاريخ الجديد حيث نجد انفتاح مؤرخي الحوليات على التخصصات الاجتماعية المختلفة الأخرى، كان له أكبر الأثر على صناعة التاريخ، فالتجديد لم يلحق موضوع ومنهج المؤرخ فحسب بل أثر في عقلية المؤرخ ذاتها، وكما قال (بروديل) فإن:«التاريخ ربما لأنه أقل العلوم بناء، يقبل كل دروس جيرانه ويعمل على تطبيقها».

### فلسفة التاريخ: المفهوم و الدلالات

تقديم:تعتبر فلسفة التاريخ عموما أهم المباحث الفلسفية الحديثة، فهي لم تتضح كمعرفة مستقلة إلا في القرن السابع عشر، ثم تحددت معالمها في القرن الثامن عشر الذي شهد العديد من فلاسفة التاريخ أمثال(فيكو، مونتسكيو، وتورجو، وفولتير، وكوندروسيه، هرذر، وغيرهم) وبلغ الاهتمام بالدراسات التاريخية ذروته في القرن 19 حتى ليتمكن أن نطلق عليه اسم (عصر التاريخ) على يد أعلام هذا القرن أمثال:هيغل، ماركس، توينبي وشبنجلر.

من هنا نتساءل ماهي فلسفة التاريخ؟ وماهو الفرق بينها وبين التاريخ من جهة وعلم التاريخ من جهة أخرى؟

## مفهوم فلسفة التاريخ:

إن الفلسفة ضرورية للتاريخ كما هي ضرورية لأي علم آخر، فلا يمكننا أن نتحدث عن أسباب التدهور والانحلال والتقدم والانحطاط والتي هي وقائع تاريخية إلا داخل الفلسفة بمعرفة السبب الكلي أو العلة الأولى، وقد ذكر (هورس) في كتابه «قيمة التاريخ»: «أن التاريخ لا يستطيع وحده وبكفاية من ذاته أن يغذي حياة داخلية وثقافة في الإنسان، ولا يستطيع أن يصبح العنصر المدير بالنسبة إليهما ولا روحهما... فهذا الدور لا يقدر على تمثيله غير الفكر المتحكم بالنظريات... ولنقل.. غير الفلسفة»<sup>19</sup>.

لذا ومع هذه الضرورة وهذا التكامل بين الفلسفة والتاريخ أصبح لزاما على الفلاسفة وحتى المؤرخين إخضاع حقل التاريخ للفلسفة، وكان (فولتير) أول من استعمل وبصفة مباشرة المصطلح في القرن الثامن عشر، وكان يقصد به عرض تحليلي ونقدي، فكانت تعني عنده «التفكير المستقل الذي يستند إلى النقد والتحليل»<sup>20</sup>. وكان فولتير يعني بمصطلحه المبتكر هذا أن يدرس التاريخ على أسس تحليلية نقدية يلتزم فيها المؤرخ بنوع من التفكير التاريخي يمكنه من تمييز روايات التاريخ، على وفق تلك الأسس، لاستبعاد غير المعقول منها. وهذا المفهوم مستمد كما هو واضح من المعنى الذي يتبناه فولتير للفلسفة، إذ هي عنده «التفكير المستقل الذي يستند إلى النقد والتحليل»<sup>21</sup> ومن ثم نجد أن المفهوم الذي قصده فولتير من فلسفة التاريخ كان لا يتجاوز عملية البحث التاريخي، ودراسة التاريخ بما يوسع من أفاقها الفكرية والنقدية للوصول إلى تاريخ يعكس طبيعة التقدم المطرد للعقل البشري، ويبتعد عن دائرة الأفكار الضيقة للمؤرخين الأوروبيين التي تهتم بالحروب والتاريخ السياسي فحسب، دون تاريخ الحضارات.<sup>22</sup>

ثم قام (جون باتيستا فيكو) ومن خلال كتابه «علم جديد» تحديد تصور جديد لمفهوم التاريخ متجاوزا مفهوم (ديكارت) للمعرفة التاريخية. وفي حدود القرن 19 استعمل (هيجل) وغيره العبارة نفسها ولكنهم قصدوا بها معنى آخر هو التاريخ العام أو تاريخ العالم... ثم استخدمت نفس العبارة في معنى ثالث على لسان الكثير من فلاسفة القرن 19 والذين رأوا أن فلسفة التاريخ تهدف إلى الكشف عن قوانين عامة تنظم سياق الحوادث التي يتبعها التاريخ.

عموما فإن فلسفة التاريخ هي البحث في الوقائع التاريخية من أجل اكتشاف العوامل الأساسية التي تؤثر في سير هذه الوقائع وتعمل على استنباط القوانين العامة التي تتطور بموجبها الأمم والدول أي تهتم بتفسير وفهم مجرى التاريخ في ضوء نظرية فلسفية معينة ، وتضع لعلم التاريخ أساسا فلسفيا، بحيث لا يبقى التاريخ مجرد سرد وتفسير للوقائع فقط، وإنما البحث عن القوانين الثابتة التي تفسر تاريخ البشرية وفق تحليل دقيق. 23.

ونخلص من كل هذا ومهما تعددت الرؤى إلى فلسفة التاريخ في أبسط تعريف لها عبارة عن النظر في الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية، والعمل على استنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر العصور. 24.

ومن هذا التعريف يتجلى لنا الفرق بين التاريخ كعلم ، وفلسفة التاريخ، فعلم التاريخ يخضع لقواعد منطقية بعيدة عن الاعتباطية و الصدفة، في حين أن فلسفة التاريخ تسعى إلى الوقوف على العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الحوادث التاريخية الكلية ، فهي تسعى إلى الكشف عن الروابط المنطقية للحوادث التاريخية في كليتها، ففيلسوف التاريخ لا ينظر إلى الحوادث التاريخية كأجزاء بل كوحدة عضوية بين الحوادث .

ومن هنا يتبين لنا أن فلسفة التاريخ تقوم على مبدئين أساسيين هما:

1- **الكلية** : إن فيلسوف التاريخ يرفض أن يكون التاريخ ركاما من الأحداث الثقافية التي لا يربطها نظام و لا هدف، إنه يسعى لفهم التاريخ على أساس أنه يمثل وحدة عضوية مترابطة الأجزاء ، و من ثم فإن نقطة البدء في فلسفة التاريخ هي التكامل بين أجزائه و الترابط بين وقائعه و صولا إلى فهم التاريخ على أساس أنه تاريخ عالمي شامل للإنسانية، فلسفة التاريخ لا تقف عند عصر معين و لا تكتفي بمجتمع خاص و إنما تظم العالم كله في إطار واحد من الماضي السحيق ، حتى اللحظة التي يدون فيها الفيلسوف نظريته 25.

2- **العلية** : فيلسوف التاريخ يحاول أن يفسر تاريخ العالم من خلال علة أو علتين، وهنا يختلف التعليل عند فلاسفة التاريخ عن التعليل عند المؤرخين، فعند المؤرخين تكون

العلل والأسباب جزئية خاصة بحوادث فردية في زمن معين، في حين التعليل عند فلاسفة التاريخ تكون عامة ويقوم باختزال هذه العلل في علة واحدة كما يتجلى لنا ذلك عند هيجل مثلاً عندما جعل العلة تكمن في تحقق الروح المطلق، أو علة ماركس القائمة على صراع الطبقات، أو شبنجلر الذي يجعلها تكمن في مسار الحياة مثل الكائن الحي، أو توينبي الذي يحددها في قانون التحدي والاستجابة .

### عوامل نشأة فلسفة التاريخ:

لقد كان السبب الرئيسي لنشأة فلسفة التاريخ كما أوضح روادها الأوائل، هو قصور الطريقة السردية، عن اكتشاف مسار التاريخ ، وغايته ، فجاءت فلسفة التاريخ لتحقيق ذلك.

وقد أضاف فلاسفة التاريخ أسباباً أخرى لنشأة فلسفة التاريخ:

- أوضح (فولتير) أن هدف فلسفة التاريخ هو اكتشاف الحكمة أو المعنى الذي تتحرك به أحداث التاريخ ، من أجل تحقيقه لأنه وجد أن ما يكتبه المؤرخون، لا يحقق هذا الغرض يقول: « بعد قراءة وصف مابين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف معركة وبضع مئات من المعاهدات ،لم أجد نفسي أكثر حكمة مما كنت قبلها، حيث لم أتعرف إلا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة.»<sup>26</sup>

لذا فقد دعا إلى تطبيق فلسفة على التاريخ ، ومحاولة تتبع العقل البشري من وراء تدفق الحوادث، يقول: « لا ينبغي أن يكتب التاريخ سوى الفلاسفة، لقد شوهت الأساطير التاريخ عند كل الشعوب.»<sup>27</sup>

- لا حظ ديكرت أن التاريخ يشد المؤرخ إلى الماضي شدا حتى يصبح غريباً عن الحاضر الذي كان من واجب المؤرخ أن ينفث على الحاضر و على الأفكار الفلسفية المعاصرة كي يستطيع أن ينظر إلى الماضي بطريقة متوازنة، وأن يستخرج العبر التي تفيد الناس في الحاضر والمستقبل.

- أن المؤرخ الذي يعيش وطأة الماضي دون الانفتاح على الحاضر، يصاب بحالة شبيهة بالمرض وقد أطلق (نيتشه) على هذه الحالة وصف (داء التاريخ)، أي آفة العقل



الذي يمنح ولاءه الكامل للماضي فيفقد قدرته على التفكير المستقل و المبدع، وهكذا  
فلسفة التاريخ تسعى إلى تعويض هذا القصور لدى المؤرخين إذ تجعل للحوادث  
التاريخية المتتالية والمتراكمة معنى ومغزى، إذ تبدأ كما يلاحظ (كروتشه) من مشكلة  
قائمة في الحاضر، فإنها تقيم الإنسان دائماً فيه، وتربطه به، ومن ثم لا يغوص في  
أعماق الماضي السحيق غوصاً يجعله غريباً عن حاضره.28

- إن فلسفة التاريخ تعمل على شد الفلاسفة إلى عالم الواقع وحملهم على تأسيس  
أحكامهم العامة المجردة على وقائع التاريخ.
- فلسفة التاريخ نشأت أيضاً لتلبية حاجات المجتمع في أوقات الأزمات والشدة كما  
يرى (نيقولا براديف) أنها كانت دائماً حفزاً على التفكير في الماضي وفي المصير ومثيرة  
للاهتمام .

هكذا ومن خلال هذه اللمحة الخاطفة يتبين لنا مدى حضور التاريخ في الفكر الغربي  
منذ اليونان مع (هيرودوت) و(تيوكيديدس) مروراً بالفكر الوسيط مع (أوغسطين)  
و(بوسويه)، وكذا تجلياته في العصر الحديث مع (فولتير) و(فيكو) و(هيجل) و(ماركس)  
الذين فلسفوا التاريخ. ولا يخلو العصر المعاصر من الاهتمام بالتاريخ فهذا تونبي وشبنجلر  
يستقرئ كل منهما تطور الحضارات وانهايارها من خلال التاريخ. وغيرهم من الفلاسفة  
والمفكرين الذين يرون أن بقاء الأمم وتطورها مرهون بمدى وعيها بتاريخها.

#### الهوامش:

- 1- عفت الشقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية ، ط4، 1985 دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت  
ص:-166
- 2- صاطع الحصري، دراسات في مقدمة بن خلدون، ص:171
- 3- د/جميل موسى النجار ، فلسفة التاريخ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط:1/ 2011، ص ص:12/11
- 4- المرجع نفسه، ص: 12
- 5- بن مزيان بن شرقي، دروس في فلسفة التاريخ، ص:17
- 6- المرجع نفسه، ص:17
- 7- مصطفى النشار، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، ص: 12
- 8- د جميل موسى النجار ، فلسفة التاريخ، مكتبة مدبولي ط:1/ 2011 القاهرة ص: 11
- 9- المرجع نفسه، ص: 12
- 10- بن مزيان بن شرقي ، دروس في فلسفة التاريخ، ص: 17



- 11- د. جميل موسى النجار، مرجع سابق، ص: 13
- 12- المرجع نفسه، ص: 13
- 13- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ص: 17
- 14- قسطنطين زريق نحن والتاريخ دار العلم للملايين ط 5 / 1981 بيروت ص 49
- 15- بن مزيان بن شرقي، مرجع سابق، ص: 14
- 16- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ب، ط، 1975، ص: 11
- 17- خالد فؤاد طحطح، في فلسفة التاريخ، الدار العربية للعلوم، ط: 1، 2009 بيروت لبنان، ص: 24
- 18- المرجع نفسه، ص: 26
- \*- جوهان جوتفريد هردر، ولد عام 1744، و قد درس الطب، كما درس اللاهوت، و اشتغل بالتدريس، نشر كتابه (مقتطفات من الأدب الحديث)، شكل مع (جوته) حركة أدبية، و نشر خلالها كتابه: "فلسفة أخرى للتاريخ" عام: 1774، ألف في اللغة و الأدب و علم النفس و الدين و فلسفة الجمال، و له فيها أراء مبتكرة، أهم كتبه التاريخية: أراء في فلسفة تاريخ الجنس البشري في 4 مجلدات صدر سنة: 1784 إلى 1791، رسائل في تقدم الإنسانية في عشر مجلدات
- 19- بن مزيان بن شرقي، مرجع سابق، ص: 18
- 20- المرجع نفسه، ص: 19
- 21- مصطفى شاكر، التاريخ العربي و المؤرخون، ج1، ط2 دار العلم للملايين بيروت، 1979، ص: 53
- 22- د. جميل موسى النجار، مرجع سابق، ص: 19
- 23- عفت الشرقاوي في فلسفة الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص: 166
- 24- د رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، دار الثقافة و النشر و التوزيع، ب ط 1987 القاهرة، ص: 14
- 25- وولش، مدخل إلى فلسفة التاريخ ص: 129، نقلا عن هاشم يحيا الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العالمية، ط1 2007 بيروت لبنان، ص: 6
- 26- المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص: 5
- 27- المرجع نفسه، ص: 5
- 28- المرجع نفسه، ص: 6

## المكاتب العربية وهشروع فرض الاحتلال الفرنسي للجزائر 1844 - 1870

د: سحولي بشير أستاذ محاضر «ب» جامعة الجيلالي اليايسي سيدي بلعباس

### مقدمة :

منذ أن احتلت فرنسا أرض الجزائر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، واجهتها مقاومات شعبية متفرقة في الجهات المختلفة، ورغم أن هذه المقاومات كانت غير منظمة في بعضها، وغير منسقة في بعضها الآخر، إلا أن المتفق عليه أنها قد ألحقت الضرر بالجيش الفرنسي، وهذا بفعل عوامل متداخلة منها الدينية؛ باعتبار فرنسا معتدية وأنها تشن حربا صليبية على أمة مسلمة وبالتالي استوجب على الجزائريين إعلان الجهاد ( وعوامل أخرى اجتماعية اقتصادية؛ بفعل سياسة سلب الأراضي والتفجير وبالتالي استوجب الدفاع عن الأراضي والممتلكات. ونتيجة تلك المواقف الصادرة عن الجزائريين، عمدت فرنسا إلى تبني جملة من السبل والتدابير للقضاء على هذه المقاومات. ومن بين السبل التي اهتدى إليها القادة العسكريون في الجزائر والقادة السياسيون في فرنسا، استحداث أجهزة ذات صبغة إدارية وعسكرية واقتصادية لأجل تحقيق أغراضهم التوسعية والعمل على تثبيت الاستعمار في الجزائر، وأهم هذه الأجهزة، المكاتب العربية التي نشطت في عهد المارشال بيجو Bugeaud.

### أجهزة إدارية قبل المكاتب العربية :

تذكر المصادر التاريخية أن إنشاء أول ديوان متخصص في الشؤون العربية، كان في عهد لامورسيار Lamoricière في فترة حكم الجنرال أفيزار Avizard في الجزائر من 04 مارس إلى 20 أبريل 1833، وكان التأسيس لهذا الديوان العربي قد تم من خلال توجيهات الجنرال تريزال Trézel قائد الأركان، وما عرف عن هذا الديوان أنه كان مصلحة عسكرية وإدارية وجهاز استخبارات للعمليات الحربية، ومما قاله لامورسيار Lamoricière عن هذا الجهاز : >> أن السلطات العسكرية الفرنسية أرادت أن تقوم بنوع من الإحصاء لكل ما هو تحت سيطرتها في المناطق الخاضعة لها في الجزائر، وللقيام بتلك المهمة،

كان على الإدارة الفرنسية أن تتعرف على نظام الملكية في الجزائر قبل مجيء الفرنسيين من خلال التقرب من الأهالي التي تخضع للسيطرة الفرنسية وقبلت بالتعاون معها.>> وقد وضع تريزال Trézel تحت تصرف لاموريسييار Lamoricière أربعة مترجمين وعناصر أخرى من الأهالي المتعاونين مع الإدارة الفرنسية لتنظيم مكتب الديوان العربي.(1)

وباستدعاء لاموريسييار Lamoricière إلى مهام أخرى عين بدله الجنرال فورول Voirol على رأس إدارة المكتب الديوان العربي، وفي سبتمبر 1834 قام المارشال دروي Drouet بإلغاء المكتب العربي، وأوكل مهمة مراقبة الأهالي إلى جهاز جديد استحدثه وهو آغا العرب، وكان هذا الأخير تحت السلطة المباشرة للحاكم العام، ومن مهامه ربط العلاقات مع القبائل والأعراش، والعمل على بسط السيطرة الفرنسية، وتنفيذ قرارات الحاكم العام. (2) ويذكر أن المكتب العربي، قد تحول إلى أداة فعالة في التقاط المعلومات وجمعها والدعاية للاستعمار.(3)

نظرا لرغبة السلطات الفرنسية في توسيع سيطرتها على القبائل والأعراش، أقدمت، قامت بإلغاء مهمة آغا العرب، و أنشأت بدله جهازا لإدارة شؤون الأهالي، أطلق عليه اسم ديوان شؤون العرب. من مهام هذا الديوان، المساهمة في ربط العلاقات بين الإدارة الفرنسية والقبائل في الداخل، بعبارة أخرى جعل القبائل والأعراش يقبلون بالوجود الفرنسي على أراضيهم.(4) كما ساهمت إدارة الشؤون العربية في تسهيل عملية الاتصال بشيوخ القبائل والتفاوض معهم و إقناعهم بقبول مبدأ التعاون مع فرنسا. (5)

#### المارشال بيجو ومشروع المكاتب العربية :

قامت السلطات الفرنسية في باريس بدعم توجهات السلطة المركزية، والسلطات العسكرية في الجزائر، باستحداث هيئة محلية لإخضاع السكان، وهي المكاتب العربية، ولأجل ذلك صدر قرار وزاري مؤرخ في 01 فيفري 1844، ويعتبر بيجو Bugeaud صاحب الفكرة، الهدف منها فرض مراقبة صارمة على المناطق التي يسيطر عليها الجيش هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان بيجو يدرك أنه من المستحيل إدارة السكان الأهالي (الجزائريين) ما لم يكن تحت تصرفه جهاز من المختصين القادرين على مراقبة ومتابعة زعمائهم، بمعنى أن يكون لديه جهاز للجوسسة على زعماء القبائل، لتفادي أية انتفاضة. ولأجل تلك المهمة

قام بيجو Bugeaud إلى إعادة مديرية الشؤون العربية التي ألغاهها فالي Valée بموجب قرار 16 أوت 1841. و تشير بعض الدراسات التاريخية حول الاستعمار والإبادة الفرنسية في المستعمرات، أن السلطات الفرنسية قامت بتعميم هذه المكاتب تدريجيا في الجزائر، لأجل فرض السيطرة والهيمنة، وكان بيجو Bugeaud أحد المنظرين للسياسة الاستعمارية الفرنسية، قد دافع عن فكرة إنشاء هذه المكاتب العربية، حيث قال عنها >> أنها ابتكار جيد وعظيم وضروري إذا أردنا إخضاع البلاد» وقال أيضا «أن النظام - المكاتب العربية- مبني على مجموعة من المبادئ التي نعوها حكمة» (6).

وما يؤكد حرص المارشال بيجو على وضع جهاز يتكفل بقضايا الاهالي الجزائريين ويحقق لفرنسا الهيمنة وتوسيع النفوذ في الجزائر، فقد ذكره أبو القاسم سعدالله في كتابه : >> لقد كان من مهمة بيجو لبس فقط إلحاق الهزيمة بالأمير عبد القادر في الميدان، ولكن أيضا تجريده من النظام الإداري، فقد قلد بيجو نظام الأمير في تعيين الموظفين وإدارة الضرائب، فقد أنشأ إدارة الشؤون العربية، لكي تكون هي الحكم في القضايا المستعصى على موظفي السلطة الفرنسية >> (7) .

### تنظيم مهام المكاتب العربية :

إن أول من أسندت إليه مهمة إدارة المكاتب العربية هو أوجان دوماس Eugene Daumas حيث إلى جانب خبرته العسكرية، إذ بدأ حياته المهنية في أفريقيا كنقيب مدرب في الفيلق الثاني للقناصة، وقد اكتسب معرفة حول الأهالي الجزائريين، إذ تمكن من إتقان اللغة العربية وتعرف على تقاليد وعادات المجتمع الجزائري حين تقلد منصب قنصل في معسكر أيام الأمير عبد القادر. ونظرا لما اكتسبه منت خبرة وحنكة عسكرية، أسندت إليه إدارة مصلحة الشؤون العربية في مقاطعة وهران، ولما توترت العلاقة بين فرنسا والأمير عبد القادر، قام أوجان دوماس Eugene Dumas بتزويد المارشال بيجو Bugeaud بالمعلومات عن القبائل المؤيدة والمعارضة للأمير. وعندما استلم أوجان دوماس Eugene Dumas إدارة المكاتب العربية، أعد في سنة 1844 تقريرا مفصلا عن الجزائريين من جميع الجوانب، مما جعل هذا التقرير يصبح المرجع الأساسي لدى العاملين في المكاتب العربية، لفهم طبيعة القبائل والأعراس في الجزائر آنذاك. (8) وقد عمد بيجو

Bugeaud إلى وضع الهياكل التنظيمية لهذه للمكاتب العربية حتى صارت الوسيلة التي يستعملها الجيش الفرنسي لإخضاع الجزائريين والقضاء على ما تبقى من مؤسسات الدولة الجزائرية التي سبقت الاحتلال الفرنسي.(9)

وقد عين في كل مكتب عربي موظفون بدرجات محددة، فريسه فرنسا برتبة عقيد متقن للغة العربية ويعاونه مترجم، حارس وكاتب وقاض وجابي الضرائب، كما تولى هذه المكاتب بعض المستعربين الذين كانوا يعرفون أحوال القبائل الخاضعة لهم دون الحاجة الى مترجمين، وكانت المكاتب العربية تتلقى التعليمات من الإدارة المركزية في الجزائر التابعة للحاكم العام والتي بدورها تتعامل مع الإدارة المركزية الرئيسية في فرنسا والخاضعة في شؤونها لوزير الحربية. (10)

كما عمدت المكاتب العربية في توظيف رؤساء العائلات الجزائرية الكبيرة من أجل فقط السيطرة على البلاد والقضاء على أية مقاومة قد تندلع، وهذا ما عبر عنه احد قواد المكاتب العربية سيروكا قائلا: >> إن معرفة خلفيات العائلات الرئيسية في هذه البلاد - يقصد الجزائر- وعداوتهم وصادقتهم وثاراتهم تجعلنا قادرين أكثر على حكمهم كما أن معرفتنا عن كذب لتاريخ البلاد المغلوبة تقينا غالبا من الوقوع في الخطأ << (11)

وقد منح بيجو Bugeaud لهذه المؤسسة سلطات وصلاحيات، إذ أصبحت لها السلطة على كل ما يخص القبائل، الحرب، الإدارة، الاستخبارات، وكانت في مهامها مرتبطة بإدارة الشؤون العربية الموجودة على مستوى الأقسام العسكرية التي كانت تراقب المكاتب لمختلف دوائرها، والموجودة على مستوى المقاطعات الثلاث في الجزائر. كما أوجدت السلطات الفرنسية في كل مقاطعة وحدات للمكاتب العربية من الدرجة الأولى و وحدات من الدرجة الثانية، وقد بلغ عدد المكاتب العربية عام 1847 في الجزائر حوالي 21 مكتبا، وبعده ارتفع العدد إلى 46 مكتب خلال عام 1865، (12) وتوزعت خارطة المكاتب العربية في أنحاء البلاد، إذ أصبح عددها في عمالة الجزائر حوالي 14 مكتب و ثلاث ملحقات، وفي وهران بلغت 15 مكتبا و ملحقة واحدة. وتواصل عدد المكاتب العربية في الارتفاع، حيث وصل العدد في قسنطينة سنة 1870 حوالي 49 مكتبا، وجرى تنظيم مستخدمي المكاتب العربية بالمرسوم الوزاري المؤرخ في 01 فيفري 1844، فتشكلت المقاطعة من عشرة ضباط

تساعدها فرق الصباحية متكونة من 25 فارسا. (13)

من هذه الأرقام المذكورة سالفًا، يتضح مدى حرص السلطات العسكرية الفرنسية على تحقيق مشروعها التوسعي في الجزائر. وتذكر المراجع التاريخية، أن ضباط المكاتب العربية أصبحوا بحكم الصلاحيات الممنوحة لهم، ملوكًا صغارًا في دوائرهم يتكلفون بمشاكل الحرب والاستخبارات والجوسسة التي تستعمل في العمليات العسكرية، وتكلفوا بالمشاكل الأخرى الخاصة بإدارة شؤون الأهالي منها الشرطة والعدالة والضرائب، والأراضي للتعمير، وحراسة القادة العرب، ويذكر أيضا أنهم - ضباط المكاتب - كانوا يعتمدون إلى تطبيق جميع الإجراءات لتنمية دائرتهم، وكذلك استصلاح الأراضي، والتنقيب عن المياه وبناء الطرق، كما سعوا بالاعتماد على الاستخبارات والجوسسة لإبقاء القبائل المهزومة خاضعة. (14)

وحسبنا في هذا السياق، أن نذكر أحد الشهادات لضابط من المكاتب العربية، وهو النقيب ريشار Richard، حيث قال >> في بلاد تعد السيطرة هي أول هدف للسياسة، فإن الشرطة عنصر أساسي بما أنها تحفظ الأمن الوطني، ولكي تقوم الشرطة بعملها على أحسن وجه، توجب أن يخدمها جواسيس مهرة، وفي هذا الإطار كانت المكاتب العربية تقوم بأعمال في بالغ الأهمية، بما أنه تضع من كل قبيلة قائمة الرجال المشتبه فيهم، ومعرفة حركاتها ومكان استقرارها، حتى تتمكن السلطة لأدنى شك في ثورتها وأن تخطفها ليلا <<> (15)

وفي السياق ذاته، تمتعت المكاتب العربية بمصالح وصلاحيات فوق العادية مقارنة بالمؤسسات الأخرى، حيث تكلفت بمهام متنوعة، مما جعل تركيز متميز للصلاحيات بأيدي الضابط الذين اشرفوا عليها. وبموجب ذلك التنظيم القانوني المتميز، أصبحت المكاتب العربية حلقة رئيسية بالنسبة للسلطات العسكرية، وامتداد لقيادة الأركان تساعدها على استتباب الأمن، معتمدة على جواسيس وعيون لها، تحصل من خلالها على المعلومات في كل القرى والمدن، وأكد على ذلك احد الضباط المنتمين للمكاتب العربية بقوله >> لم يبق بشر في البلاد لا نعرف أدنى أسرارها، لقد نجحنا في كل مكان وأحصينا كل شيء بدقة واستنار تاريخ كل القبائل بفضلنا وأقرنا الأمن في كل مكان كما لم يحدث

أبدا من قبل» (16). ويضيف بعض العارفين بمهام المكاتب العربية ونشاطها، أنها حاولت التأثير على الأهالي الجزائريين في نظام حياتهم وعيشهم، مما جعلهم يقولون عنها- المكاتب العربية- أنها من تقود السياسة الأهلية في الجزائر تحت ظل السيوف. (17)

### الاعتداءات والتجاوزات المرتكبة :

نظرا للصلاحيات الممنوحة للمكاتب العربية، فقد ارتكبت تجاوزات كثيرة من لدنها لان الكثير من هذه المكاتب لم تكن مراقبة من طرف السلطات العسكرية الفرنسية على ضباط المكاتب العربية، وحتى نوابهم، في كثير من الأمور والحيثيات. ونتيجة تلك الصلاحيات، كانت تحدث تجاوزات ضد السكان الجزائريين، مما أدى في الكثير من المناطق إلى حدوث تدمير في وسط السكان، وهىئ الوضع إلى انتفاضات، وهذا ما لم تكن تريده السلطات العسكرية في البلاد، ومن بين أسباب هذا التدمير الحاصل، تلك المهام الموكلة للمكاتب العربية التي تمثلت في:

- مراقبة القبائل.
- التحقيقات القضائية.
- مراقبة المداخل و جمع الضرائب.
- فرض العقوبات والغرامات. (18)

ومن التجاوزات الأكثر فداحة، تلك المتعلقة بالتحقيقات القضائية والمحاكمات، فقد كانت المكاتب العربية هي التي توفر الوثائق التي تؤدي إلى إدانة الجاني، وهكذا تكون هي طرفا في الدعوى وحكما فيها، علما أن ضابط المكاتب العربية كان يتمتع بصلاحيات مراقبة القاضي الذي يعمل تحت سلطته، وبموجب ذلك يفقد القاضي استقلاليته و بالتالي يصبح أداة أخرى قمعية في أيدي المكاتب العربية. (19) كما كانت هناك، توجيهات صادرة عن الجهات المسؤولة توجي بارتكاب تلك التجاوزات، فبيجو Bugeau ظلت منشوراته تدعو العاملين في المكاتب العربية إلى تطبيق العدالة السريعة والعقوبات القاسية و تنفيذها في الحين، و كذلك الأمر بالنسبة للجنرال نيغري Negrier لم يتردد في قطع رؤوس المتهمين بدون حكم (20)

وهناك تجاوزات أخرى زادت من تألم الأهالي الجزائريين، تمثلت في ثقل الضرائب



المفروضة عليهم ( العشور على المحاصيل- الزكاة على المواشي) المتحصل من القبائل التي فرضت عليهم من طرف القادة العرب الكبار كما يبدو لهم. (21) وقد تحدث عن هذه التجاوزات أحد الفرنسيين عمل صحفيا و هو كليمون دوفرنو Clément Duvernois قائلا : « يجب تدمير المؤسسة - المكاتب العربية- يجب أن يُعلم أنه في أحد أجمل الأقطار الفرنسية - يقصد الجزائر- يعيش شعب يقدر عددهم 2500.000، يحاكمون من دون محاكم قضاء حقيقية، يُسيرون من طرف ضباط ونقباء، يشرفون على القضاء دون أن تكون لهم دراية بالقانون، يشرفون على الزراعة وليست لهم أدنى معرفة بها، يسيرون الأمور المالية دون أي ضمير...» (22)

ويشير أيضا أحد المؤرخين الفرنسيين إلى التجاوزات المرتكبة من ضباط المكاتب العربية التي تجاوزت حدود الإنسانية، وقد أخذت هذه الشهادة مما رواه الكسندر دوما Alexandre Dumas في كتابه متحدثا عن السلطة اللامحدودة التي مارسها أولئك الضباط، حيث يذكر أن أحد المسؤولين على المكاتب العربية جرت عليه العادة حين يشعر بأن أحد الأهالي يشكل خطرا أو يشتبه فيه، فانه يدعو الخيالة - الصباحية- وهذا بعد أن يكبل المشتبه، فيقول لهم الضابط خذوا هذا الرجل إلى مقهى المور ( مقهى العرب)، وكانت هذه العبارة تعني القضاء على المشتبه فيه». (23)

وفي نفس السياق يذكر أن هذه المكاتب العربية، قد تحول فيها الضرب بالعصي طريقة للحصول على الاعتراف من المتهم، وكان الضرب في كثير من الأحيان يؤدي إلى موت الضحية، وهذا ما جرى لأحد المعتقلين في منطقة آرزو بمقاطعة وهران أنهم بسرقة الماشية، والذي لفظ أنفاسه بسبب الضرب المبرح الذي تعرض له. (24)

وهناك قضية أخرى، تكشف الممارسات القمعية التي انفرد بها ضباط المكاتب العربية دون أن يخشوا أحدا، عرفت باسم صاحبها Doineau، الذي تمت محاكمته في وهران، أين أدين نقيب المكتب العربي لتلمسان، بصور حكم بالإعدام في حقه سنة 1856 بسبب إعدامه لأغا. ولما شرعت المحاكمة، تبين أن النقيب كان ينفذ الإعدام في حق كل من يزعجه من الأهالي ويعطل مهمته، وكان المتهم بالنسبة للآخرين في تصرفه كالسلطان لا يعترضه احد.



وفي سياق حيثيات القضية المذكورة، تبين أن أحد الشهود المدعويين إلى المحاكمة قد أعلم المحققين أنه لم يكن بمقدوره الإبلاغ عن تجاوزات النقيب، لأنه لو فعل ذلك لكان مصيره الموت مثل الآخرين، وأثناء المحاكمة، تبين حسب الشهادات، أن المتهم نفذ اثنا عشر إعداماً، وأن الإعدام كان ظاهرة مستشرية في المكاتب العربية خاصة تلك المنفذة في حق الأهالي، وتذكر المراجع التاريخية، أن الأطراف المتورطة مع النقيب المتهم دوانو Doineau، قد تم فيما بعد تخفيف العقوبات المنفذة في حقهم، حيث حولت إلى أحكام مقدرة ما بين 10 إلى 20 سنة أعمال شاقة، وبعد عامين من المحاكمة صدر العفو في حق النقيب المتهم» دوانو (26) (25) (Doineau).

وقد تعرضت الصحافة الفرنسية في الجزائر إلى تجاوزات المكاتب العربية التي دخلت في نزاع مع المستوطنين الأوربيين، الذين كانوا يعتبرون المكاتب العربية حجرة عثرة أمامهم، و تتطلعوا لتقليم أظافرهم وتحجيم مسؤولياتها، وهذا ما أدى إلى حدوث فضيحة في عام 1858 في أعقاب صدور جريدة Algérie nouvelle ( الجيري نوفال ) التي شرعت في التهجم على الأهالي ( الجزائريين ) وعلى المكاتب العربية، مما دفع بأحد ضباط المكاتب العربية، وهو الجنرال يوسف الذي اشتهر بمذابحه ضد الأهالي ( الجزائريين )، إلى الاعتداء على صاحب الجريدة، وتسبب ذلك الاعتداء الى حدوث ضجة إعلامية بلغت أروقة البرلمان الفرنسي، حيث طرحها في جدول المناقشة.(27)

وقد وقعت حادثة في شهر ماي 1869، أثبتت التجاوزات المفرطة من لدن المكاتب العربية، إذ ارتكبت مجزرة في حق قافلة من 27 جزائرياً، نفذها النمامشة بقيادة القياد وبدعم من ضباط المكاتب العربية، ولشدة الواقعة، أكدت السلطات الفرنسية أن القضية تتعلق بنزاع حدودي ، وحملت القياد المسؤولية وتم سجنهم إلا أنهم فروا، أما القائد الأعلى لتبسة، فقد وضع في الحجز، ولما وقعت المحاكمة تمت تبرأة جميع المتهمين، مما جعل الصحافة الفرنسية آنذاك تنتقد المحاكمة. (28)

### الخاتمة

إن هذه التجاوزات المذكورة ما هي إلا غيض من فيض، قامت به المكاتب العربية في حق الجزائريين، لان الغرض الذي أنشأت لأجله كان موجه، لقمع الانتفاضات والمقاومات

التي واجهت الاحتلال الفرنسي منذ إن وطأت قدماه ارض الجزائر. ولقد ظلت الإدارة الفرنسية تعتمد على منظريها السياسيين والعسكريين والاقتصاديين، لأجل إيجاد الطرق والمناهج والكيفيات لإبقاء الجزائر تابعة لها. فالمكاتب العربية المستحدثة من طرف بيجو بقرار 01 فيفري 1844 ما هي إلا اسم لجهاز قمعي ظلت فرنسا تعتمد عليه لضمان بقائها منذ 1830 إلى 1962. إذ إعتمدت الإدارة الفرنسية خلال ثورة التحرير الكبرى على جهاز SAS للقضاء على الثورة وعزلها عن الشعب الجزائري.

### الإحالات :

- 1- Albert Rungel, les bureaux arabes de Bugeaud et les cercles militaires de Gallieni, paris Emil Larose, librairie éditeur 1903, pp : 1819-.
- 2- Ibid, p : 22
- 3- Charles Robert Ageron, histoire de l'Algerie contemporaine, tome I, la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1971-, presses universitaires de France 1979, p : 333.
- 4- Albert Rungel, opcit , p23.
- 5- عبد الهادي حسين، الفرق الإدارية المختصة في الجزائر، الرهانات و الأخطار 1955-1962 مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليااس 2013-2014، ص 45.
- 6- أوليفي لوكور غرافموزون، الاستعمار الإبادة، تأملات في الحرب و الدولة الاستعمارية، ترجمة نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب الجزائر 2007، ص 283.
- 7- أبوالقاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، الجزء الأول، ص : 379
- 8- Charles Robert Ageron, opcit, p : 334.
- 9- عبد الهادي حسين، مرجع سابق، ص 46.
- 10- أبوالقاسم سعدالله، مرجع سابق، ص : 326.
- 11- أبوالقاسم سعدالله، مرجع سابق، ص . 315
- 12- محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830-1954، ترجمة محمد المعراجي، منشورات anep، 2008، ص170.
- 13- عبد الهادي حسين، مرجع سابق، ص 47.
- 14- محفوظ قداش، مرجع سابق، ص 171.
- 15- أوليفي لوكور غرافموزون، مرجع سابق، ص 283.
- 16- نفس المرجع، ص 284.
- 17- Damien lorcy, sous le régime du sabre, in presse universitaire de rennes, 2011, p : 17.
- 18- Sans auteur, les arabes et les bureaux arabes, paris ch- l'Anera editeur, challamel ainé, librairie-commission 1864, p : 7
- 19- أوليفي لوكور غرافموزون، مرجع سابق، ص 285.

- 20- محفوظ قداش، مرجع سابق، ص 172.
- 21- نفس المرجع، ص 173.
- 22- Cheikh Bouamrane, Mohamed Djidjelli, l'Algérie coloniale par les textes 1830-1962, éditions anep 2008, p : 96.
- 23- ibid, p 99.
- 24- Charles Robert Ageron, opcit, p : 339.
- 25- ibid, p : 340.
- 26- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص : 382.
- 27- Charles Robert Ageron, opcit, p : 341.

## الثورة على المحك..البداية الصعبة 1954-1955

الدكتور: زايدى عزالدين - جامعة سيدي بلعباس

### مقدمة:

مثّلت ثورة نوفمبر عصارة جهد بذل طيلة قرن و ربع قرن من الزمن في مجالات المقاومة الشعبية - في شتى مناطق البلاد- و العمل و النضال السياسي - بمختلف توجهاته-، و قد سمّيت، وفق وجهات النظر المختلفة، حرب «التحرير الجزائرية»، ثورة الجزائر» أو حتى «أحداث الجزائر».

و كان للأحداث اللاحقة، لاندلاع الثورة، أبعادا أكبر في تسيير هذه الثورة و تنظيمها و إعطاءها البعد «الثوري الشامل» الذي لم ترد فرنسا تقبّله في بداية الأمر. و من ذلك نذكر أحداث مثل: الهجوم على الشمال القسنطيني يوم 20 أوت 1955، و مؤتمر الصومام يوم 20 أوت 1956 و اجتماع القاهرة في أوت 1957، و الإعلان عن ميلاد الحكومة المؤقتة إلى غاية الدخول في المفاوضات الرسمية و الوصول إلى الاستفتاء الذي أدّى إلى تحقيق الهدف المنشود و هو استقلال الجزائر.

إنّ أهمية الموضوع تكمن في أنّه موضوع «شائك» و لا زال على حاله إلى يومنا هذا. و ما طالعنا به وسائل الإعلام مؤخرا، من صحافة و تلفزيون، في الموضوع هو شهادات هامّة قد تمثّل «مصادر» حقيقية لمرحلة هامّة من مراحل الثورة الجزائرية. غير أنّه يجب أخذ كل هذه الأمور بتحفظ، لأنّ المرحلة حسّاسة و تستلزم العودة إلى «المؤرخين»، الذين هم بحاجة لمثل هذه الشهادات و المصادر، باعتبارها مادّة خام و أوليّة قد تفيد كثيرا في فهم بعض الوقائع و الأحداث، خاصة لما تكون صادرة عن شخصيات بارزة، لعبت دورا هامّا في تاريخ الثورة.

إلا أنّ هذه الشهادات قد تندرج فيما عرف بخصومات تاريخية متعدّدة الأبعاد و

الأطراف و الذي يهَمُّنا هنا، هو الصراع الذي نشب بين «زعماء الحركة الثورية» حول نتائج مؤتمر الصومام في عدد من «المفاهيم» كانت بمثابة النقطة التي أفاضت الكأس. لأنه لو اعتمدنا نتائج مؤتمر الصومام كمبرر لهذه الخصومات، فهذا معناه أن منذ البداية و الأمور تسير على ما يرام لكن ذلك خطأ في حق كل من صنعوا الحركة الاستقلالية منذ بدايتها إلى غاية تحقيق الاستقلال.

إنَّ تاريخنا هو كما هو، و علينا أن نعتمده كذلك في معالجة القضايا الحساسة، التي قد تؤدِّي إلى بروز أفكار و مواقف أكثر عداء قد تؤدِّي إلى المجهول! و لذلك لا بدَّ من دور للمؤرخين الحقيقيين، في استرجاع أحداث الماضي و فحصها بأسلوب علمي موضوعي بعيد عن كل هذه الصراعات و عن المساعي التضليلية من «المعقِّدين» من التاريخ لسبب أو آخر. و الإشكال في هذه الخصومات أنَّها قد تجد محامين يدافعون عنها، لكن لا يمكن أن تجد قاضيا للنظر في القضية، لأنَّ القاضي هنا - كما قيل - هو التاريخ نفسه.

### أولا: 1954 سنة حاسمة في تاريخ الجزائريين

لا يمكن أن نرجع فكرة اندلاع ثورة نوفمبر إلى سبب الخلاف الذي حدث داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية فقط. بل هو في الأصل نتاج سياسة المستعمر و أساليبه القمعية و الاضطهادية طيلة أزيد من قرن و عشرون سنة، و التي أبقت على أوضاع الجزائريين دون أي مؤشِّر إيجابي. يضاف إلى ذلك العقم الذي أصاب مختلف التيارات السياسية التي كانت تنادي بإصلاح أحوال الجزائريين، كلَّ من وجهة نظره الإيديولوجية.

لقد كانت شريحة كبيرة من المجتمع الجزائري غائبة عن موعد أوَّل نوفمبر، حيث لم يكن يعلم بالأمر إلا أقلية من المنظمة الخاصة و الذين كان يطلق عليهم: «المتصلِّبون» (1) «Les Durs». و حتى من الوطنيين كان هناك غائبون، إمَّا بسبب عدم إيمانهم بالعمل الثوري كحلٍّ لأزمة الجزائر أو لأنَّهم أن الوقت لم يحن بعد للعمل المسلَّح (2). و في هذه الأوقات العصيبة التي كانت تمرُّ بها حركة انتصار الحريات الديمقراطية، اتَّفقت جماعة من الشبَّان على إنشاء تيارا ثالثا داخل الحركة. و كان ذلك في ربيع 1954.

كانت الجماعة في غالبيتها منحدره من المنظمة الخاصة للحزب، فحاولت إنشاء حركة

مسلحة جزائرية منذ 1950، لكن السلطات الفرنسية استطاعت أن تفكك هذه المنظمة و تزج بأغلب عناصرها في السجن. أما بقية الأعضاء، فمنهم من هاجر إلى خارج البلاد، مثل: «آيت أحمد و بن بلّة و خيضر»، و منهم من أصبح ينشط في الخفاء (3). و قد حملت اسم: «اللجنة الثورية للوحدة و العمل» «C.R.U.A». و كانت مهمة هذه الجماعة، في بداية الأمر، محاولة «ترميم» مبنى M.T.L.D، الذي أصبح مقسّما بين أنصار «مصالي الحاج» و المخلصين للسيد «حسين لحول» و الذين كانوا يعرفون بالمركزيين (4).

في الحقيقة لم يكن مصالي ضد فكرة العمل المسلح، و لكنه كان يريد الإشراف بنفسه على كلّ حيثيات العملية و يحدّد هو التاريخ و المكان. أما لحول فقد تعهّد بمساعدة مالية للجنة الثورية للوحدة و العمل من أجل شراء الأسلحة فقط. (5) لأنّه كان يعتبر أنّ انتفاضة مسلحة لابدّ أن تكون وطنية و معمّمة، و أن لا تخضع للتسرع. و بعبارة أوضح لم يكن الوقت مناسباً لمثل هذا العمل (6)، و بعدها تسارعت الأحداث حيث تمكنت جماعة شبان C.R.U.A من إقناع كل من «كريم بالقاسم» و «عمر أعرمان» بالالتحاق باللجنة الثورية للوحدة و العمل، لأنّه لم يعد هناك مبرراً للانتظار طويلاً، خاصة و أنّ «مصالي الحاج» يرفض كل إمكانية التفاهم !

أما «بطاط» فقد اهتمّ بالتجنيد في الشمال القسنطيني و بن مهيدي بالغرب، و ديدوش بالوسط الجزائري، أما بن بولعيد فكان يمثّل بالنسبة للأوراس ما كان يمثّله كريم بالنسبة لناحية القبائل، أي القائد الأكبر للمناضلين الوطنيين. و هكذا عكف المسؤولون ، كل في منطقته، على الدخول في اتصالات مع المناضلين الأكثر استعداداً للحرب. فمن «الدوّار» إلى «الدّشرة» و من الأوراس إلى الغرب، استطاعوا تجميع قواتهم. و منه انطلقت عملية تعيين «قيادة الأركان» التي ستقوم بمهمة التجنيد دون أن تهمل أهميّة «المخابرات البوليسية العامّة». و هنا يمكن أن نستنتج أنّ الجماعة قد استفادت من دروس الماضي بعد تفكيك المنظمة الخاصة في 1950 (7).

إنّ موعد أوّل نوفمبر كان موعد «النخبة الثورية» (8)، التي كانت لها الجرأة على إشعال فتيل الثورة و هذا رغم الظروف الصعبة. و منه التمهيد لبداية حرب تحريرية طويلة. إذن كلّ العوامل كانت مهيأة، خاصة منها «ثلاثة» أثّرت بشكل كبير في اتخاذ

- القرار النهائي و الحاسم في إعلان الثورة ضد فرنسا، و هي:
- العامل الداخلي: حيث أنّ الرأي العام الجزائري أصبح يتابع باهتمام ما كان يجري في تونس و المغرب و كان يرى أنّ الخلاص يكمن في توحيد جبهة شمال إفريقية ضدّ المستعمر.
- العامل الخارجي: كان هو الآخر في صالح الوضع العام، حيث أنّ الاتصالات مع بن بلة و آيت أحمد و خيدر في القاهرة كانت على أحسن ما يرام. و قد قوّت اتصالات في «جنيف» و «طرابلس» مع المغاربة و التونسيين من أجل مدّنا بيد المساعدة. و في نفس الوقت أكّد «بن بلة» على الدور الذي كان من الممكن أن تلعبه مصر في مساندتها للثورة منذ البداية.
- فجاء سؤال بوضياف: هل الوقت مناسباً لإعلان الثورة ؟ أم علينا أن ننتظر و نحضّر جيّداً لإعلانها ؟ فكان الردّ تلقائياً و بالإجماع اتفق الجميع على إعلان الثورة على فرنسا. فكان هذا العامل الثالث ! (9).

### ثانيا: 1955 القوة العسكرية الكامنة للثورة على المحك

تدرج الثورة الجزائرية ضمن الأحداث البارزة للنصف الثاني من القرن 20 الميلادي و قد جلبت لنفسها إكبارا و تعاطفا لدرجة جعلت منها الثورة التي يضرب بها المثل عبر العديد من مناطق العالم. إلّا أنّها كغيرها من الثورات، عرفت مأساتها و اضطراباتها، إلى درجة أصبح نخشى على مستقبلها (10). قد يظهر لأوّل وهلة أنّ العنوان قد يكون مبالغ فيه، لكن لو نتأمل صفحات «كرونولوجيا» سنة 1955، لوجدنا ما قد نؤلف به موسوعات حول هذه السنة الحاسمة في تاريخ الثورة الجزائرية، باعتبار أنّ الثورة لا زالت في مهدها، من جهة، و أنّ فرنسا قد جهّزت كل وسائلها و طاقاتها لقمع هذه الثورة. بدليل ما صرّح به «فرنسوا ميتران» في اجتماع بوزارة الداخلية (11) عندما اعتبر أنّ الاحتجاجات لن تكون مقبولة إلّا في إطار «الأمة الفرنسية». فازداد المستعمر ضراوة في قمع الثورة و محاولة عزلها عن الشعب و العالم الخارجي معا.

إلا أنه علينا أن نشير إلى ما اتفق عليه أعضاء لجنة الستّة (Les Six) يوم 23 أكتوبر 1954، في أن يلتقوا في شهر جانفي 1955 لتقييم المرحلة الأولى للثورة (12)، لكن لم يكتب

للقاء المذكور أن ينعقد لأسباب عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:  
- استشهاد «بن عبد المالك رمضان» النائب الأول للعربي بن مهدي في ناحية الغرب (13).

- استشهاد «باجي مختار» أحد رموز القيادة الثورية في منطقة سوق أهراس يوم 18 نوفمبر 1954.

- استشهاد «ديدوش مراد» قائد الناحية الثانية (الشمال القسنطيني) و هو في ريعان شبابه (14).

تعاظمت مصائب الجبهة بعد إلقاء القبض على «مصطفى بن بولعيد»، قائد الناحية الأولى (الأوراس- النمامشة) يوم 11 فيفري 1955 في الجنوب التونسي، ثم «رابح بطاط» قائد الناحية الرابعة (الوسط الجزائري) يوم 23 مارس بعد أن نصب له كمين (15). و مع نهاية الشهر الخامس للانتفاضة الثورية، فقدت الجبهة نصف قياداتها... يضاف إليها الانشغالات الكبرى و المستعجلة لكل من «بن بلة» في الشرق، بحثا عن الأسلحة و كيفية إيصالها إلى جيش التحرير، و وجود «بوضياف» في الريف المغربي، في اتصالات مع جيش التحرير المغربي. الذي كان في طور التكوين، من أجل تموين الجبهة الغربية للثورة الجزائرية.

إذن، الثورة على أبواب الفشل !! و لم يبق سوى بعض «الجيوب» في الشمال القسنطيني و ناحية القبائل و القطاع الوهراني لمواصلة مسيرة الثورة بإمكانيات شبه منعدمة... و عليه البحث على دعم جديد و فعّال، ضروري و فوري. هذا ما سيدفع كل من «عبان رمضان» و «أوعمران» إلى الدخول في اتصال أولي مع «فرحات عباس» زعيم حزب البيان، يوم 26 مايو 1955. و كان «فرحات عباس» عجوزا بالنسبة للرجلين قد تعدّى السادسة و الخمسين، قد يكون له دورا عندما تحتاج إليه الجبهة، التي كانت لها مشاريع كبيرة و إمكانيات ضعيفة للقيام بأي عمل عسكري (16).

و أمام النقص الفادح في الأسلحة الملاحظ داخل صفوف جيش التحرير، كان لا بدّ على قيادي الثورة إعطاء عناية خاصة للجانب السياسي، و هذا ما أكّده فرحات عباس في لقاءه مع الرجلين حين قال لهما: «المشكل سياسي و علينا أن نبقي واقعيين. فرنسا ستدافع بكلّ



ما لديها من أجل الحفاظ على فرنسية الجزائر، و هي تعلم أنّها خلقت مشكلا عويصا و وضعية متشعبة، لكن غرورها يمنعها بالاعتراف بأي هزيمة مهما كان نوعها و علينا أن نعمل على الوصول إلى المفاوضات. و إذا استطعتم إقناع فرنسا بالتفاوض فحينها قد فزتم بالمعركة.... « (17).

و ما يؤكد على صعوبة المرحلة المقبلة بالنسبة للجبهة، هو تخوّف فرحات عباس من مطلب عبان حول حلّ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري رسميا، و أن ينتظر الأوامر حتى يعلن عن التحاقه بصفوف الجبهة !!؟ . إنّ هذا الموقف يطرح أكثر من سؤال: لماذا هذا الغموض حول التحاق فرحات عباس بصفوف الجبهة ؟ هل لإعطائه وقتا كافيا لجمع المال تحت غطاء حزبه ؟ أم أنّ فرحات عباس أخذ ضمانات بالاحتفاظ باستقلالته السياسية ؟ (18).

### ثالثا: هجوم 20 أوت 1955: المنعرج

شكّل الهجوم العسكري الذي قاده المنطقة الثانية بقيادة «زيغود يوسف»، نقطة تحوّل هامة في الحرب ضدّ الاستعمار الفرنسي و ذلك لكثافة الأعمال العسكرية من جهة، و ردود الأفعال الفرنسية من جهة أخرى. لقد تمّ تجنيد الفدائيين و المسبّلين إلى جانب عناصر جيش التحرير و ذلك لشنّ هجوم شامل و مكثّف على مواقع العدو . إلّا أنّ ردّ فعل الجيش الفرنسي كان وحشيا لدرجة سقوط أكثر من 20.000 ضحية في صفوف المدنيين (19).

هذا العمل الوحشي، لم يزد الشعب إلّا إصرارا على مواصلة الكفاح من أجل تحقيق الاستقلال، و دفع بالاستعمار إلى محاولة التخفيف من حدّة توتر الأوضاع في الجزائر، فسارع بتعيين والي عامّ جديد، و هو «جاك سوستال» «J. Soustelle» الخبير في اغتيال القضايا العادلة بعد أن كان خبيرا في اغتيال الأفراد، عندما تولّى أثناء الحرب العالمية الثانية مديرية المخابرات الديغولية في الجزائر (20). فكانت خطواته الأولى في الأفكار الجديدة التي حملها معه لإطفاء نار الثورة بالأساليب السياسية (21)، فحاول كسب ثقة المعمرين و تهدئة الوطنيين، فقام بإطلاق سراح قيادة حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD، لكن ذلك لم يثن من عزيمة و إصرار الوطنيين في التمسك بمبادئهم.

إنَّ أهداف فرنسا من وراء هذا الخيار الإستراتيجي في تكليف «سوستال» بمهمة من هذا النوع، تكمن في قناعتها بأنَّه رجل الوضع. لما له من ماضٍ ثري في مجال الدسائس المخبراتية أو ما يعرف «بغسيل المخ» «Le Lavage de Cerveau»، كونه رجل مخبرات عريق. كما أنَّ سياسة الاستعمار كانت واضحة، منذ اشتداد لهيب الثورة، في تفكيرها في «مخرج إيجابي» من الأزمة التي وضعها فيها حزب جبهة التحرير الوطني منذ أن أعلن عليها الحرب في غرة نوفمبر 1954.

لكن هذه «المراوغات» الاستعمارية لم تؤثر في مسيرة الثورة رغم كل تعرّضت له في بدايتها، من استشهاد و اعتقال قادتها في الداخل و هجرة الآخرين إلى الخارج بحثا عن المساندة المادية و المعنوية، فكانت حالة الطوارئ التي صادق عليها المجلس الوطني الفرنسي سارية المفعول في كل من الأوراس و القبائل و الشمال القسنطيني ممَّا أدَّى إلى تقليص مجال العمل و التحرك أمام مجاهدي الجبهة و قياديتها. فانقطعت الاتصالات و أضحى كل جانب يراهن على إمكانياته المحدودة في محاولة للوصول إلى فكِّ هذا الحصار و هذه العزلة التي فرضتها عليه قوى العدو الاستعماري، من سياسيين و عساكر - بمختلف أسلحتها- . و ما يدعم هذا الموقف، هو تأكيد وزير الداخلية الفرنسي في شهر جوان 1955 (22) على أنَّ هذه المقاومة سوف تنتهي، لأننا الآن تعرّفنا على برنامج عملها و قد قضينا على أغلب قادة المناطق و هي ستة. فإذا الثورة أيضا ستموت.... كما أنَّ «سوستال» نفسه في حديث لصحيفة «كومبا» Combat الباريسية (23)، لم ينكر القوّة التي كان يمتلكها و التي أمدته بها حكومة «إدغار فور» آنذاك.

فاشتدّ الخناق على مناطق معيّنة من البلاد، خاصة المنطقة الأولى و المنطقة الثانية و بدرجة أقل المنطقة الثالثة، فكانت إستراتيجية الهجوم الذي وصف بأنَّه نموذج تطبيقي لثورة التحرير، حيث سيساعدها على إيجاد متنقّسا جديدا و إعلان شموليتها من أجل زعزعة الثقة التي انتشرت في أوساط السياسيين و العسكريين و حتى الكولون الذين بدؤوا يسترجعون نوعا من الهيبة و التسلّط كانوا قد افتقدوها من قبل. فجاء قرار «زيغود يوسف» قائد المنطقة الثانية في هذا السياق لقيادة هذا الهجوم التاريخي الذي رسمت له أهدافا واضحة المعالم، من أجل كسر شوكة فرنسا المتmadية في غطرسها ضد الأبرياء

من المدنيين العزل في مداشرهم و قراهم و حتى في أماكن عملهم. حيث نذكر منها أهدافا داخلية و أخرى خارجية.

فأما الأهداف الداخلية فتمثلت في (24):

- محاولة فكّ الحصار المضروب على منطقة الأوراس من جرّاء العمليات المستمرة بها.
- التأكيد على استمرارية و شمولية الثورة و تكذيب الادعاءات الفرنسية في هذا المجال.
- إظهار شعبية الثورة من خلال إشراك كل شرائح الشعب في هذا الهجوم.
- رفع معنويات المجاهدين و الشعب معا، حتى لا يبقى مجالا للشك في مسؤولية جبهة التحرير الوطني في قيادة هذه الثورة.
- الهجوم بمثابة رسالة إعلامية «مزدوجة» الأهداف: فهي رسالة لكل المناطق الأخرى لمواصلة الكفاح و عدم الخضوع لليأس -رغم الاتصالات شبه المعدومة التي كانت بين المناطق- و هي رسالة أيضا لكل التيارات السياسية التي كانت مترددة في الانضمام للجبهة و بالتالي للثورة. أما الأهداف الخارجية فتتمحور حول :
- لفت أنظار الرأي العام العالمي للقضية الجزائرية و الأوضاع المزرية التي كان يمرّ بها الشعب الجزائري.
- اختيار تاريخ 20 أوت لم يكن اختيارا عفويا و إنّما جاء تزامنا مع ذكرى نفي ملك المغرب «بن يوسف محمد» الملقب «بمحمد الخامس» إلى مدغشقر. و كانت تهدف هذه المناسبة إلى خلق شعور تضامني بين شعوب الشمال الإفريقي في وحدة المصير المشترك بينها.(25)

و بغضّ النظر عن الإعداد للهجوم منذ أواخر جوان 1955، مروراً بالاستعداد له و تنفيذه في منتصف نهار يوم 20 أوت 1955 لعدة اعتبارات و وصولا إلى النتائج التي حققها و التي أبرزها على الإطلاق، تحطيم أسطورة الجيش الفرنسي الذي لا يقهر من جهة و بعث روح القتال و التضحية لدى أفراد جيش التحرير و الشعب من جهة أخرى، فإنّ هذا الحدث التاريخي أظهر إلى الوجود عبقرية قائد و صف بأنّه رجل عظيم، سيّد نفسه، قاس على نفسه و على رجاله...و لكنّه في نفس الوقت مناضل محنّك و سياسي

كان يحسن اختيار القرار و يزن إمكانيات تغيير موازين القوى... لأن ذاكرته كانت لا تزال تحتفظ ببقايا بشاعة جرائم الثامن من مايو سنة 1945... (26).

إذن فجذور الهجوم الشامل على الشمال القسنطيني تعود بنا إلى مرحلة نهاية الحرب العالمية II و إلى أحداث 8 مايو 1945 من جراء القمع الرهيب الذي تعدّى كل حدود الاحترام للجنس البشري (27). من هنا يمكننا القول بأن موقف المستعمر من هذا الحدث كان يشبه في وحشيته ما قام به بعد مظاهرات الثامن مايو 1945 «السلمية»؟! معنى هذا أن الجزائريين سواء كانوا مسلمين في مطالبهم المشروعة أو متذمرين من هذا الوجود الأجنبي فجزأؤهم واحد!!!

و حتى و إن كان الحدثين متباعدين في الزمن و متقاربين في المكان، فإنّ ذكريات الأول لن تزول لأنّ كل عائلة جزائرية مرّت بامتحان صعب من جرّاء ذلك الحدث (28)، أو حتى لما لا يمكن اعتبار العملية ذات بعد انتقامي من جرّاء ما حدث في مدينة «سكيكدة». و مهما يكن من أمر فإنّ هذا الهجوم قد أثبت للاستعمار و للعالم القدرات الحربية لجيش التحرير الوطني في مواجهة الجيش الاستعماري (29). كما نضيف في نهاية هذا العنصر حدث هام و هو إنهاء مهام «سوستال» قبل الأوان، بدليل ما ذكره «إيف كورير» Yves COURRIERE في كتابه «Les fils de la Toussaint» بأنّ أحداث 20 أوت 1955 كانت نهاية مرحلة و بداية أخرى: نهاية مرحلة احتمال المصالحة، و بداية الحرب الحقيقية (30). و الأهمّ في كل هذا أنّ هذا الهجوم التاريخي ساهم بقسط كبير في تدويل القضية الجزائرية و تسجيلها لأوّل مرّة في جدول أعمال الجمعية العامّة للأمم المتحدة في 30 سبتمبر 1955 .

#### رابعا: البوادر الأولى للأزمة داخل الجبهة

إنّ ما حدث بعد هجومات 20 أوت 1955 كان مغايرا لما كان يتطلّع إليه الشعب. فظهرت أولى الخلافات التي أدّت إلى الانشقاقات التي كادت أن تعصف بالثورة ! لقد عرفت جبهة التحرير مرحلة «تكوين» صعبة، جعلت منها «تحالف» ضمّ مجموعات متباينة، إن لم نقل متناقضة، تمحورت أهدافها داخل جبهة التحرير. و نظرا لهذا المزيج الغير الطبيعي، كان لا بدّ من ظهور الاختلافات بين الوطنيين حيث تمّ تلخيص هذه

الانشقاقات في جملة من النقاط منها: الصراع بين السياسيين والعسكريين و بين الداخل والخارج (31)، و الحرب التي نشبت بين الجبهة و الحركة الوطنية المصالية التي اعتبرت حينها من الحركات المناوئة لجبهة التحرير (32) و حتى الانشقاقات في الداخل...

إنّ الصراع بين السياسيين و العسكريين ظهر للوجود منذ التحاق «عبان رمضان» بصفوف الجبهة بعد إطلاق سراحه من طرف السلطات الاستعمارية (33) فاتصلت به القيادة الداخلية للجبهة المتمثلة في أشخاص : «كريم بالقاسم» و «عمر أعرمان» و عرضت عليه فكرة الالتحاق بصفوفها. خاصة و أنّ الجبهة كانت في أمس الحاجة إلى تدعيم بشري بعد فقدانها أكثر من نصف أعضائها بين شهيد و سجين و في المهجر. فقبل دون تردد و أسندت له مهام مساعدة «رابح بطاط» قائد الناحية الرابعة (الوسط)، و القيام بالدعاية. و كما يقال بالعامية: «أن يلعب بالناي» (34) «Jouer de la Flûte». فقبل «عبان» المهمة و قال: «من موسيقى إلى موسيقى، لما لا قائد جوق؟» فجاءته الفرصة لما ألقى القبض على «بطاط» في 23 مارس 1955. و في غياب «بوضياف»، اتفق «كريم» و مساعده «أعرمان» مسؤولي ناحية القبائل على تعيين «أعرمان» مسؤول للناحية الرابعة و تعيين «عبان» مسؤولا على العاصمة، التي أصبحت تتمتع باستقلالية تامة . و إذا أضفنا أنّ «عبان رمضان» كان يعتبر من المثقفين باعتباره حائز على شهادة بكالوريا، فهذا حتما سيجعل منه رجلا سياسيا بالدرجة الأولى.

من هنا كانت بدايته السياسية في صفوف الجبهة كمسؤول بعد اعتقال «بطاط»، فيقدم على نشر وثيقة باسم جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني، و كان ذلك يوم 1 أفريل 1955 . و فيما حملته هذه الوثيقة أنّه: حذّر كلّ الذين يحاولون زرع الفوضى و البلبلة و أشار إلى الذين يلجئون إلى الكذب و الافتراء و أخيرا توجّه بنداء للجزائريين «تعالوا لتقوية صفوف جبهة التحرير الوطني. إنّ هذا المنشور كان موجّها إلى كل الذين حاول «جاك سوستال» التقرب منهم، سواء كانوا «مصابيون» أم «مركزيون» أو حتى من العلماء. و كانت سياسة «سوستال» واضحة في محاولة عزل الجبهة في الجبال قبل محاولة القضاء عليها. و لهذا كان لا بدّ عليه أن يعمل على إيجاد «القوة الثالثة» «La 3<sup>ème</sup> Force» «مع الطبقة السياسية المعتدلة. فكان على «عبان» إفشال إستراتيجية

«سوستال»، فأقدم مرة أخرى على نشر وثيقة جديدة في جوان 1955 (35)، ذكّر فيها بما جاء في بيان أول نوفمبر و حذّر تحذيرا شديدا كل من تسوّّل له نفسه قبول مقترحات «سوستال»..و من هنا بدأ نجم «عبان رمضان» قائد «الأوركسترا» يسطع في سماء الجزائر كقائد محنّك بإمكانه قيادة السفينة التي كانت على وشك الغرق.

أمّا طبيعة الصراع بين الداخل و الخارج، فيمكن إدراجه ضمن الخلاف الذي اشتد في مرحلة ما من مراحل الثورة بين زعماء الثورة التاريخيين (الذين كان جلّهم في الخارج) و زعماء الثورة الجدد ( و الذين كان يتزعمهم عبان رمضان).

لقد ذكر «علي كافي» في مذكراته أنّ عبان لم يكن له توجّها يساريا و لا طموحات إيديولوجية، إنّما كانت رغبة في بسط نفوذه على الثورة، و منه نزع مقاليدها من جماعة الخارج، وهذا ما تضمّنته فيما بعد نتائج مؤتمر الصومام فيما يخص أولوية الداخل عن الخارج. (36)

و لعلّ ما يبرّر موقف جماعة الخارج هو أنّ عناصرها كانت قد عملت كلّ ما في وسعها، قبل بداية الثورة، لاحتواء الخلاف بين جماعة المراكزيين و أنصار الثورة المنظمة، في إطار حركة انتصار الحريات الديمقراطية. فكانت تسعى لتحقيق المصالحة، لكنّها لم توفّق في ذلك ممّا دفعها إلى عقد اجتماعات في سويسرا مع بوضياف قصد التحضير للثورة المسلّحة، و هو ما وقع فعلا. (37) لكن حقيقة الصراع بدأت لما لم يتمكّن وفد الخارج من حضور فعاليات مؤتمر الصومام، بالرغم من وجوده في الحدود الليبية الجزائرية، إلّا أنّ لا أحد جاء لنقلهم إلى الداخل، و لا ندري ما هي الأسباب الحقيقية ... ربّما يكون عبان قد تصرّف حسب «منطق مكيا فيللي» ، و هنا تكمن نقطة الاستفهام (38). أمّا عن الصراع الدموي الذي دار بين جبهة التحرير الوطني و الحركة المصالية، سواء في فرنسا أو داخل الجزائر (39)، فهو امتداد للخلافات التي ظهرت في حركة انتصار الحريات الديمقراطية قبيل اندلاع ثورة نوفمبر. إلّا أنّ MTLD بقي حزبا سياسيا في أعين مناضليه و ذلك إلى غاية انفجاره سنة 1954 ، لأنّه سار وفق نظرية بسيطة متمثّلة في تجدّره داخل فئات الشعب المختلفة في القاعدة. و حتى في القمّة كانت أعماله معروفة عند عامّة الشعب (40).

من هذا المنطلق، لا يمكن لمصالي الحاج أن يتصور نفسه خارج السّباق، و هو الذي يعتبر نفسه روح الحركة الاستقلالية، خاصّة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الجزائر (41). و بمجرد ميلاد جبهة التحرير الوطني، سيقوم بإنشاء الحركة الوطنية الجزائرية في ديسمبر 1954 (42)، التي ستدخل في صراع دموي ضدّ الجبهة و الذي سيحاول من خلاله وضع النواة الأولى لجيش تحرير وطني تحت مسؤولية مقاتلين من الحركة الوطنية الجزائرية و الذين سينشطون تحت قيادة سياسية للحركة (43). لكن النهاية كانت وخيمة على الحركة الوطنية التي أنشأها مصالي. و قد يكون «مصالي» نفسه أدرك في مرحلة ما أنه فقد كلّ شيء في الجزائر... و هنا تستوقفنا هذه العبارات: «أنّ الخلافات و الصراعات الدموية التي نشبت بين جبهة التحرير الوطني و أنصار مصالي الحاج بعد اندلاع الثورة أفقدت الجزائر إطارات المستقبل...، لو كان مصالي يدرك أنّ أوّل نوفمبر فتح المجال أمام صفحة جديدة في تاريخ الجزائر، و أنّ كل صفحة تتطلب رجلا جدد، و لو بارك حرب التحرير منذ البداية، بدل أن يعتقد أنّه الزعيم الوحيد، لكان بإمكانه أن يصبح رئيسا للجزائر المستقلة بدون منازع...» (44)

هكذا صار النزاع من 1955 إلى غاية تاريخ الاستقلال سنة 1962 في معركة طويلة و مريرة، أين رفع فيها شعار البقاء للأقوى (45).

### الإحالات و الهوامش

- 1-Kaddache Mahfoud, Les absents du rendez-vous du 1<sup>er</sup> novembre, la nuit rebelle..p 20.
- 2-Ibid., p 20.
- 3-Ait Mouhoub Salima, Comment et par qui la révolution a été préparée ? Revue archives d Algérie, les dossiers de la révolution, N 01, novembre 2004, p 33.
- 4-Ibid., p 33.
- 5- Id., p 33.
- 6- Ce paragraphe a été extrait de : Les Origines du 1<sup>er</sup> Novembre 1954, de son auteur BENKHEDDA, paru aux éditions Dahlab, Alger 1989, et rapporté par la revue : Archives d'Algérie en page 32.
- 7- Ait Mouhoub Salima., op.cit., pp 3435-.
- 8- Kaddache Mahfoud., op.cit., p 20.
- 9- Ait Mouhoub Salima., op.cit., pp 3435-.
- 10- Belhocine Mabrouk, Le Courrier : Alger-le Caire 19541956- et le Congres de la



- Soummam dans la révolution, casbah éditions, Alger, 2000, p 9.
- 11- أزغيدى (محمد لحسن)، الصومام و تطور ثورة التحرير الوطني الجزائري، 1956-1962، م.و.ك، الجزائر 1989، ص 73
- 12- Belhocine Mabrouk, Le Courrier : Alger-le Caire 19541956-., op.cit., p 40.
- 13- استشهاد بن عبد المالك رمضان، يوم 05 نوفمبر 1954 بالقرب من قرية «وليس» Willis الساحلية التي تحمل اليوم اسم الشهيد، و الواقعة داخل تراب ولاية مستغانم.
- 14- الشهيد ديدوش مراد، استشهاد و عمره 28 سنة، و كان ذلك خلال معركة بوكركر يوم 18/01/1955، و قد خلفه زيغود يوسف في قيادة الناحية العسكرية الثانية (الشمال القسنطيني) غير أنه لم يعمر فيها طويلا هو الآخر و استشهاد بعد أحداث 20 أوت 1955، أنظر:
- Mauss-Copeaux Claire, Algérie, 20 aout 1955, insurrection, répression, massacres, petite bibliothèque Payot-Rivages, Paris, 2013.
- 15- Belhocine Mabrouk, Le Courrier : Alger-le Caire 19541956-., op.cit., p 40.
- 16- STORA (Benjamin) et DAOUD (Zakia), Ferhat Abbès, une autre Algérie, Casbah éditions, 1995, pp 221.
- 17- Ibid., p 222.
- 18- Id., p 223.
- 19- Belhocine Mabrouk, Le Courrier : Alger-le Caire 19541956-., op.cit., p 43.
- 20- عباس محمد، ثوار... عظماء، شهادة 17 شخصية وطنية، دار هومة للنشر، 2003، الجزائر، ص 355
- 21- أزغيدى محمد لحسن، مرجع سابق، ص 88.
- 22- المرجع نفسه، ص 90.
- 23- شريط (عبد الله)، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1955، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1995 ص ص 372 - 376
- 24- أزغيدى (محمد لحسن)، مرجع سابق، ص ص 92-93
- 25 - رزاقى (عبد الحمن)، « 20 أوت 1955-1956 الذكرى المزدوجة ليوم المجاهد»، مجلة رسالة المسجد، 22 محرم 1427 هـ / 21 فيفري 2006 -الجزائر، ص.
- 26 - MEYNIER (Gilbert), Histoire Intérieure du FLN 19541962-, Casbah éditions, 2003, Alger, PP 1112-
- 27- م خالد (بوسيف)، «تأملات حول يوم 20 أوت 1955» مجلة أضواء، العدد 403، 1991/09/05، (ذكر في كتاب الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، بمناسبة الملتقى المغاربي يومي 11 و 12 جوان 2003 بجامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص ص 169-174)
- 28- HARBI (Mohamed), Une Vie Debout, Mémoires politiques, Tome 1, 19451962- Casbah éditions 2001, Alger, p.48
- 29- BOUDIAF (Nacer), KASSOUL (Aïcha), MAOUGAL (Mohamed Lakhdar), Elites Algériennes, Histoire et Conscience de Caste, éditions APIC, Alger 2004, P 169.
- 30- ذكره عباس محمد في كتابه: ثوار عظماء....، مرجع سابق..ص 360. و لمزيد من المعلومات راجع سلسلة كتب «إف كورير» الأربعة فيما يتعلق بحرب الجزائر و خاصة منها الكتاب الأول Les Fils de la Toussaint من مكتبة أرقي فايار، باريس....
- 31- EVENO (Patrick) et PLANCHAIS (Jean), La Guerre d'Algérie, Dossiers et



Témoignages réunis, édition Laphomic, Alger 1990, P.169

32- BENJAMIN (Stora), Algérie Histoire Contemporaine 18301988-, éditions Alger 2004, P.153

33- أطلق سراح عبان رمضان من طرف السلطات الفرنسية يوم 22 جانفي 1955، بعد مكوثه في السجن مدة 5 سنوات فالتحق بمسقط رأسه في قرية «عزروزة» ببلاد القبائل.

34- Belhocine (Mabrouk), op.cit., p 42

35- Ibid., pp 4243-.

36- KAFI (Ali), Mémoires du Président Ali Kafi , du militant politique au dirigeant militaire 19461962- éditions Casbah, Alger 2003, P.P 121123-.

37- مقتطفات من تصريح أحمد بن بلة، لصحفي جريدة : لوماتن من إقامته الدائمة بمدينة لوزان بسويسرا، أورده: حميد عبد القادر في كتابه:«عبان رمضان مرافعة من أجل الحقيقة » ، ص 18

38- حميد (عبد القادر)، عبان رمضان مرافعة من أجل الحقيقة، منشورات الشهاب، 2003، باتنة، ص 26

39- Eveno (Patrick) et Planchais (Jean) , op.cit., P.169

40- Meynier (Gilbert) , op.cit., P .28

41- Madi (Mustapha), Réflexions, Messali Hadj 18981998-, Parcours et témoignages, Ouvrage collectif, Casbah éditions Juin 1998, P.29

42- STORA (Benjamin) et DAOUD (Zakia) , op.cit., P.410

43- Madi (Mustapha) , op.cit., P.33

44- الإبراهيمي (أحمد طالب)، « قراءة في الجزء الأول من مذكراته»، جريدة الخبر ، العدد 4671، 06 أفريل 2006، الجزائر، ص 04

45-STORA(Benjamin), Algérie Histoire contemporaine., op.cit.,p 153.

## المراكز الثقافية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ( 4هـ / 10م )

أ / ليبدري بلخير-جامعة سيدي بلعباس

### مقدمة :

نقصد بمركز الإشعاع الفكري للمدينة أو الرقعة أو المكان الذي شهد نشاطا فكريا أدبيا ثقافيا كان باعته وصانعه من ولد فيه أو تكون فيه أو عاش فيه أو نزح إليه من علماء ومفكرين وأدباء وطلبة<sup>1</sup>.

لقد عرفت هذه الفترة التي نحن بصدد دراستها انتشار الثقافة الإسلامية انتشارا واسعا بفضل الترجمة من اللغات الأجنبية خاصة عن الفارسية واليونانية والهندية إلى العربية ونضجت ملكات المسلمين في البحث، والتأليف، وتشجيع الخلفاء ورجال العلم والأدب، وإزدهار العمران، واتساع أفق الفكر الإسلامي وارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. ولا غرو فقد كان من أثر قيام كثير من الدول إلى استقلت عن الخلافة العباسية أن نشطت الحركة الفكرية وراجت الثقافة بها وزخر بلاط هذه الدول بالعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم ومن ثم نرى صدى هذه النهضة في بلاط كل من الفاطميين والزييريين والاندلسيين<sup>2</sup>.

كما أن ظهور كثير من الفرق التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق أهدافها السياسية والدينية كالمعتزلة ودعاة الاسماعيلية من العلماء والمتصوفين وغيرهم أن إحتدم النقاش بين هذه الفرق من ناحية وبينها وبين العلماء من السنيين من ناحية أخرى. فتميزت هذه الفترة بنهضة علمية شملت مختلف العلوم<sup>3</sup>.

و على العموم فإن القرن الرابع الهجري كان أكثر القرون أدباء وعلماء وكتابا بالبلاد الإسلامية المغربية<sup>4</sup>.

فقد كان بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة عدة مراكز ثقافية جذبت إليها رجال الأدب والثقافة والفكر وهي عموما المناطق أو حواضر المغرب الأوسط التي عرفت تقدما حضاريا وفي هذا يقول ابن خلدون « أن العلوم تكثر حيث يكثر العمران وتعظم التجارة » ومن هذه المراكز نذكر:

#### أ.المسيلة6: المحمدية:

إن المسيلة مدينة تقع بالمغرب الأوسط في شمال جهوا الحضنة أسسها القائم العبيدي بأمر من أبيه الخليفة المدي سنة 33هـ، فانتقلت إلى مدينة فاطمية الولاء بعد أن كانت ثغرا لأ، ناد العربية منذ سنة 154هـ، عندما استقر بها يزيد بن حاتم المهلبى 7 وقد جاء تأسيسها في هذه المنطقة رغبة في مراقبة تحركات القبائل الزناتية المتمردة بزعامة محمد بن خزر، وحتى تكون خطا دفاعيا أوليا ونقطة انطلاق نحو المغربين الأوسط والأقصى وتتزوّد منها الجيوش الفاطمية بالإمدادات السريعة لمحاربة نفوذ الأمويين المتزايد8.

فحكمها علي بن حمدون وصارت في عهد كل من جعفر ويحي عاصمة منطقة الزاب ومركزا أدبيا وثقافيا هاما وقد ساعدها على ذلك أيضا العنصر البشرى الذي سكنها بالإضافة إلى البربر من عجيسة وهوارة فقد كان للعرب من سلالة الأجناد من بني تميم ومن القيراوانيين الذين نزحوا إليها 9 عنصرًا وعاملا منشطا لتشكيل حياة فكرية وأدبية لعراقه هذا العنصر في الحضارة وتواصل قيم العروبة فيه 10 ولعل العامل الأكثر أهمية هو شخصية الأخوين « جعفر » و« يحي » فقد اجتمعت فيهما الحنكة السياسية والقيادة الحربية والحماية للعلم والثقافة والأدب « وبني بنو حمدون القصور والمنتهزات واستفحل بها ملكهم وقصدهم بها العلماء والشعراء حتى أصبحت المحمدية كأنها عاصمة خلافة لإمارة فتوفرت إذن كل الأسباب لانبعث حركة أدبية مزدهرة 11 وأصبح البلاط الحمدوني مأوى أهل العلم والأدب يشهد على ذلك بالخصوص توجه الشاعر ابن هانئ إلى هذا البلاط واستقراره في ظل الأخوين خمسة أعوام كاملة من سنة 348هـ-353هـ فنظم في مدحها غرر القصائد 12»

و قد تحولت الزاب في هذه الفترة عاصمة للشعر في كامل المغرب بل بغداد المغرب، كما تغنى بها ابن هانئ وإلى جانبه برز أديب آخر هو النهشلي الذي هو أصيل المسيلة

وتلقى ثقافته الأدبية والعلمية بها ثم قصد افريقية، ومما سبق يتضح أن المسيلة المدينة الجديدة أصبحت ذات شأن 13 وعاشت في رقى علمي متزايد وتحولت إلى حضرة علم ووسطا فكريا راقيا، أمها العلماء والآباء فأجادت قرائحهم ثمارا يانعة نذكر منهم أبا عبد الله الملوحي من قرية ملوشن قرب بسكرة وابنه إسحاق، فقد كانا عالمين يؤخذ عنهما العلم وقد سمع عنهما أبو عبد الله بن محمد بن ميمون<sup>14</sup>

#### ب.أشير:

في خضم الاضطرابات واللاأمن الذي ساد تيهرت طوال القرن الرابع الهجري فقدت أهميتها كمركز أشعاع ثقافي فظهرت مدن جديدة بالمغرب الأوسط ومنها المسيلة وأشير التي استقطبت العلم والعلماء وكان ذلك على حساب تيهرت<sup>15</sup> التي لم تنل عناية الدول المتعاقبة عليها في المجال الثقافي والتي كانت تنظر إليها نظرة استخفاف لأنها من مؤسسات الخوارج<sup>16</sup>.

و قد بنيت هذه المدينة لتكون قاعدة أخرى في المغرب الأوسط تقريبا لنفس الغرض الذي تأسست من أجله المسيلة وهو أن تكون قاعدة أمامية للفاطميين يضربون من خلالها زناتة والحركات المعارضة لهم. وبناء أشير أصبح المغرب الأوسط يتكون من ثلاث قواعد استراتيجية يركز عليها الفاطميون في بسط نفوذهم على الجبهات الغربية ومراقبتها ومتابعة العصاة بها ومواجهة النفوذ الأموي المتزايد في هذه الجهات<sup>17</sup> وقد جلب زيري بن مناد لها الصنائع والعمال من المسيلة وطبنة فأحكموا وضعها وأشادوا بناءها فكثرت عمرانها وشيّدت بها القصور والمنازل والحمامات وقصدها العلماء والتجار والادباء من كل مكان<sup>18</sup>. وسكن الناس فيها وبني سورها وحصنها فاتسعت خطتها واستبحر عمرانها ورحل إليها العلماء وقصدها أهل تلك النواحي طلبا للأمن والسلام<sup>19</sup>.

و هناك ارتباط وثيق بين الازدهار الثقافي والتطور العمراني، فتكاثر المدن يؤدي إلى تزايد تحول المجتمع البدوي أو الريفي إلى مجتمع حضري وهو لا محالة يشكل الإطار الأمثل للإشعاع الفكري<sup>20</sup>.

حيث بعد تجهيز المدينة وتعميرها امتلأت بالعلماء والفقهاء والتجار ومن بين رجال

الحديث والفقه الذين ينسبون إلى أشير نذكر الشيخ أبا محمد الأشيري إمام حلب والشام عامة فقد استدعاه الوزير عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبة فقربه إليه وأكرمه<sup>21</sup>، وتسامع الناس بأشير في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وقد عمد زيري بن مناد إلى ضرب السكة وبسط العطاء للجند وجعل لهم الأرزاق<sup>22</sup> فكثرت الدنانير والدراهم في أيدي الناس واطمأنت نفوس أهل البادية.

و من الدلالات على مدى تطور وإزدهار أشير وتحولها إلى مركز ثقافي وحضاري هام أن الفن المعماري الزيري الأول كما تمثله آثار أشير<sup>23</sup> قد بلغ درجة من التعقد والترف الزخرفي بالمقارنة مع الفن الأغلبي حيث عرفت بلاد المغرب الأوسط وأفريقية خلال القرن الرابع الهجري تقدم العمران وإزدهار العلوم والفنون الجميلة ذلك التقدم الذي كان يرافق انتشار الترف في القصر وتآلق أذواق الأمراء<sup>24</sup>.

و هكذا تضافرت مجموعة من الظروف لتجعل من أشير قلعة دفاعية ومركزا لتجمع العلماء والفقهاء<sup>25</sup> ومقرا لنفوذ قوة سياسية جديدة بالمغرب الأوسط ترتكز على تنظيم صفوف صنهاجة وعلى تأييد الفاطميين لفرض الإستقرار والأمن في هذه المنطقة<sup>26</sup>.

### ج. بونة 27

تعتبر الرحلات من السمات البارزة في بلاد المغرب الأوسط إذ عرفت هذه الظاهرة تطورات مهمة بداية من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بفعل استقرار العديد من العناصر الأندلسية والقيروانية وغيرها بالمدن الساحلية من المغرب الأوسط كبونة<sup>28</sup> ومرسى الدجاج وتنس وقد شكلت هذه الشخصيات الواردة إلى بلاد المغرب الأوسط من مختلف الجهات مخزوناً إضافياً لها، بل إن الحياة الفكرية لمدينة بونة هي ثمرة مجهودات النخب المستقرة أو المتنقلة عبر بونة، ومن ذلك الفقيه ابن مروان البوني<sup>29</sup>. ت 440هـ- 1048م، المالكي له كتاب في شرح الموطأ وصله من الأندلس وانتقل إلى إفريقية فأقام ببونة فنسب إليها. وكوّن مجموعة من طلاب العلم بها ممن قدموا لطلب علمه<sup>30</sup>.

و يفهم من الوصف الجغرافي لهذه المدينة أنها كانت مدينة مقتدرة وليست بالكبيرة ولا بالصغيرة توفرت على شروط العيش والاستقرار من أراضي ومياه وخيرات ومساجد

وأسواق وحمامات وحولها<sup>31</sup>. انتشرت القبائل الكثيرة من البربر، مصمودة وأوربة، ووصفها الإدريسي قائلا «وكانت لها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح موجودة»<sup>32</sup>.

و لا شك أن هذا الجو ساعد على الأمن والاستقرار وطلب العلم وانتشاره في هذه المنطقة.

### د. ورجلان 33

وكان لإزدهار وارجلان كمركز تجاري هام وكمحطة لحركة القوافل التي تنطلق منها إلى كل الاتجاهات، وإلى جانب ما تتمتع به من الأمن النسبي الذي تفرضه<sup>34</sup> أهميتها التجارية وانعزال موقعها مع قوة أهلها وكثرة الوافدين إليها واتساع العمران حولها، كل هذه العوامل ربما جعلت منها مكانا هاما والأصلح للقيام بدور البديل المباشر لتاهرت وإذ كنا لا نعرف الكثير عن الحياة الثقافية في ورجلان في عهد الدولة الرستمية فذلك يعود إلى أن انطلاق الحركة العلمية في هذه المدينة الصحراوية كان بعد قدوم الإباضية الفارين إليها من تيهرت<sup>35</sup> وكذلك إباضية إفريقية وطرابلس وجبل نفوسة الفارين من المضايقات التي تعرضوا لها. إذ أن ورجلان خلال القرن الرابع للهجرة أصبحت مركزا تجاريا وعلميا يربط المغرب الأوسط بجنوب الصحراء وحتى أقصى غرب أفريقية<sup>36</sup>. فكان إذن لهذا الدور الذي لعبته ورجلان هو محاولة تجسيم والتعبير عن عمق التأثير الفكري والحضارة للدولة الرستمية التي استمرت أثارها العلمية والفكرية قرونا متصلة بعد غيابها من الوجود السياسي تماما، وتحولت بذلك ورجلان إلى مصدر إشعاع علمي أمتد إلى البلدان والمناطق المجاورة كبلاد السودان وجبل نفوسة وبلاد الجريد وغيرها.

و لا شك أن استقرار يعقوب بن أفلاح في وارجلان وما قام به أهلها بعد لجوئه إليهم وعرضهم الإمامة عليه ومساندته على تأسيس الدولة من جديد يحدد من الناحية الزمنية على حد تعبير الشماخي بداية انطلاق- الحركة العلمية بها كبديل لتيهرت<sup>37</sup>. ولاشك أن مساهمة يعقوب بن أفلاح في ميدان التعليم كانت هامة فقد كان من العلماء على عادة البيت الرستمي<sup>38</sup>. فهذا الجو الذي كان سائدا في ورجلان وفر أسباب الاستقرار والتقدم وساهم في جلب العلماء والأدباء والزعماء إليها للاستقرار وتنشيط الحركة العلمية بها<sup>39</sup>.

فلم تخل هذه المنطقة في أي مرحلة من مراحل هذه الفترة التاريخية من شخصيات ذات أثر ونفوذ دعمت الحركة العلمية بهذه المنطقة 40 فبعد يعقوب بن أفلح ظهرت شخصيات أخرى كان لها دور فعال في إثراء الحركة الثقافية في وارجلان منها:

الشيخ أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراقي المعروف بالطرقي يصنفه الدرجيني 41 ضمن الطبقة السادسة ( 250هـ-300هـ) والذي يقول فيه « العالم الفقيه الفطن النبیه اليقظان الذكي الورع ذو الجهادين الأكبر والأصغر والاجتهادين المصلي والدفتر» كان يلقب بشيخ الرأي الناصح وذكر أنه كان في مدة قضاائه يقضى بين الناس وهو يعمل اشغال داره لا يلهيه شيء عن شيء وذلك لذكائه وقلة كبره وكان منتهى الفتيا بوارجلان 42 كون هذا العالم الفقيه حلقة علمية في أحد مساجد وارجلان، فكان إلى جانب توليه القضاء يقوم بتعليم التلاميذ ويلقي دروس الوعظ في مساجد المدينة وأثمرت حلقاته بتخرج العديد من العلماء نذكر منهم أبو صالح جنون بن يمران الذي تولى أمور وارجلان بعد وفاة أبي يوسف وأصبح شيخها الكبير 43، كما كانت له حلقة علمية في أحد مساجد وارجلان تعرف باسمه يحضرها كل متعطش للعلم والمعرفة.

و إلى جانب يوسف بن سهلون يأتي الشيخ أبو نوح سعيد بن زنجيل 44 وإليه انتهت رئاسة الإباضة في العلم فقد قصد وارجلان فارا من أبي تميم السلطان العبيدي، مع أهله مستخفيا لقيه أهلها بالترحاب وأنزلوه منزلا حسنا وأكرموا مثواه غاية الأكرام وقد رحب به شيخ وارجلان أبو صالح جنون 45 وأجرى عليه الارزاق الكثيرة وأمدّه بكل ما يحتاج من الأموال، وكان يعقد الشيخ أبو نوح حلقة الدرس في مسجد الشيخ أبو صالح وكانت جماعة أهل وارجلان تجتمع إليه في هذا المسجد فمنهم المستفيد منه علما ومنهم المستبرك بمشاهدته والمقتفي منه خلقا يتحلى به 46، ويبدو أن شخصية أبي صالح جنون كانت مسؤولة بالدرجة الأولى عن إزدهار الحركة العلمية وإنظام الحياة الدينية في ورجلان لما كان له من نفوذ واسع وتأثير مباشر في دعم الحركة العلمية والنفقة على الشيوخ والطلبة 47، وبوفاته تدهورت الحركة العلمية وظلت الحياة الثقافية راكدة. ونستطيع القول أن أهم إنجاز في الحركة العلمية في هذه المناطق خلال فترة دراستنا هي وضع نظام الحلقة 48 وإرساء أداها وترسيخها في وسط المجتمعات الإباضية مما أعان على دعم

الحركة العلمية على أسس ثابتة ومنظمة جمعت بين التعليم والتكوين وبين التدريس والتوجيه.

و بذلك تمكن هذا الشيخ أن يوسع آفاق حركته في كل الديار الإباضية في وارجلان وغيرها وكان يشجع طلبته على مطالعة الكتب وتأليفها وتخرج على يده الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المتوفي سنة 471هـ 49. ولاشك أن عددا كبيرا من الطلبة وفدوا عليه لحضور حلقات التدريس.

و يعد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر الفرسطائي<sup>50</sup>، أحدا علام القرن الرابع الهجري فقد ركز جهوده على بناء حركة علمية تربوية منظمة قصد الحفاظ على استمرار عملية البناء الاجتماعي والديني والعلمي للمجتمعات الإباضية بالمغرب الأوسط ويعود الفصل إلى أبي عبد الله في وضع نظام الحلقة ملبيا رغبة شيخه أبي زكرياء بن أبي مسور، وقد عرف عنه كثرة تنقلاته مع تلامذته حتى قيل فيهم أي لهذا الشيخ وتلامذته: «إمما مثلهم كمثّل الحوارين لعيسى بن مريم<sup>51</sup>» ومن الذين كان لهم الفضل في ترتيب الحلقة كان أبو الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي وزجون المزاتي<sup>52</sup>

و يحكم طابع ورجلان التجاري والحركة المستمرة على هذه المنطقة فقد أثرت في ازدهار الحركة فتطورت العلوم من الفلسفة والنجوم إلى فكر اسلامي شامل.

#### خاتمة :

لعبت هذه المراكز الثقافية دورا هاما في نشر العلوم والمعارف عبر كامل المغرب الأوسط وخارجه وكانت وراء بروز علماء وأدباء وخطباء جسدوا المقدم والتواصل الحضاري للمغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي

و لا شك أن مدن المغرب الأوسط الأخرى شهدت نفس التقدم العلمي وإن أغفل أصحاب التراجم ذكر علمائها ومع هذا فقد عرفنا أبا عبد الله محمد بن زيد وأبا جعفر الداودي من علماء المسيلة في القرن الرابع الهجري وأبا القاسم سوار بن كيسان وسعيد بن وأشكل التهرقي من علماء تنس وعبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرو الوهراني المتوفي 429هـ 1037-م، وغيرهم.



## المراجع

- 1-رافعي نشيدة، الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي ، 226هـ - 362هـ رسالة لنيل دكتوراه دولة جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ - السنة 2002 - 2003.
- 2-إبراهيم حسن :تاريخ الدولة الإسلامية: السياسي، الديني، الثقافي و الإجتماعي، ج1، دار الجيل بيروت و مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط 1 ، 2001 ، ص 221.
- 3-نفسه، ص 222.
- 4-عثمان الكعك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال العربي دار الغرب الإسلامي ط1. 2003 ص 167
- 5- ابن خلدون عبد الرحمان : المقدمة، دار الكتاب اللبناني بيروت . 1967 ص ص 441 - 412.
- 6- ومن مقرة إلى المسيلة مرحلة، وهي مدينة محدثة استحدثها على بن الأندلسي أحد خدم آل عبيد الله وعليها سور حصين من طوب ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض وعليها من البربر بنو برزال وبنو زانداج وهوارة ومزاة: ينظر اسماعيل العربي، المدن المغربية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1948، ص 163.
- 7-ابن عذاري : أبو العباس أحمد المرکشي :البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4 تحقيق ج س كولان وليفي بروفيتسال، بيروت 1948 . ص ص 164-165 .
- 8-عبد العزيز القبلاي العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1982، ص 37.
- 9- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 164-165، ينظر أيضا ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص78.
- 10-النيفر، محمد توفيق: الحياة الأدبية بافريقية في العصر الفاطمي تونس 1992، ص 742.
- 11-اليعلاوي، ابن هاني الأندلسي شاعر الدولة الفاطمية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص179.
- 12-رافعي نشيدة: المرجع السابق، ص 366.
- 13-عثمان الكعك، المرجع السابق، ص 160.
- 14-نفسه، ص 161.
- 15- سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية سنة 2000.ص193.
- 16-محمد بن معمر العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغرین الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين : شهادة دكتوراه دولة - مرقونة - جامعة وهران سنة -2001 2002
- 17-نفسه، ص 111.
- 18-محمد المختار اسكندر، مجلة الاصاله ضمن أعمال الملتقى السادس للفكر الاسلامي، مج2.منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر ماين 24 يوليو إلى 10 أوت 1972 ص 148.
- 19-عبد الحليم عويس، ابو حمو موسى الزياتي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1 الجزائر . 1974. ص37
- 20-عبد الحميد حاجيات، ابو حمو موسى الزياتي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ط1، الجزائر 1974، ص 37.
- 21-اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980، ص 54.
- 22-نفسه، ص 54.
- 23-و كان الكاتب الفرنسي بير بروجيه Berbrugger هو أول من تعرف على مدينة أشير التاريخية في

خرائب الكاف الأخضر في سنة 1852، وفي سنة 1922 قام جورج مارسى G.Marçais بزيارة خرائب أشير وبكتابة دراسة قيمة عنها نشرتها المجلة الأفريقية في نفس السنة، ينظر، اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 156.

24- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ... المرجع السابق، ص 128.

25- أ.ف. غوتية، ماضي شمال أفريقيا: ترجمة هاشم الحسيني طبعة طرابلس، ليبيا، 1970، ص 258.

26- اسماعيل العربي، دولة ... المرجع السابق، ص 55.

27- تقع بونة الحديثة على مسافة ونصف من هيبونة (Hipo uegins) وقد أسس الفيقبون بونة وغزتها قرطجنة ثم أستولى عليها ملوك بونة نوميديا ولما هزم يوغورطه صمت المدينة وأراضها إلى ما يسمى بولاية أفريقية الرومانية وأصبحت بونة مدينة مزدهرة كما أصبحت من أهم المراكز الدينية بعدما أنتشرت في المسيحية. ينظر، اسماعيل العربي: المدن... المرجع السابق، ص 196، هامش 01.

28- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2008، ص 104.

29- اسماعيل العربي، دولة... المرجع السابق، ص 198.

30- علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 198.

31- اسماعيل العربي، دولة ... المرجع السابق، ص ص 196-197.

32- الإدريسي المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق تحقيق محمد حاج صادق ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص 154.

33- كانت ورجلان في القرن الثاني والثالث والرابع للهجرة مركزا هاما للإباضية في المغرب الأوسط ولا يقصد بورجلان اسم المدينة فقط بل كذلك اسم المنطقة المحيطة بها: مسعود مزهودي المرجع السابق /، ص 2.

34- عمرو خليفة النامي: ملامح عن الحركة العلمية في ورجلان محاضرة مرقونة: منشورات وزارة الشؤون الدينية فبراير 1977، مجلد 1، ص 98.

35- مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط من سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب - رسالة ماجستير (مرقوته) كلية الآداب قسم التاريخ جامعة القاهرة - مصر - 1988 ص 248

36- سليمان بوعصبانة، الحياة العلمية بمنطقة أريغ من القرن الرابع إلى السادس للهجرة، مجلة الحياة عدد 2، غرداية 1984، ص 141.

37- الشماخي: كتاب السير، قسنطينة الجزائر - 1304 هـ ص 365

38- الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب (جزءان) تحقيق إبراهيم طلاي، الجزائر 1974، ص 105.

39- عمرو خليفة، ملامح عن الحركة في ورجلان، ج 1 منشورات وزارة الشؤون الدينية. فبراير، 1477 الجزائر.

40- نفسه ص 118.

41- الدرجيني: المصدر السابق، ص 331.

42- نفسه، ص 332.

43- مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص 249.

44- الدرجيني المصدر السابق، ص 143.

45- نفسه ص 144.

46- نفسه ص 144.

47- مسعود مزهودي، المرجع السابق ص 183.

48- عمرو خليفة، المرجع السابق، ص 106.

- 49-الدرجيني: المصدر السابق، ص 428.
- 50-هو أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي ولد سنة 345هـ، وتوفي عام 440هـ يتبين أسلي (بلدة عمر) ودفن بها ، ونشأ بجبل نفوسة وتعلم على الشيخين، أبْن نوح بم رنغيل أبي زكرايا بن أبي مسور وكلاهما من الطبقة الثامنة (350هـ-400هـ). بوعصبانة: المرجع السابق، ص 143.
- 51-الدرجيني: المصدر السابق، ص 186.
- 52-Fekhar Brahim Ben moussa: les communautés Ibadites en Afrique du Nord depuis les fatimides, thèse doctorat 3<sup>ème</sup> cycle, sorbome paris , 1971, P64

## العدوانية والإحباط

أ/مزغراني حليلة - جامعة سيدي بلعباس

### مقدمة :

- لقد مارس الإنسان السلوك العدواني منذ وجوده على الأرض ليعمرها أين قتل ابن آدم قابيل أخاه هابيل إرضاء لشهوته وطاعته لنفسه، قال الله تعالى :« فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين» (المائدة «30).
- ويلاحظ السلوك العدواني في سلوك الطفل الصغير وسلوك الذكر وسلوك الأنثى وسلوك الإنسان السوي وسلوك اللاسوي.
- السلوك العدواني واسع الانتشار في هذا العصر حتى يكاد يشمل العالم بأسره، كما أنه متعدد الأشكال والصور.
- فالمخاوف التي تهدد الإنسان كثيرة وحقيقية، منها خوفه على حياته وحياته أفراد أسرته وخوفه على رزقه، وذلك بسبب إنتشار أعمال الإجرام والظلم الإجتماعي والبطالة والعنف والخطف والقتل الفردي والجماعي والإغتصاب والتعصب وجنوح الأحداث والقسوة على الأطفال وغيره.
- ويرتبط العدوان بكثير من التغيرات الشخصية كالشعور بالإحباط بسبب خبرات الحرمان والتأزم النفسي بسبب الضغوط اليومية المختلفة والإضطرابات النفسية بسبب إستمرار هذه الضغوط.
- والحقيقة أن ما تتصف به المجتمعات الحديثة من تعقيد، وعدم قدرة أفرادها على إشباع حاجاتهم الأساسية، إضافة إلى الضغوط الإقتصادية والاجتماعية التي تنشأ عن هذه الأوضاع المعقدة، أدى إلى ظهور أشكال مختلفة في التنافس والصراع بين الناس من أجل الإستحواذ على الإشباعات المادية والسيطرة عليها، مما أفقد علاقاتهم

الاجتماعية كالتواد والتعاون والتضامن، وجعلت محلها العلاقات النفعية والمادية، فيشعر الأفراد بالوحداية والعزلة وخيبة الأمل فتنتمي لديهم الشعور العدواني إتجاه الذات وإتجاه الآخرين والمجتمع ككل.

- فظهر السلوك العدواني وأنتشر في المجتمعات على شكل إيذاء للغير بالشتيم والقذف والضرب والقتل والاعتصاب والعدوان على الممتلكات بالسرقة والتخريب 1 وبما أن ظاهرة السلوك العدواني والعنف تطرح مسألة السلوك الإنساني في أعلى درجات التعقيد، إذ تبدو هذه المشكلة وكأنها صراع بين هؤلاء المراهقين وبين أنفسهم وبينهم وبين ما يحيط بهم. فالسلوك العدواني هو تعبير صريح قد يكون يبين إلحاح دوافعه وحاجاته وبين ما يمليه عليه ضميره الذي نشأ لديه متكونا من صورة والديه وأفراد أسرته وذويه وأوامرهم ونواهيهم وكذلك من المجتمع بما فيه من قيم ومعايير ونظم وعادات.

والمجتمع الحديث يجد صعوبة في فهم الجيل الجديد التائر على المجتمع بما فيه من قيم وقوانين التي سطرها الكبار وبالرغم من الإعتمادات التي توليها المجتمعات لهذا الجيل إلا أننا نجد تناقضا كبيرا بين متطلباته وما سنه الكبار من قواعد وقيم ومعنى هذا أنه ليس هناك إعترااف إجتماعي بحقوق ومتطلبات هذه الفئة مما يجعلها تشعر بالنقص والدونية وبأنها مهمشة مما جعلها تعيش صراعات وتناقضات داخلية وخارجية وبالتالي يحاول أفرادها البحث عن أساليب حياتية لتحقيق ذواتهم وخاصة هم في فترة إنتقالية من عالم الطفولة إلى عالم الرشد حيث يتوق المراهق فيها إلى الإستقلال عن أسرته والإكتفاء بذاته ويمر بتجربته رغم توجيهات الكبار لسلوكاته التي يعتبرونها غير سوية.

وإذا كان العدوان ظاهرة سلوكية منتشرة في جميع الأفراد من الفئات العمرية المختلفة، إلا أنه أكثر إنتشارا بين فئات الشباب لأن هذه الفئة العمرية توجد على سياق نفسي إجتماعي يسهل صدر الإستجابة العدوانية فيها وفقا لتوفر شروط بيئية معينة كالبطالة والإحباط. ذلك أن خصائصهم النفسية تجعلهم أكثر إنفعالا وأقل قدرة على إخفاء غضبهم، فهم يسعون أكثر من غيرهم لتحقيق ذواتهم بالنجاح والتفوق والإستقلال وأنهم بحكم سنهم أكثر تطلعا للمستقبل وأكثر إنشغالا بقضياه وعندما تكون الفجوة كبيرة

بين مستويات الطموح والرغبة في التفوق بين الإمكانيات المتواضعة لتحقيق الذات، فإن هذا الوضع يزيد من حجم التذمر والغضب والعداء، مما يجعلهم أكثر عرضة للاستجابة السريعة للمنبهات المثيرة للعدوان<sup>2</sup>

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن فئة الشباب توجد في مرحلة نمائية نفسية ذات خاصية متميزة سماها السيكلوجي الأمريكي إريكسون : مرحلة إكتساب الإحساس بالهوية.

### I- تعريف السلوك العدواني :

· يعرف هـ.كوفمان H.Koufman 1970 السلوك العدواني بأنه: « الاستجابة التي تهدف إلى إلحاق الضرر والأذى بالآخرين »<sup>3</sup>.

· ويعرفه ج.م.دارلي وآخرون J.M.Darly 1983 بأنه : « السلوك الذي يؤدي إلى الأذى والتدمير ويأخذ صورة الهجوم والإعتداء على الغير والممتلكات العامة »<sup>4</sup>.

· أما محي الدين حسين وآخرون 1983 فيرون أن السلوك العدواني يمكن تصنيفه إلى سلوك عدواني بدني وسلوك عدواني لفظي، ويعرفونه بأنه : « أي سلوك يصدره الفرد، لفظيا أو بدنيا، صريحا أو ضمنيا، مباشر أو غير مباشر - وحدده صاحبه بأنه سلوك أملتة عليه مواقف الغضب أو الإحباط أو الإزعاج من قبل الآخرين، أو مشاعر عدائية، وترتب على هذا السلوك أذى بدني أو مادي أو نفسي للآخرين أو للشخص نفسه ».

II- وعرفه ماك بيرري MC Perrey 1992 : « أي سلوك يصدره الفرد بهدف إلحاق الأذى والضرر بفرد آخر- أو أفراد آخرين، الذي يحاول أن يتجنب هذا الأذى، سواء كان بدنيا أو لفظيا، تم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو تم الإفصاح عنه في صورة غضب أو عداوة التي توجه إلى المعتدي عليه »<sup>5</sup>.

### III- أشكال السلوك العدواني :

يتميز الإنسان عن الكائنات الأخرى بالعقل واللغة، يستطيع التعبير عن نفسه مستخدما كافة أعضاء بدنه بالإضافة إلى اللغة، فيعبر عن عدوانه بقسمات الوجه أو باليدين أو القدمين أو بالألفاظ أو بالإهمال أو بالعناد أو بالمخالفة والمعارضة أو بالتخريب وغيره.

وعلى هذا الأساس فقد قام الباحثون بتصنيف السلوك العدواني إلى أشكال مختلفة:

- صنفه أرنولد باص 1961 على أساس ثلاثة محاور هي: إيجابي مقابل سلبي، مباشر مقابل غير مباشر، بدني مقابل لفظي.

- وصنفه ب. ر. سابينفيلد Bert R.sappenfield إلى عدوان بدني أو مادي صريح مثل إلحاق الضرر بإنسان أو بممتلكاته، وعدوان لفظي صريح مثل الشتم واللوم والنقد والسخرية والتهكم وترويج الإشاعات الضارة<sup>6</sup>.

- ويصنفه جورج إدموندز G.Edmunds 1978 إلى محورين هما : عدوان وسيطي مقابل عدوان عدائي، وعدوان إستجابي مقابل عدوان مبادئ. ويتعامل هذان المحوران وفقا لوجهة نظره بشكل يمكننا أن نستخلص منهما أربع فئات للسلوك العدواني هي :

1- الوسيطي المبادئ مثل استخدام العنف لإغتصاب المال.

2- الوسيطي الاستجابي مثل الدفاع عن الملكية.

3- العدائي المبادئ مثل إلحاق الأذى بيريء.

4- العدائي الاستجابي مثل ضرب المعتدي لصدده.

وفي دراسات أكثر تطورا قام أرنولد باص وماك بيري 1992 بتصنيف السلوك العدواني إلى أربعة أبعاد هي : العدوان البدني، العدوان اللفظي، الغضب، العدا.

### أنماط السلوكيات العدوانية :

#### 1) العدوانية الموجهة إلى الغير :

هي عبارة عن نمط من أنماط العدوانية التي تستهدف الآخر لموضوع لها أو إلى المحيط الخارجي<sup>7</sup>.

وتحتوي العدوانية من هذا النوع شعورا بالضغينة أو العداوة من الذات إلى خارجها وفي هذه الحالة يعمل هذا الشعور على مستويات معينة منها :

- مستوى الشعور بالعدوانية العام أو مستوى العدوان الطليق.

- مستوى الشعور بالعدوان مركز على أشخاص معينين.

- مستوى الشعور بالعدوان الجماعي.

وهناك أيضا فيما يخص هذا النوع من الشعور بالضغينة أو العدوان ما يعتبر عدوانا مزيفا أو منحرفا أي لا ينعكس ضد المصدر الأصلي بل يحيد عنه وينحرف ضد مصدر آخر بديل8 وترمز AJURAGUERRA إلى نمطين من الاستجابات العدوانية الموجهة للآخر ( استجابات انفجارية - استجابات تحويلية ).

### الإستجابات الانفجارية العدوانية :

تعبّر فيها النزوات عن نفسها بشكل انفجاري تفريغي ويكون هذا التفريغ أو التصريف الانفعالي لها عبر قنوات حركية أو لغوية أو غيرها من القنوات المميزة في بناء العضوي النفسي العام بوظيفتها هاته والتي بها يتم الحفاظ على التوازن الانفعالي.

### الاستجابات التحويلية :

تظهر في الاستجابات العدوانية توظيف ما يسمى بميكانيزمات التحويل الذي به تحول النزوات العاطفية الانفعالية إلى استجابات عدوانية بدون العبور بالشخصية أي بدون العبور بالحياة اللاواعية وهوايتها.

وترى AJURAGUERRA أن هذا النمط من السلوك غالبا ما يمثل نقطة بدأ في تشكيل تكوينات سيكوباتية وأن ردود الأفعال أو الاستجابة السلبية للإحباط غالبا ما تشكل الأعراض الرئيسية للذهانات المبكرة.

### (2) العدوانية الموجهة للذات :

يظهر النموذج عندما تكون هناك خشية في إثارة غضب أو عدوانية الآخر9 أو تعرض للعدوانية المستهدفة للآخر إلى كف قوي من قبل الأنا وهذا الشكل من العدوانية يظهر بشكل عادي عند الطفل ما بين 8 أشهر إلى عامين، استمرار هذا النمط من العدوانية بعد هذا السن تعتبر كمؤشر عيادي عن حالة مرضية ويميز AJURAGUERRA نوعين من هذه العدوانية.

### أ. العدوانية الذاتية التطورية :

وذلك لإتخاذها منحى تطوريا نمائيا فهي تتطور في سن محدد كما تؤدي لأوليات النمو وسيرواته وهي شائعة حتى السنة الثانية عند الطفل وبعد هذه السن تتلاشى



أشكال تدريجية، وظهور العدوانية الذاتية التطورية عند الطفل متزامن مع تواجده في مرحلة النمو لا يدرك فيها تماما الإدراك لقوانين السببية فليس بمقدوره لا تقييم النتائج ولا التحكم في رغبة التفريغ وذلك لتفادي الألم وهذا ناجم عن عدم إدراك سببية الأمور.

#### ب. العدوانية الدائمة أو المتأخرة في النمو :

فهي مجموعة أعراض عيادية نجمت عن الظروف القاسية للحرمان العاطفي كما ثبتت، كما أن الاستجابة النفسية العميقة لحالة الإحباط والتي تظهر في دورة أعراض تعبر عن مشاعر الهجر على المستوى الديناميكي.

ولقد اكتشف العالمان Spitz و Wolf هذا النوع عند أطفال المؤسسة والمحرومين من العلاقات الوجدانية<sup>10</sup>.

#### IV-النظريات المفسرة للسلوك العدواني :

تناول السلوك العدواني الكثير من الباحثين في معظم التخصصات في العلوم الإنسانية، فتباينت تفسيراتهم له، فكان ذلك سببا لظهور العديد من النظريات، نتناولها في ما يلي:

##### 1- النظرية الغريزية :

وهي من أوائل النظريات المفسرة للسلوك العدواني ومن أنصارها (وليام ماكيدوجال W.Mc.Dougal، سيجموند فرويد S.Freud، أ.أدler A.Adler، كونراد لوريز K lorenz). بوجود حافز عدواني فطري، فمكدوجال يرجعه إلى غريزة المقاتلة التي يحركها إنفعال الغضب.

أما فرويد 1915-1920 فقد فسر الغريزة باعتبارها غريزة فطرية، وهي تعبير عن غريزة الموت، وتتجه هذه الغريزة في أصلها إلى تدمير الذات. فيرى أن البشر مدفوعون بشكل لا شعوري نحو تدمير ذواتهم، أي مدفوعون نحو الموت، ولا تتجه هذه الغريزة إلى الخارج ضد الآخرين ( السادية) إلا كظاهرة ثانوية فقط ويتم ذلك من أجل حماية الذات عن طريق ميكانيزمات الدفاع<sup>11</sup>.

ويتفق أ.أدler 1908-1910 مع فرويد في كون العدوان غريزة فطرية، ولكنه يختلف معه من ناحية إستقلالها التام عن غريزة الجنس وسماها « إرادة القوة »، أين يمثل القوة

بالذكورة والضعف بالأنوثة. لم يتخلي بعد ذلك عن إرادة القوة مفضلا عنها مفهوم « الكفاح في سبيل التفوق » واعتبر الهدف النهائي للإنسان أن يكون قويا متفوقا.

أما لورنز 1966-1977 وهو ممثل لعلماء الايتولوجيا Ethology فقد افترض أن السلوك العدواني ناتج عن غريزة القتال، وهو تعبير حتمي لها، وهي غريزة موجودة عند الإنسان والعديد من الحيوانات، وهذه الغريزة يتم إنتاجها باستمرار داخل الكائن الحي وبمعدلات ثابتة. ولذلك فهي تتراكم مع الوقت، وهي لا تعمل بمفردها بل توجد مثيرات مولدة وعندما تتراكم الغريزة ولا توجد طريقا لتصريفها، فإن أي إثارة يتعرض لها الكائن تجعله ينفجر بالعدوان.

إذن حسب لورنز هناك عاملان لحدوث العدوان وهما :

- تراكم الطاقة الغريزية.

- والمثيرات المولدة للعدوان، وقد حاول لورنز تفسير ظواهر عدوانية مثل الحروب والعدوان الفردي والجماعي بهذا المفهوم<sup>12</sup>.

## 2- النظرية السلوكية :

يفسر السلوكيون العدوان وفقا لمفاهيمهم التي يستخدمونها لتفسير السلوك، فالسلوك العدواني عندهم سلوك متعلم عن طريق الاشراف والتعزيز، وهناك نوعان من الاشراف هما:

الاشراط الاستجابي الذي بحث فيه إيفان ب. بافلوف I.P.Pavlov ويحدد فيه السلوك كاستجابة لمثير سابق، فالفرد يصدر سلوكا عدوانيا كاستجابة لمثير سابق وهو تلقيه لإهانة مثلا : أو رؤيته لمعزز عند ضحية ضعيف يمكن أخذه بقوة.

الاشراط الاجرائي بحث فيه السيكلوجي الأمريكي ب.ف.سكنر B.F.Skinner الذي يقول : يصدر السلوك كإجراء في البيئة فيحدث فيها تغيرات، ويتأثر بعد ذلك بما يعقبه، فإذا كان تعزيرا زاد احتمال صدوره، أما إذا لم يعزز أو تعرض للعقاب فإن احتمال صدوره يتناقص، فالسلوك العدوان وفقا لهذا الاشراف، يحدث ويستمر عندما يعقبه ثواب أو مكافأة.

## 3- نظرية التعلم بالمحاكاة :

يرى السيكلوجي الأمريكي ألبرت باندور A.Bandura أن السلوك العدواني كثيرا ما يتعلم عن طريق تقليد نماذج عدوانية كالأباء والمعلمين والأفراد المعجب بهم. لكن تعلم هذا السلوك يتوقف على ما يترتب عليه من ثواب أو عقاب، وقد أجريت دراسات عديدة على العدوان عند الأطفال خاصة، فتبين صدق ما تذهب إليه هذه النظرية<sup>13</sup>.

## 4- نظرية التعلم بالتوقع وقيمة التعزيز :

هذه النظرية في التعلم ترى أن السلوك العدواني متعلم ويضع جوليان ب. روتر J.B.Rotter صاحب هذه النظرية أربعة مفاهيم لتفسيرها وهي :

■ إمكان حدوث السلوك

■ التوقع

■ قيمة التعزيز

■ الموقف النفسي

وبهذه المفاهيم الأربعة تفسر السلوك العدواني كما يلي : أنه في موقف معين فإن إمكان حدوث سلوك عدواني معين يعتمد على توقع الشخص العدواني بأنه بسلوكه العدواني هذا سوف يحصل على شيء يرغب فيه ماديا أو معنويا، وأن هذا الشيء الذي سوف يحصل عليه، مفضل لديه قيمة التعزيز في هذا الموقف النفسي أكثر من أي شيء آخر يمكن أن يحصل عليه أيضا<sup>14</sup>.

## 5- نظرية السمات :

ترى هذه النظرية أن العدوان سمة من سمات الشخصية، وهناك فروقات بين الأفراد في هذه السمة. ويعتبر إيزنك H.J.Eysenk من أكبر دعاة هذه النظرية الذي يؤكد على وجود شخصية عدوانية. وباستخدامه للتحليل العاملي، قدم براهين علمية على صحة ما يذهب إليه كما يلي :

■ أن جميع الأفراد يولدون بأجهزة عصبية مختلفة، فمنهم من هو سهل الاستثارة

ومنهم من هو صعب الاستثارة.

■ الشخصيات سهلة الاستثارة تصبح مضطربة، والشخص المضطرب لديه استعداد في أن يصبح عدوانيا أو مجرما<sup>15</sup>.

#### 6- النظريات البيئية :

تشير هذه النظريات إلى أن العدوان يتأثر بالعوامل البيئية الفيزيائية، وقد تناولت البحوث ثلاثة موضوعات بيئية في علاقتها بالعدوان والعنف هي ما يلي:

■ الضوضاء : تتبين من نتائج الدراسات في هذا الصدد أن الأفراد الذين يعيشون في الحضر ويتعرضون لضوضاء صاخبة يظهرون مستويات أعلى من العدوانية تجاه الآخرين أو البيئة، أكثر من الأفراد الذين لا يتعرضون للضوضاء.

■ الازدحام : الازدحام بصفة عامة لا يؤدي على ارتكاب السلوك العدواني، ولكن دراسات وإن كانت قليلة وجدت أن الازدحام يدفع الأفراد إلى الإتيان بالسلوك العدواني، خاصة إذا توفرت ظروف مناسبة كالشعور بالتهديد وتعذر الهروب أو بالضغوط وإدراك الفرد للموقف.

■ الحرارة : يعتبر التعرض باستمرار لدرجة حرارة مرتفعة كضغط بيئي أحد العوامل المساعدة على ظهور السلوك العدواني إلا أن الدراسات في هذا المجال لم تحسم هذه العلاقة.

#### 7- نظرية الإحباط - العدوان :

وهي من أشهر النظريات التي حاولت تفسير السلوك العدواني والتي يطلق عليها غالبا « فرضية الإحباط - العدوان ».

قدم هذه الفرضية فريق من سيكولوجيي جامعة ييل Yale الأمريكية، وهم جون دولارد J.Dollard، نيل ميلر N.Miller، لونارد دوب L.Doob، هوبرت مورر H.Mowrer، روبرت سيزر R.Sears عام 1939، الذين افترضوا أن الإحباط كتشريط بيئي يؤدي إلى العدوان.

فالإحباط هو إعاقة تحقيق الهدف، يؤدي إلى استثارة دافع الهجوم على الذين تسببوا في إعاقة تحقيق الهدف وإلحاق الأذى بهم.

الإحباط هو حالة من خيبة الأمل والحرمان والشعور بالمرارة والفشل ناجم عن إعاقة المرء عن تحقيق هدف معين، فالوعي بالإحباط يعني الخطر والتهديد بالحرمان من إشباع حاجات الإنسان الأساسية التي تحمي وجوده وتحافظ على بقائه.

إلا أن هناك باحثين مثل أرنولد باص وكونراد بيركوفيتز K.Berkowitz 1969 يرون أن الإحباط لا يؤدي إلى العدوان في كل الأحوال، بل في بعض الظروف فقط، مثل السياق الاجتماعي الذي يوجد فيه الفرد المحيط. وفي حالات أخرى يستجيب المحيط بالاكتمال والانسحاب<sup>16</sup>.

#### V- العلاقة بين الإحباط والعدوانية :

##### 1- مفهوم الإحباط :

كل فرد معرض لمجموعة من الحواجز تقف أمام سبيله لإشباع حاجاته فإذا عجز عن تجاوز هذه العراقيل سيشعر بالفشل ويجد نفسه في موقف محبط.

هناك تفاوت في الدرجة والحدة للمواقف الإحباطية التي يتعرض إليها الفرد وتختلف باختلاف الحاجة والرغبة، والهدف والتوقعات والظروف، والفروق الفردية والوعي الشخصي.

يعرف القربطي الإحباط: « بأنه حالة إنفعالية غير سارة قوامها الشعور بالفشل وخبية الأمل تتضمن إدراك الفرد وجود عقبات أو عوائق تحول دون إشباعه لما يسعى إلى إشباعه من حاجات ودوافع وبلوغه ما يسعى إلى تحقيقه من أهداف» فمفهوم الإحباط من خلال هذا التعريف يشير إلى مشاعر سلبية تتضمن القلق والتوتر والحزن والتبرم الذي يشعر به الفرد نتيجة الفشل أو العجز أو التأجيل بالإضافة إلى الجانب الإدراكي المتمثل في إدراك وجود عقبة وما تعترض مسار سلوك الفرد لإشباع دافع أو حاجة ما، وبهذا المعنى يصبح الإحباط عبارة عن مشاعر يخبرها الشخص نفسه ولا نستطيع أن نحكم من الخارج أن هذا الفرد أو ذاك قد تعرض إلى موقف إحباطي.

## 2- أثر الإحباط على الشخصية :

إن الدراسات التي قام بها دولاود وزملائه تفترض أن يكون العدوان دائما مؤشر للإحباط، وأن حدوث العدوان يقوي نزعة الفرد للإستجابة بطريقة عنيفة وعدوانية سواء كانت مادية أو معنوية ويمكن تلخيص نتائج هذه الدراسة كمايلي :

• تختلف شدة الرغبة في السلوك العدواني تبعا لإختلاف كمية الإحباط الذي يواجهه الفرد وهذا الإختلاف في الكمية يعتبر دالا على مدى إعاقة الاستجابة المحبطة، وعدد مرات إحباط الاستجابة.

• تزداد شدة الرغبة في العمل العدواني تجاه ما يدركه الفرد على أنه مصدر لإحباطه، بينما ينخفض مقدار ميله للأعمال غير العدوانية إزاء هذا المصدر.

• كف السلوك العدواني في مواقف الإحباط يعد إحباطا آخر من شأنه زيادة ميل الفرد للعدوان، سواء ضد المصدر الأصلي للإحباط أو ضد عوامل كف السلوك العدائي ذاتها.

• إن توجيه السلوك العدواني نحو الذات ينشأ إذا كانت عوامل الكف التي تحول دون توجيه العدوان ضد الخارج أقوى من تلك التي تحول دون توجيهه لذات الفرد.

• الاستجابة العدوانية التي يبديها الفرد ضد مصدر إحباطه تعتبر بمثابة تفريغ لطاقاته النفسية، مما يقلل من حدوث استجابات عدائية أخرى في الموقف المثير للإحباط.

• إن مختلف الدراسات الميدانية تؤكد تنوع ردود الفعل المحتملة والمرتبة عن الإحباط تبعا لعوامل كثيرة من بينها إلحاح الرغبة المحبطة وأهميتها، قدرة الفرد على تحمل الإحباط، الخبرات السابقة للفرد وكيفية إدراك الموقف المحبط،

وخلصت هذه الدراسات إلى ردود الفعل التالية :

- المواجهة والتحمل - الإرجاء - الاستبدال - التعويض - المثابرة وبذل الجهد - التسامي - التخلي عن الهدف - اللامبالاة - التبرير أحلام اليقظة - الخيال - العدوان - النكوص.

يبدو أن من خلال هذه النتائج أن الاستجابة للمواقف المحبطة تختلف باختلاف

الأفراد وقدراتهم وإمكاناتهم على تحمل الضغوط الحياتية، فالبعض لديه مستوى عال من التحمل والصبر والإحتفاظ بتوازنه النفسي والتحكم في سلوكه، وتأجيل الإشباع المستهدف دون اللجوء إلى أساليب سلوكية شادة، والبعض الآخر لديه مستوى محدود من التحمل، فسرعان ما ينهار ويبدى ردود فعل عدوانية أو نكوصية أو وهمية، وبين هذين المستويين درجات متفاوتة في القدرة على تحمل المواقف الإحباطية.17

### الهوامش:

- (1) جابر عبد الحميد، نظريات الشخصية : البناء - الديناميات، طرق البحث، التقويم، دار النهضة العربية- القاهرة 1990، ص 616
- (2) حسين علي فايد. أبعاد السلوك العدواني لدى شباب الجامعة، «دراسة مقارنة» المؤتمر الثالث للإرشاد النفسي - جامعة عين شمس المجلد الأول ديسمبر 1996، ص 339
- (3) حسين علي فايد، أبعاد السلوك العدواني لدى شباب الجامعة «دراسة مقارنة» المؤتمر الثالث للإرشاد النفسي، جامعة عين شمس المجلد الأول ديسمبر 1996، ص 142.
- (4) نفس المرجع ص 143.
- (5) نفس المرجع ص 144.
- (6) جابر عبد الحميد جابر « نظريات الشخصية » البناء، الديناميات، النمو، طرق البحث، التقويم، دار النهضة العربية، القاهرة 1990، ص 165.
- (7) عبد المنعم الجفني « موسوعة الطب العقلي » المجلد الأول، دار النشر مذبولي، الطبعة الثانية، القاهرة 1995، ص 849.
- (8) سيد عويس « محاولة في تفسير الشعور بالعداوة » دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة 1968، ص 48.
- (9) سيد عويس « محاولة في تفسير الشعور بالعداوة » دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة 1968، ص 850.
- (10) عبد المنعم الجفني « موسوعة الطب العقلي » المجلد الأول، دار النشر مذبولي، الطبعة الثانية، القاهرة 1995، ص 68.
- (11) سامي عبد القوي علي « علم النفس الفيزيولوجي » مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثالثة 1995، ص 286-287
- (12) سامي عبد القوي علي « علم النفس الفيزيولوجي » مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثالثة 1995، ص 285.
- (13) نفس المرجع، ص 291.
- (14) ثريا عبد الرؤوف جبريل « العدوان لدى طلبة الجامعة وأثر بعض الأساليب الجشطلتي في التخفيف من حدته ». المؤتمر الدولي الأول للإرشاد النفسي - جامعة عين شمس المجلد الأول ديسمبر 1994، ص 199-204.
- (15) حسين علي فايد - أبعاد السلوك العدواني لدى شباب الجامعة، «دراسة مقارنة» المؤتمر الثالث للإرشاد النفسي - جامعة عين شمس المجلد الأول ديسمبر 1996، ص (149-150)
- (16) سامي عبد القوي علي « علم النفس الفيزيولوجي » مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثالثة 1995، ص 289.
- (17) فقيه العبد « التجربة الصوفية كمصدر لبناء تصور حول الصحة النفسية » رسالة دكتوراه دولة في علم النفس العيادي تحت إشراف أ.د. ماحي إبراهيم سنة 2003-2004. ص 40-41

## تأثير الخطاب السياسي لرئيس الجمهورية على اتجاهات أفراد المجتمع الجزائري

ريغي أسماء – طالبة دكتوراه – جامعة مستغانم

تقديم:

يعتبر الخطاب السياسي الوجه الآخر للخطاب السلطوي الحاكم، ذلك أنه يمارس السياسة لا كخطاب واقعي قائم، وإنما كخطاب في ديمومة البحث عن واقع بديل جديد... حيث لا يواجه هذا الأخير الواقع السياسي القائم ولا يدعو إلى تغييره أو إصلاحه انطلاقاً من تحليله، وإنما يسعى إلى طرح بديل عنه إما بالإستجداد لمخلفات الماضي المجيد أو الإنبهار بالحاضر الغربي اللبرالي.

يختلف الخطاب السياسي باختلاف مضامينه و موضوعاته حيث يسمح هذا الأخير بالتعايش مع التناقضات و التعارضات بين مختلف القوى المجتمعية ذات المصالح المختلفة و المتنافسة حول السلطة، كما يختلف هذا الأخير باختلاف النظام السياسي الحاكم، الذي يسخر لمرسله كافة الإمكانيات السمعية والبصرية و المادية التي تكفلها السيطرة على جهاز الدولة، و من ثم تمكنه من التواصل و الانتشار و القدرة على الإقناع و التأثير في المواطن. و هذا ما إشتهر به الرئيس «عبد العزيز بوتفليقة» الذي حقق تأثيراً واسعاً بفضل مضامين خطبه و مواضيعها و استراتيجيات خطبه السياسية الرئاسية.

بناءً على ذلك، قامت دراسة هذا الموضوع بتحليل استراتيجيات الخطاب الرئاسي السياسي «عبد العزيز بوتفليقة» خلال نهاية العهدة الثالثة. و لذلك قمنا بطرح التساؤل الرئيسي التالي:

ماهي آليات الخطاب السياسي الرئاسي عند عبد العزيز بوتفليقة وما دورها في الحياة السياسية في الجزائر ؟ و كيف استمال الرئيس الشعب الجزائري من خلال خطابه السياسية منذ 2012 ؟



## 1- تحديد المفاهيم:

## - استراتيجية الخطاب السياسي

## إستراتيجية الخطاب:

مصطلح مؤلف من لفظين، الإستراتيجية، و الخطاب و لكل لفظ مفهومه المستقل، فمفهوم الإستراتيجية مفهوم عام أما مفهوم الخطاب فهو خاص.

1-1 مفهوم الإستراتيجية العام: تعرف على أنها: « طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة ، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة، و التحكم بها»<sup>1</sup>.

وعليه يتضح أن الاستراتيجية خطة للوصول إلى الهدف ، ذات بعدين بعد تخطيطي وبعد مادي. ولتحقيق المبتغى لابد أن يركز العمل على البعدين على الفاعل الرئيس، فهو الذي يحلل السياق، و يخطط لفعله، ليختار من الإمكانيات ما يفي بما يريد فعله.

وبالتالي فالإستراتيجية: « هي عمل عقلي، مبني على إفتراضات مسبقة، و تتجسد من خلال أدوات ووسائل تتناسب من خلال وسائل تناسب سياق إستعمالها»<sup>2</sup>

1-2 مفهوم الإستراتيجية في الخطاب: الربط بين الاستراتيجية و الخطاب يعني أن الخطاب معد مسبقا مخطط له، وبالتالي فإن المرسل هو الذي يختار الاستراتيجية التي تستطيع أن توصله إلى المبتغى و تحقيق الهدف بأفضل حالة. و الاستراتيجية في الخطاب فقد ارتبطت به لكونه عملية يقوم بها المرسل باختيار العبارات والكلمات المناسبة ، وكذا اختيار السياق المناسب ، فهو قبل التلفظ بخطابه يخطط لكيفية إنتاجه وكذا كيفية إيصال معناه إلى المرسل إليه ، فالمرسل يحرص كل الحرص على استعمال اللغة استعمالا دقيقا يتواءم والسياق ، وحتى يتمكن من القيام بهذه العمليات لا بد وأن تكون لديه كفاية لغوية بالإضافة إلى الكفاية التداولية .

## - الخطاب السياسي :

قبل التطرق لتعريف الخطاب السياسي لابد من تعريف الخطاب:

الخطاب :من خلال البحث في المعاجم العربية و القواميس حول المدلول اللغوي

لكلمة الخطاب نجد أنها تحيل إلى عدة معان منها:

- الشأن أو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة سواء صغر الأمر أو عظم فيقال: خطب، وخطوب، وقيل: هو سبب الأمر، يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك، و نقول: هذا خطب جليل وخطب يسير<sup>3</sup>.

- المواجهة بالكلام 4 أو مراجعة الكلام<sup>5</sup>.

و «المخاطبة مفاعلة من الخطاب و المشاورة<sup>6</sup>، و الخطب اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر، و رجل خطيب، حسن الخطبة، و جمع الخطيب خطباء، وخطب بالضم وخطابة بالفتح صار خطيبا<sup>7</sup>، و الخطاب و المخاطبة، مراجعة الكلام و قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا و هما يتخاطبان.

أما حول المدلول الاصطلاحي فقد تحدد هذا المدلول بتحدد التخصصات و الاتجاهات التي تهتم بالخطاب :

يعرفه مايكل شورت :« الخطاب إتصال لغوي، يعتبر صفقة بين المتكلم و المستمع، نشاطا متبادلا بينهما، و تتوقف صيغته على غرضه الإجتماعي»<sup>8</sup>. و الخطابة هي في الأصل فن أدبي يعتمد على القول الشفوي في الاتصال بالناس لإبلاغهم رأيا من الآراء حول مشكلة ذات طابع جماعي، و بمعنى أشمل هي فن المخاطبة بطريقة القافية تشتمل على الإقناع والاستمالة<sup>9</sup>. و بالتالي فإن الخطاب هو تجربة ديناميكية تساهم فيها أطراف متعددة عن طريق التفاعل، من أجل تحديد الأدوار.

**الخطاب السياسي:** تعددت واختلفت تعاريف الخطاب السياسي، فمنهم من يعرفه بـخطاب الساسة من ذوي السلطة في الدولة و منهم من يراه خطاب سياسي موجه من السلطة الحاكمة عن قصد الى متلق مقصود ، بقصد التأثير فيه و اقناعه بمضمون الخطاب ، و يتضمن هذا المضمون أفكارا سياسية.

فقد عرفه مازن الوعر:« هو تركيب من الجمل موجه عن قصد إلى المتلقي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب عن طريق الشرح والتحليل والإثارة ويتضمن هذا

المضمون أفكارًا سياسية، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيًا»<sup>10</sup>.

يراد به خطاب السلطة الحاكمة في شائع الإستخدام، و هو الخطاب الموجه عن قصد إلى متلق مقصود، بقصد التأثير فيه و إقناعه بمضمون الخطاب، و يتضمن هذا المضمون أفكارا سياسية، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيا.

الخطاب السياسي:» هو مجموعة من المخرجات وهي إحدى وسائل الاتصال السياسي تمثل إتصالا نازلا من الحاكم إلى المحكوم و لا يقتصر على الحاكم بل على جميع رجال السياسة الذين يطورون إستراتيجيات للإقناع»<sup>11</sup>.

و بالتالي فهو كل رسالة مدونة تتعلق بممارسة السلطة لنشاطاتها أو ترتبط بتحقيق هدف أو تبرير موقف أو تمرير رؤية الحاكم أو أحد أطراف الحكم، فهو يعبر عن كلام الحكومة أو السلطة و ذلك للوصول إلى الهدف السياسي المنشود.

و قوام الخطبة السياسية عناصر معينة يقتضي توفرها و سمات خاصة يلزم تميزها بها هذه العناصر و السمات هي:

أن يكون الحديث السياسي موجه لجمهور من الناس، و أن يكون بطريقة تلقائية، و هذا يعني جهازة الصوت و تكييفه و اختلاف خبراته و تجسيم المعاني التي تتضمنها الخطبة و إبداء التأثير بها.أي يتميز بالارتجالية و العفوية بخروجه على النص المكتوب بين الفينة و الأخرى، و من مكملات هذه الطريقة أن تصحبها إشارات باليد أو ما يعرف بلغة الجسد، كما يبدي الخطيب ( المرسل ) انفعالاته بما يقول، فكل ذلك يثير السامعين (الجمهور المستهدف) و يوجه عواطفهم نحوه و يجعلهم أكثر استجابة لرأيه (التأثير).

\* أن يكون الحديث مقنعا بحيث يشتمل على أدلة و براهين قوية مدعمة بحجج من الواقع تثبت صحة الفكرة التي يدعو إليها الخطاب السياسي.كما يجب أن يتوفر في الخطبة عنصر الاستمالة، و هذا يعني توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي الذي يدعو اليه المرسل ، لأن السامع قد يقتنع بفكرة ما و لكن لا يعنيه أن ينفذها أو أن يتحقق من غيره فلا يسعى لتحقيقها. هذا العنصر هو من أهم عناصر الخطاب السياسي لأنه هو الذي يحقق الغرض المطلوب منها.

و الإلقاء ذو أثر كبير في استمالة السامعين، فمن الخطباء و السياسيين من يكون فاتر الإلقاء ضعيف التأثير فتصبح أدلته الكثيرة المقنعة هباء، و منهم من يأتي بأدلة أقل أو أضعف و لكنه يثير عواطف السامعين و يلهب مشاعرهم فيتحمسون لتنفيذ فكرته و يحاول كل واحد منهم أن يعمل على تحقيق شيء منها بقدر طاقته<sup>12</sup>

**2- آليات الخطاب السياسي:** قد يستعمل الخطاب السياسي لغة الوهم و الكذب و الخداع، و هذه الأخيرة تنتج مفهوما يكون على درجة من الاصطناع والخيال، حيث تهدف الى القضاء على مكونات اللغة لتصبح وسيلة للدعاية والتضليل و التوجيه الاجتماعي.

قد يستعمل في بعض الأحيان اللغة المعلقة التي لا تبحث عن اتصال حقيقي، فهي تعلن تبليغ و تفرض القرار (إعلان لأداء الخدمة الوطنية). كما يستعمل لغة الفنان (سنضع للسمات الأخيرة..)، نتيجة (تمزيق العلاقات...) أو اللغة الرياضية (الجولة الثانية..)، إضافة الى لغة الإحصائيات و الأرقام... كما نجد في الخطاب السياسي استراتيجية التقديم الإيجابي مثلا (بلد المليون شهيد...)، يقول في هذا الشأن **جوزيف غايل** إضفاء الصيغة المثالية على الذات، يضيف على الخطاب نوعا من الجمالية و الأثر في النفوس<sup>13</sup>. وقد يستخدم الخطاب السياسي استراتيجية صوت الشعب، إذ تنفي النخبة السياسية المذهب العنصري و ترجعه الى الجماهير مثلا: «الشعب لا يريد أجانب..»، وقد نعني استثمار مقولة الضمائر «نحن..»، كما يستعمل الفعل «تعرف» مثلا، كأن يقول الخطيب: لقد تم وضع هذا القرار بعد الأحداث التي تعرفونها»، ومادام الخطاب السياسي يسعى الى تحديد سلوك معي او موقف للمخاطبين إتجاه برنامجه السياسي أو أفكاره و الحصول على ثقتهم فهو ملزم لتحقيق هذه الوظيفة بإقناعهم، والإقناع يعرف «على انه الإلتجاء من طرف القائل الى مجموعة من السبل الرامية الى إقناع المرسل إليه»<sup>14</sup>.

كما يشكل الخطاب السياسي خطابا إعلاميا إذ تزداد أهميته و خطورته في كونه يعتمد لنقل أطروحاته و غاياته على وسائل الاتصال و الاعلام الجماهيرية التي ما فتئت تتطور بشكل يجعل العالم قرية كونية صغيرة تلتقي فيها الأمم و الشعوب في ملح البصر. وفي الأخير نصل للقول أن الخطاب السياسي يشكل تواصلا له نقطة انطلاق و استقبال

عبر قناة الإرسال، فاتحاد الكلمات، وتآلفها مهم بقدر الأثر التي يحدثها، وليس بالمفاهيم التي يرجع إليها، كما أن المفردات السياسية المفصولة عن السياق الذي قيلت فيه تبقى مهمة، والخطاب الأكثر فعالية هو الأكثر تعبيرا و بلاغة وتقديما للأدلة و البرهان حيث يرى **فاردينان دومون** « أن الخطاب ليس مجموعة من المفاهيم بقدر ما هو مجموعة من البراهين»<sup>15</sup>.

نجد في الخطاب السياسي « إستراتيجية التعمية أو التعتيم» التي تعمل على إبراز محاسن صورة السياسي، والتستر على كل خلفياته الأخلاقية و الإجتماعية.

ولتحقيق الإقناع يسلك الخطاب السياسي طرق متعددة لتوصيله الى الفئة المستقصدة كربط الفكرة أو البرنامج السياسي التي تشكل موضوع الخطاب برمزية معينة. إذ أن الشيء يصبح سبيلا للإنتماء، و الخطاب لا يركز في طرح فكرة على قمته بل يشحنها دلاليا و تصبح الفكرة رمزا للإنتماء « صورة رئيس الجمهورية السيد « **عبد العزيز بوتفليقة** » في الصحف (الخبر الأسبوعي مثلا) تحت شعار «و للكعبة رب يحميها» الرمزية هنا تحقق الإنتماء . ويمكن أن يكون الخطاب إيحائيا يولد مجموعة من الدلالات الإيحائية بهدف إقناع المتلقي، كما يحوي الخطاب على البيان و الصور البلاغية و الاستعارات ، ولعبة الكلمات. كما يستعمل الخطاب السياسي « **الديماغوجية**» و التي تعني خداع الجماهير و تضليلها بالشعارات و الوعود الكاذبة.

### 3- استراتيجيات الخطاب الرئاسي الجزائري:

**1-3 الاستراتيجية التضامنية و مميزاتها :** هناك عاملان يؤثران على المرسل في اختيار إستراتيجية خطابه السياسي، من حيث اعتبار علاقته مع المستقبل، علاقة قد تتدرج من الحميمية الى الانعدام التام ويسعى المرسل، في هذه الحالة، الى تعويضها من خلال إيجادها بالخطاب ، و قد يمتلك أحد طرفي الخطاب السلطة مما يرفعه درجة على الاخر . و قد لا يمتلكها أي منهما عندما تتساوى درجاتهما، أو عندما لا يربطهما أي علاقة.

و ينبنى تحديد إستراتيجية الخطاب اجتماعيا على هذين العاملين بشكل عام و هو مرد تصنيف ليتش للعلاقات بين الناس الى صنفين : الصنف العمودي و محوره السلطة،

والصنف الأفقي الذي يتحدد على أساسه « مايسميه براون وجيلمان معيار التضامنية كبعد اجتماعي».16

ويظل استعمال الإستراتيجية التضامنية مرهونا بقصد المرسل و بهدف الخطاب.توصف هذه الاستراتيجية بالدليل على العلاقة بين طرفي الخطاب من خلال شواهد لغوية، إذ « تعدّ صيغ الخطاب واحدة من الوسائل اللسانية التي يجعلها المرسل علامة على توجيه الخطاب الى المرسل إليه من الناحية النفسية و الاجتماعية. وهذه الصيغ مثل : الضمائر، والأسماء، وعبارات التودد التي تمثل كلا من علاقات الرتبة و التضامن بين المرسل و المرسل عليه».17

و رغم هذا يمكن الحدس بمفهوم الاستراتيجية التضامنية تقريبا بأنها « الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه و نوعها، و أن يعبر عن مدى احترامه لها و رغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما بتفهم حاجات الجمهور ، وإجمالا هي محاولة التقرب من المرسل إليه، و تقرّيبه».18

**3-1-1 عناصر الإستراتيجية التضامنية:** هناك عدد من العناصر الإجتماعية التي تسهم ، منفردة أو مجتمعة ، في اختيار الإستراتيجية التضامنية، إذ « يختص التضامن بالمسافة الاجتماعية بين الناس، وبتجاربهم الاجتماعية و خصائصهم الاجتماعية المشتركة (مثل الديانة و الجنس و السن ومسقط الرأس و العرق و المهنة و الاهتمامات) ومدى استعدادهم للمشاركة في مسائلهم الشخصية»19، ونتيجة لهذا يتبلور عدد من العناصر الداعية الى استعمالها، ومنها:

- 1- مدى التشابه/ الاختلاف الاجتماعي.
- 2- مدى تكرار الاتصال.
- 3- مدى امتداد المعرفة الشخصية.
- 4- درجة التآلف، أو كيفية معرفة طرفي الخطاب لكل منهم.
- 5- مدى الشعور بتطابق المزاج أو الهدف او التفكير.
- 6- الأثر الإيجابي/السلبى.

قد يختار المرسل توظيف الاستراتيجية التضامنية بالتركيز على هذه العناصر، ذلك لأنه قد يؤسس بها علاقته مع الآخرين و هذا لما له أهمية بالغة في العلاقات الاجتماعية و لأن دور الخطاب لا ينحصر فقط على التبليغ و إيصال الرسالة بل يتجاوز ذلك الى تأسيس العلاقات و المحافظة عليها.

3-1-2 مسوغات الإستراتيجية التضامنية: للإستراتيجية التضامنية مسوغات كثيرة لا تخلو من بغية تحقيق بعض الفوائد، لأن الاستراتيجية التضامنية تعنى بالتعامل الأخلاقي أولا، و لكن إغفال الاهتمام بتبليغ القصد و التعبير عنه، ومن مسوغاتها : تمثيل من خطاب رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الإعلان عن موعد الإنتخابات التشريعية لعام 2012:

- تأسيس الصداقة بين طرفي الخطاب، أو إعادتها بين طرفين فرّق بينهما الزمن فابتعد كثيرا عن بعضهما البعض، أو العمل على تمرير العلاقة بين طرفين لهما علاقة دائمة. وبهذا يثبت أنّ « التضامنية هي السبيل الى الصداقة، حيث تماثل ما ندعوه بالألفة ».20 في قوله: « و من الشباب الغيور على وطنه أنتظر أن يغتنم هذا الموعد الانتخابي الحاسم ليثبت حضوره فيه، ناخبا ومُنْتَخَبًا، معززا بذلك انخراطه في عملية بناء حاضر وطنه و مستقبله ».

- التركيز على حسن التعامل مع صاحب السلطة، بطريقة تحقق الأهداف و تنقل المقاصد و تؤسس العلاقات الطيبة معه، أو تبقي عليها. مثال في قوله: « إنني أتوقع من الجميع ما سيزيدني اعتزازا بالشعب الجزائري الأبي، بكل فئاته و أحزابه ونقابات الملتزمة بوطنيتها، و شبابه الممتوثب للنهوض بمجتمعه، و ذلك ثقة مني بأن المؤسسات و الهيئات و جميع الفاعلين السياسيين سيقومون بدورهم على أتم وجه، و في الإعداد الجيد لممارسة الشعب سيادته، في كنف جو لا مكان فيه لزرع الريبة و البلبلة ».

- تحسين صورة المرسل أمام الآخرين، إذا كان معروفا بالتشدد في آرائه، أو التسلط في تعامله، أو توخّي الطريقة الرسمية و الجفاء في خطابه.

- تفعيل التضامن في حياة الناس، بما ينعكس على التفاعل الخطابي، و تطوير حقهم في ممارسة الحياة بحريّة مع تقليص دور السلطة. مثال في قوله: « و أنتظر من الأحزاب السياسية، و النقابات، وتنظيمات المجتمع المدني، أن تعمل سويا على تعبئة الناخبين و الناخبات، و لا سيما الشباب منهم، من أجل القيام بما توجبه المواطنة النصوحة الصادقة، من إقبال على الوفاء بالواجب المدني والسياسي، و اختيار للبرامج و الرجال والنساء، و الإدلاء بحكمهم في صلاحهم و أهليتهم».

- استثمار إستراتيجية التضامن في التحقيقات مثلا، لإراحة المتهم و تطمينه و زرع الثقة في نفسه، مما ينعكس أثره إيجابيا على نتيجة التحقيق. مثال في قوله: « للأحزاب و القوائم المستقلة المشاركة، حق ممارسة التقصي و المراقبة، في كل مرحلة من مراحل الاقتراع. و ستسهر هي الأخرى على سلامة المسار الانتخابي، من خلال تشكيلها للجنة المستقلة لمراقبة الانتخابات، التي ستؤدي مهامها بقوة القانون، بعيدا عن كل وصاية أو تدخل، و هي مسؤولة في ضبط الحملة الانتخابية الرسمية و على ضمان الإنصاف فيها بين المترشحين»

### 3-1-3 الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التضامنية:

لا يتجسد الخطاب إلا بوسائل لغوية، وبالتالي فإن هذه الوسائل تعد مؤشرا على استراتيجية الخطاب المنتقاة وسنبيّن الأدوات المستعملة في الخطاب السياسي من خلال تحليل خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الإعلان عن موعد الإنتخابات التشريعية لعام 2012 :

- يحدد براون و ليفنسون بعض الأدوات اللغوية و الآليات الخطابية التي يستعملها المرسل، إذ يؤكدان الميل الى استعمال أشكال التأدب الإيجابي للتقارب بين المتكلم و المستمع، مما يجعل هذه الأشكال تجسد الاستراتيجية التضامنية. تتضمن هذه الاستراتيجية من الناحية اللسانية ذكر المعلومات الشخصية، واستعمال الألقاب، و استعمال اللهجة المشتركة و التعبيرات العامة دوما، ومن الشواهد على هذه الاستراتيجية استعمال بعض الأدوات اللغوية مثل : نحن، و دعنا» 21. مثال في قوله: « نحن بصدد القيام بهذه الخطوة الأولى».



- استعمال صيغ معينة للخطاب، وألقاب التبجيل، وصيغ القربة» مثال في قوله: «نقاباته الملتزمة بوطنيتها، و شبابه المتوثب»، «الشباب الغيور على وطنه».

### الآليات اللغوية:

(1) التصغير: تعد آلية التصغير، أو التقليل من الآليات اللغوية التي يستعملها المرسل دلالة على التضامن إذ إن «الوظيفة الرئيسة للتصغير هي التعبير عن فكرة القلة أو الصغر للصيغ غير المصغرة أساسا، كما أنها تستعمل بصورة متكررة للتعبير عن الألفة و نبذ الرسمية و التودد».

و يستعمل المرسل هذه الآلية ليتواضع على درجة واحدة مع المرسل إليه، خصوصا ذا الرتبة الأدنى منه. مثال في قوله «يبقى علينا جميعا أن نكون في مستوى هذا الاستحقاق الفاصل بإقبال جماعي حاشد على مكاتب الاقتراع».

(2) نكران الذات: من آليات التضامن التي يستعملها المرسل وهي نكران ذاته لغة أو تجاهلها، فيتحدث المرسل عن نفسه و أنه يتحدث عن شخص آخر. و غدت هذه الآلية من علامات الاستراتيجية التضامنية ، خصوصا عند من يمتلك السلطة.

3-2 الاستراتيجية التوجيهية ومميزاتها: سبب اختيار المرسل لهذه الإستراتيجية في رأي بعض الدارسين هو إصرار المرسل على تبليغ قصده من وراء الخطاب وكذا توجيه المرسل إليه من خلال النصح والتحذير والإرشاد وهذه الأفعال لا تقتضي استعمال المرونة في الخطاب. ويمكننا تعريف الإستراتيجية التوجيهية: «بأنها الإستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه، ولا يعد التوجيه هنا فعلا لغويا فحسب، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هالداي، إذ إن اللغة» تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه و سلوكه».

3-2-1 مسوغات استعمال الاستراتيجية التوجيهية: هناك عدد من المسوغات التي ترجح استعمال الإستراتيجية التوجيهية وهي: 24  
1- عدم التشابه في عدد من السمات .

2- عدم وجود تكرار في الاتصال بين طرفي الخطاب، إذ تنحصر اللقاءات في اللقاءات الرسمية التي يوظفها جو العمل.

3- الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي الخطاب ، هما يؤثر في فهم كل منهما لطبيعة الآخر.

4- تهميش ما قد يحدثه استعمال هذه الإستراتيجية من اثر عاطفي سلبي على المرسل إليه ، فيقصي المرسل اعتبار هذه التأثيرات على نفسية المرسل إليه متجاهلا إياها .

5- تصحيح العلاقة بين طرفي الخطاب غير المتكافئين في المرتبة وإعادةتها إلى سيرتها الأولى .

6- رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتفاع بمثلته الذاتية .

7- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند انجاز الفعل ، وعلى حصول أقصى مقتضى خطابه ، والتأكيد على انه لا يتوانى عن تعقب خطابه والتمسك بمدلوله .

8- حصول تحد واضح للمرسل أو لتعليماته ، أو تحد ضد الأنظمة والتعليمات العامة أو بالإساءة إليه رغم سلطته أو عندما يشعر المرسل بان المرسل إليه قد يتجاوز حدوده في النقاش أو الحوار أو انه يتحداه بفعل ما .

9- مناسبة السياق التفاعلي لاستعمال الإستراتيجية التوجيهية .

2-2-3 الوسائل اللغوية في الإستراتيجية التوجيهية: سنبين هذه الأدوات المستعملة في الخطاب السياسي من خلال تحليل خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الذكرى المزدوجة لتأميم المحروقات و تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين:

للإستراتيجية التوجيهية عدّة من الوسائل ، منها:

(1 الأمر: ويتحقق الأمر بأساليب كثيرة ، ويبقى شرط السلطة ومرتبة المرسل شرطا أساسيا في تحقق التوجيه بالأمر. مثال في قوله: « فلا تفوتوا الفرصة المواتية لتبرهنوا على أنكم جيل أكثر وعيا وإقداما والتزاما، لا تفوتوا الفرصة لتأكيد انخراطكم القوي في الحياة السياسية.».

(2 النهي: هو إحدى آليات الإستراتيجية التوجيهية ويصدر ممن هو اعلي مرتبة إلى من هو دونه ويقارب النهي الأمر في كثير من الأمور . و عرف النهي على أنه: «استدعاء

ترك الفعل بالقول ممن هو دونه» 25.

من بين صيغ النهي صيغة أصلية « للنهي حرف واحد وهو لا الجازم في قولك : لا تفعل ، والنهي محذوبة حذو الأمر أن أصل استعمال : لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب ، وإلا أفاد طلب الترك فحسب (...) والأمر والنهي حقهما الفور «26. مثال في قوله:» لا تنهض المجتمعات باللغو والتشرذم والفوضى».

(3) النداء: يعد النداء آلية توجيهية لأنه يحمل المرسل إليه على اتخاذ ردة فعل اتجاه المرسل وأداته الأساسية «الياء». مثال في قوله « أيتها الأخوات الفضليات، أيها الإخوة الأفاضل» « أيتها السيدات، أيها السادة».

(4) التوجيه بذكر العواقب: يوجه المرسل ، المرسل إليه إلى فعل ما ، استخدام آليات غرب ، كان يخبره بنتائج ، الفعل وفوائده إلى عز قام بهذا الفعل ، وقد صنف الشاطبي بعض الخطابات على أنها أوامر غير صريحة. 27. مثال في قوله:» لقد بلغ الشعب الجزائري من اليقظة والإدراك والنضج ما يؤهله لاستيعاب أبعاد المرحلة وتحدياتها، فهو يقدر أهمية ما ينتظره من استحقاقات والتزامات، يحسن التعبير عن مطالبه وانشغالاته في انضباط ومسئولية، دون الانسياق وراء مغالطات مشئومة ومقارنات زائفة، تعود بنا إلى عهد بائس بائد، تجاوزه الشعب الجزائري، إلى الأبد».

3-3 استراتيجيات الإقناع و مميزات: الرسالة الإقناعية هي الفكرة أو مجموعة الأفكار أو الأحاسيس أو القضايا أو الاتجاهات أو الخبرات التي يريد المرسل نقلها الى المستقبل و التأثير عليه طبقا لها. لفهم الرسالة الإقناعية لابد لتطرق لمفهوم الإقناع و التأثير.

يعرف الإقناع بأنه:» عبارة عن فعل مؤثر في الرأي أو في وجهة النظر ، إذ يتم عن طريق المناقشات أو التفسيرات» 28.

و يعرف التأثير على أنه أي تغيير في سلوك الفرد المخاطب نتيجة التعرض الاتصالي سواء كان التغيير ظاهريا أو ذاتيا» 29.

3-3-1 استراتيجيات الإقناع: تستعمل استراتيجيات الإقناع من أجل تحقيق أهداف

المرسل النفعية، بالرغم من تفاوتها تبعا لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله. فقد يستعملها التاجر لبيع بضاعته، وقد يستعملها المرشح لرئاسة الدولة أو المؤسسة لحمل الناخبين على انتخابه، ولأهمية هدف الخطاب و انعكاسه على استراتيجية الخطاب، فقد استنتج (طه عبد الرحمن) أصلين للخطاب المبني على قانون علم الكلام. وهذان الأصلان هما: (العاقلية والمعاقلية). إذ ينبغي للمرسل في الأصل الأول، أي في العاقلية « أن يكون سلوكه التخاطبي يتحدد بقصد معين، وكل سلوك قاصد يعتبر عملا بحيث يضبطه المبدأ التالي: ليكن سلوكك موجها بهدف معين وأن من شروط التعقل: أن يكون بمقدوره تحقيق الهدف المطلوب».30

3-3-2 مسوغات استعمال استراتيجية الإقناع: هناك عدد من المسوغات التي ترجع استعمال الإقناع، فمما يرجح استعمالها دون غيرها من الاستراتيجيات مايلي:

- إبداع السلطة، فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه، إذ لا تحقق إستراتيجية الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها، إما قولاً أو فعلاً. وما جعل الإقناع سلطة مقبولة، هو كون الحجاج هو الأداة العامة من بين ما يتوسل به المرسل من أدوات أو آليات لغوية. و« من هنا يكون الإقناع هو مجال المبحث الحجاجي نظرا الى كونه محدّد المقام والمخاطب والإطار القولي. أمّا أهم وظيفة حجاجية في هذا المجال، بعد الإعداد لقبول الأطروحة أو الفرضية فهي الدفع الى العمل».31

- شمولية إستراتيجية الإقناع، إذ تمارس على جميع الأصعدة، فيمارسها الحاكم وكبير القوم والطفل والمرأة، كل ذلك بوعي منهم. وهذا يعزز انتماء إستراتيجية الإقناع الى الكفاءة التداولية عند الإنسان السوي بوصفها دليلا على مهارته الخطابية.

- استباق عدم تسليم الجمهور المستهدف بنتائج المرسل أو دعواه. وخشيته لسوء تأويل الخطاب.

- عدم الإتفاق حول قيمة معينة، أو التسليم من أحد طرفي الخطاب للآخر.

3-3-3 تقنيات وآليات الإقناع: وسنبيّن هذه الأدوات المستعملة في الخطاب السياسي من خلال تحليل خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الذكرى السابعة و الستين لمجازر 8 مايو 1945:

أ- الآليات البلاغية: « والأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية ، بل هي تؤدي وظيفة اقناعية استدلالية ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولانجاز مقاصد حجاجية وإفادة أبعاد تداولية» 32

- الموازنة: الموازنة أسلوب يجمع بين الإمتاع والإقناع ، أما الإمتاع فلأن السامع والقارئ يكونان أمام صورة تربط بين شيء معروف وأمر جديد يتعرفانه، وأما الإقناع فلأن الموازنة تجعل الإنسان يأخذ بالرأي يدل عليه الدليل .و من الأمثلة في الخطاب: « لقد كان ثمنُ استرجاع الحرية والسيادة الوطنية باهظا، مثله كان ثمنُ صون وحدة البلاد والنظام الجمهوري وتكريس الأمن والسلم والمصالحة». في هذا القول وازن المرسل بين الثمن الذي دفعه الشعب الجزائري من أجل استرجاع الحرية و الاستقلال و بين حماية وحدة البلاد و النظام و تكريس الأمن و السلم ، وأراد أن يقنع المرسل إليه أن يقدر هذه الجهود المبذولة حق قدرها حتى تحفظ هذه المكاسب وتضمن بمواصلة التشييد والإصلاح لبلوغ ما نصبو إليه من تقدم ومكانة محترمة بين الأمم.

-الكناية: الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ.مثال في قوله: « وضعت الحرب أوزارها » كناية عن: نهاية الحرب و أخذ الجزائر استقلالها.

- الاستعارة: هي إحدى آليات الحجاج البلاغية، وقد ورد تعريفها عند القزويني في قوله:«اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم.33 مثال في قوله:« تبقى الجمهورية واقفة متوحدة متصالحة »، شبه المرسل الانسان بالجمهورية حيث حذف المرسل و ترك المشبه به و كنى له و لزم له بأحد لوازمه «واقفة » على سبيل الاستعارة التصريحية.

ينتمي الخطاب السياسي الى المجال البلاغي باعتباره خطابا ينشد الى التأثير و الاستمالة قصد الانخراط أو الفعل، يهدف إلى إيصال فكرة ما أو أثر ما إلى جمهور متلق معين، و هذا ما يلاءم منطقيا متلقي الخطاب السياسي. أما بالنسبة الى الصور البلاغية فانها تساعد الجمهور المتلقي على فهم و استيعاب الرسائل الضمنية المراد نقلها من الخطاب الأصلي . كما تعتبر الصور البلاغية في هذا المقام عاملا ضروريا لأجل تعويض الجانب الشاق و الممل من الخطاب، و تعتبر أيضا أحد الوسائل المستعملة بشكل واسع من طرف أصحاب الخطابات السياسية لغايات موجهة و مسطرة سلفا خاصة في هذا المجال بالتحديد.

ب- الوسائل اللغوية: نجد من أدوات الاقناع في الخطاب السياسي بعض الاجراءات الأدبية واللسانية التي يعتمد عليها المخاطب لتعزيز تواصله مع المتلقي، ليحقق التأثير و الاستمالة، كانتقاء المفردات الموحية، التراكيب البسيطة الواضحة لإثارة المشاعر و الانفعالات ، وكذلك الاعتماد على أسلوب التكرار الذي يؤدي الى زيادة حضور الموضوع في الذهن، واللجوء الى التضمين و الإيحاء و التلميح ، كاستدعاء الشخصيات الثراتية مثل و الوقائع التاريخية التي تعزز الاتصال و تكون فاعلة في نفوس المتلقين. مثال في قوله من الخطاب: « نستحضر اليوم الذكرى الأليمة للثامن من مايو 1945 مُترحمين في خشوع وإكبارٍ على أرواح الشهداء الزكية الطاهرة، أرواح أولئك الذين راحوا ضحايا للتقتيل في شتى مناطق البلاد، وخاصة في سطيف وقائلة وخراطة، نساءً ورجالا، شيوخا و أطفالا عُزلا خرجوا على غرار الشعوب المنتصرة على الطغيان النازي، محتفلين مُبتهجين بنهاية الحرب العالمية، مُسالمين حاملين الأعلام، آمِلينَ في نَيْلِ حقِّهم المشروع في الحرية والكرامة، بعد مشاركة شعبهم في الحرب العالمية المنتهية ضد النازية والفاشية.»

-التكرار: مثال في قوله: « لقد علمتنا منطقة سطيف على غرار كل مناطق وطننا، بأنها عبر التاريخ قلعة من قلاع الصمود والمقاومة، وصرح من صروح العلم والأدب والفنون والرياضة. «» إن سطيف اليوم قطب اقتصادي كبير وثقافي وجامعي»» من مدينة سطيف، هذه المدينة العريقة والرمز». التكرار في اللفظ مدينة سطيف.

و في قوله: « و نحن نستحضر ذكرى ذلكم اليوم الأليم، نتذكر بعظيم الإكبار الثمن الباهظ الذي دفعه الشعب الجزائري بأجياله المتعاقبة من أجل حرّيته و كرامته».

التكرير ففي المعنى دون اللفظ.

و في قوله: «استرجاع الحرية»، «استرجاع السيادة الوطنية». التكرار في المعنى، و في قوله: «مرحلة مفصلية في تاريخ البلاد»، «مرحلة حساسة مفتوحة على إفرازات عولمة كاسحة». التكرار في المعنى.

#### 4- تقييم الخطاب الرئاسي المكتوب للرئيس عبد العزيز بوتفليقة:

بعدما تم تحليله من خطابات سياسية و رسائل للرئيس «عبد العزيز بوتفليقة» نستخلص مايلي :

- خطاب الرئيس «عبد العزيز بوتفليقة» في مضمونه الكلي هو خطاب سياسوي دائم الحديث عن السياسة حتى في المناسبات التي لا تتطلب الحديث عن السياسة ، يظهر هذا الموقف من خلال العينة المختارة للتحليل .

- يتسم الخطاب السياسي للرئيس بكونه بنية نظرية على درجة التماسك و هي بنية مستمدة من أيديولوجية معينة ، وهي الأيديولوجية التي يتبناها النظام السياسي القائم بينما تتسم اللغة العادية عن لغة الخطاب السياسي بالبساطة.

- يهدف هذا الخطاب السياسي الرئاسي بالأساس الى إضفاء المشروعية على إجراءات السلطة السياسي في الماضي و الحاضر و المستقبل و هذا ما نلمسه من خلال الحجج و البراهين التي توظفها المرسل.

- القصد من الخطاب السياسي هو التوجيه لمن تمارس عليهم السلطة (الشعب)، فهي إذن لغة أمر في طبيعتها و تميل الى تبرير الأخطاء و الاخفاقات و توضيح الخطط و الاجراءات المستقبلية و التذكير أساسا بالواجبات و هذا ما سعى الرئيس «عبد العزيز بوتفليقة» الى تحقيقه ، بالتذكير بالبرامج التنموية و التحفيز على الخروج بقوة في الانتخابات التشريعية كواجب وطني.

- استعمل المرسل الإستراتيجية التوجيهية بغرض توجيه المرسل إليه (الهيئة الناجبة) الى ما فيه مصلحة له (الخروج بقوة للانتخابات التشريعية)، واعتمد في ذلك على مجموعة

من الوسائل والآليات التي يمكنه من تحقيق هذه الإستراتيجية، وجاءت هذه الآليات واضحة في جل خطابه مع المرسل إليه واعتمد بشكل لافت على الأمر والنهي بحكم أنها الأكثر استعمالا في الكلام..وقد استعمل هذه الآليات بشكل واضح بعيد عن اللبس وكذا لم يترك مجالا للمرسل إليه للتأويل والاجتهاد في فهم الخطاب لان جل الآليات هي آليات توجيه مباشرة.

- نجد من أدوات الإقناع في الخطاب بعض الاجراءات و الأدبية و اللسانية، التي يعتمدها المخاطب لتعزيز تواصله مع المتلقي، ليحقق التأثير و الاستمالة،كانتقاء المفردات الموحية، و التراكيب البسيطة الواضحة .

- يرجع التباين في آليات الإقناع ووسائله إلى تعدد طبيعة المخاطب فقد تميز المخاطب بالتنوع لإثارة المشاعر و الانفعالات .

- الاستعارات والتمثيلات والمحسنات البديعية التي استعملها المرسل في خطابه السياسي هي آليات حجاجية لأن هدفه من تنويع الأساليب وتجميلها هو تقريب المرسل إليه منه، والزيادة في التأثير عليه وبالتالي إقناعه بمضمون الخطاب.

#### 5- تأثير الخطاب الرئاسي على المجتمع الجزائري:

على حد تعبير أحد المفكرين أنه لا يوجد خطاب سياسي من دون سياسة فكل واحد يكمل الآخر .ذلك أن السياسة تتأسس مبدئيا من خلال علاقات التأثير الإجتماعي التي يخلقها الخطاب و هذا ما يسمح بتأسيس فضاءات للحوار و الاقناع و الإغراء.

- هو تعبير عن مدى الرقي و التقدم الاجتماعي ، ووسيلة للتوجيه و إصلاح المجتمعات.

- وسيلة للنصح و الارشاد في أمور الحياة والقيم والمبادئ.

- تشكيل الرأي العام و توجيه المجتمع و تعميق الهوية الوطنية لدى أبناء الشعب الجزائري.

- تنمية الوعي السياسي لدى الناس، بالحفاظ على مكتسبات الوطن و دفع المواطنين للمشاركة السياسية و أن يكونوا فاعلين في المجتمع، مما يجعلهم يعلنون و يُغلبون مصلحة



الوطن على كافة المصالح الخاصة و الحزبية.

- التأثير على سلوكيات الجماهير و توجيهها بما يتوافق مع رغبات السياسي ، مع ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

- ضبط السلوك السياسي لدى المواطن بما يحقق مصلحة الوطن العليا.

-تشجيع ملكات الابداع لدى أبناء الشعب و ترسيخ ارتباط الجميع بقضايا الوطن.

-خلق جيل مثقف واع مدرك بالمشاركة الفاعلة في المسيرة التنموية.

- تفعيل و تعزيز ثقافة الحوار بين كافة أطراف الشعب و شرائعه المجتمعية لتصبح هي الثقافة السائدة في المجتمع.

و في الأخير : هو أسوب لتنظيم العلاقات بين الأفراد و الجماعات.

#### قائمة المصادر والمراجع

- عبد الرحمن العبدان و راشد الدويش: « استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية »مجلة أم القرى(اللغة العربية و أدائها1)، السنة العاشرة، العدد السادس عشر، 1418هـ/1997م، ص324.
- 2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، « إستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية» ، الطبعة الاولى، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت- لبنان 2004 ص 55 .
- 3 - ابن منظور، لسان العرب ، ج 1 ، ص . 360 ، (مادة الخطب).
- 4-محمود الزمخشري، « أساس البلاغة» ، حققه د.مزيد نعيم، و.شوقي المعري، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 1998 ، (مادة خطب) .
- 5، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، « القاموس المحيط ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1415-1995ص. 83 (مادة الخطب).
- (6- ابن منظور: لسان العرب، 1، صادر بيروت ط 1 / 1994، م 361/1. مادة الخطب).
- (7) المرجع نفسه ، ص 361.
- 8- سارة ميلز، « الخطاب» ، ترجمة: يوسف بغلول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب و اللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة 2004، ص 05.
- 9- جبور عبد النور، « المعجم الأدبي» ، ص 13. نقلا عن فاروق سعد، فن الإلقاء العربي، شركة الحلبي للطباعة و النشر. 1999 ، ص. 25 ، و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2
- 10- يوسف جميل أبوداهود« نحو خطاب سياسي ديمقراطي» الطبعة الأولى، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008 ص 122.
- 11 -phillipe breton serge praux « l'explosion de la communication » casbah edition alger 2000 p27.
- 12 عبد الجليل عبده شلبي، « الخطابة و إعداد الخطيب» ، ص . 13. نقلا عن فاروق سعد ، فن الإلقاء

- العربي، ص 25.
- 13 محمد سبيلا، « للسياسة بالسياسة في التشريح السياسي»، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ص 87.
- 14- عبد الحميد تونسي، « الخطاب الاشعاري، مكوناته، و أليات إستغلاله،» المجلة العربية للثقافة، مركز الإنماء القومي، ع 85.84، لبنان، 1991، ص 90.
- 15- مرجع سبق ذكره، المجلة العربية للثقافة، ص 103.
- <sup>16</sup> - Geoffrey Leech « Principles of pragmatics », Longman group limited, London, 1996,p12.
- 17- William Bright « International encyclopedia of linguistics» , v olume 1,1992, p 23.
- 18- عبد الهادي بن ظافر الشهري، « استراتيجيات الخطاب، مرجع سبق ذكره، ص 257.
- 19- هـدسون، « علم اللغة الاجتماعي»، ترجمة: محمد عياد، عالم الكتب، القاهرة، 1990، ص 192.
- 20- Tannen, Deborah « that,s not what I meant, Ballantine Books», New york, 1992,p93
- 21- Yule,George» pragmatics». Oxford University press, 1996, p65.
- 22- Maria Sifianou» The use of diminutives in expressing politeness « modern Greek verusus English,journal of pragmatics, volume17,no 2,february 1992, 1992,p 157.
- 23- الدهلوي، « حجة الله البالغة» ، تحقيق: عثمان جمعه خميرية، ط1، مكتبة الكوثر، الرياض، 1999، ص 18.
- 24- عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سبق ذكره، ص 328.
- 25- أبو المظفر السمعاني، « قواطع الأدلة في الوصل»، تحقيق: حسن إسماعيل الشافعي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 128.
- <sup>26</sup> - السكاكي، مرجع سبق ذكره، ص 320.
- 27-- عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 361.
- 28- محمود شمال حسن، « الصورة و الإقناع»، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2006، ص 30.
- 29- محمد عمر الطنبولي، « التغيير الاجتماعي»، منشأة المعارض، الاسكندرية، 1995، ص 26.
- 30 - طه عبد الرحمن، « في أصول الحوار وتجديد علم الكلام»، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص ص 154، 155.
- 31 - محمد سالم ولد محمد الأمين، « مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة »، عالم الفكر ، الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث، يناير- مارس، 2000، ص 67.
- 32- صابر الحباشي، « التداولية والحجاج مداخل ونصوص» ، صفحات للدراسات والنشر ، 2008 ، ص 50.
- 33- عبد القادر الجرجاني، « أسرار البلاغة»، تحقيق: محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1999، ص 27.



## فعل الدعارة: قراءة نظرية تحليلية في مفهومه وأسبابه

أ/ شيهب عادل - جامعة جيجل / الجزائر

### مقدمة

يبدو أن مفهوم الدعارة ينطلق من مرجعيات مختلفة نسبياً وأنها تعكس منظورات أيديولوجية من حيث التفسير، ومنظورات يوتبية من حيث الحلول وهي بين هذه وتلك، تظهر الطابع الإيديولوجي العام للعلوم الاجتماعية والسلوكية، كما تظهر عدم قدرتها على الإحاطة بالمفهوم من خلال دراسات ميدانية معمقة. ومع ذلك على الرغم من أن الدعارة ظاهرة مستمرة على مر التاريخ البشري، فإنه لا يزال من الصعب عرض مفهوم الدعارة في ضوء موضوعي - وقد حاولت الثقافات المختلفة بالتناوب حظر النقاب عن أسبابه الدينية أو الأخلاقية-، ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه على الرغم من المواقف العلمانية بشكل متزايد نحو العلاقات الجنسية، تبقى ممارسة الجنس قبل الزواج تحتفظ بكثير من وصمة العار الاجتماعي. فإن مفهوم الدعارة قد شهد تحولات واضحة من حيث الموقف الاجتماعي باختلاف المجتمعات والثقافات، أو من حيث الموقف الأكاديمي باختلاف المدارس والتيارات.

كما أن المشكلة الأساسية في ظاهرة الدعارة تكمن في فهم أسبابها التي تكمن في المقاربات النظرية التي تنظر إلى العوامل والأسباب التي تدفع إلى الدعارة على أنها مستقلة عن بعضها البعض. وبناء على هذه المقاربات لا يتم فقط تجاهل ربط هذه الأسباب ولكن أيضاً يتم تشويه واقع الدعارة. فإتخاذ الفقر على سبيل المثال، والذي غالباً ما يترافق مع انخفاض مستوى التعليم والدخل لا يكفي لدفع امرأة إلى الفعل الجنسي. وهكذا، لا ينبغي لنا أن نلوم الفقر وحده كسبب للدعارة، مع أن الفقر ليس عاملاً عارضاً بل هو واحد من العوامل المؤاتية للدعارة.

**1- مفهوم فعل الدعارة: Concept of Prostitution Act**

ما هو فعل الدعارة؟ سؤال الإجابة عليه قد تبدو بسيطة للوهلة الأولى، ومع ذلك فإنه هناك مجموعة متنوعة من التعريفات التي وردت حول هذا المفهوم، والواقع أن تعريف الدعارة تغير تغيراً كبيراً مع مرور الزمن، ومن خلال مختلف المدارس الفكرية التي تناولته بالدراسة أو بالإشارة إليه.

فهذا **فيولان فانيك Violaine Vanoyeke** المهتم بدراسة الدعارة في العصور القديمة، يعرفها على أنها "تقديم المرأة جسدها للملذات الجنسية مقابل المال وجعله تجارة"،<sup>1</sup> يعرض هنا فانيك بُعداً آخر كان يحمله مفهوم الدعارة في العصور القديمة وهو مفهوم المفاضلة التجارية، إذ أن المرأة تتاجر بجسدها بما يقابله من بضاعة.

ويعرفها **هاريمان Harriman** على أنها اتصال جنسي مقابل اجر.<sup>2</sup> إرتبط فعل الدعارة في هذا التعريف بكل أنواع وأشكال الفعل الجنسي عموماً، والتي تصدر بين الجنسين أو بين نفس الجنس (ذكور وإناث/ ذكور وذكور/ إناث وإناث).

وفي تعريف آخر يتقاطع والتعريف الذي جاء به **هاريمان**، يعرف **بيل شانون Shannon Bell** الدعارة على أنها "أي شكل من التفاعل الجنسي في تبادل لأي نموذج من الدفع".<sup>3</sup> غير أن **بيل شانون** في هذا التعريف أقر بوجود أشكال مختلفة لفعل الدعارة مقابل أشكال من الدفع.

أما مفهوم الدعارة عند كل من **أيزنك Eysenck** و**أرنولد Arnold** و**ميلي Meili** فيعني "عدم التمييز النسبي في منح الخدمات الجنسية مقابل دفع اجر أو أي مكافئة مادية".<sup>4</sup>

كما أورد **أكتون Acton** تعريف البغاء من اتجاه ديني وأخلاقي بأنه «كل اتصال غير مشروع يعد بغاءاً، سواء بأجر أو بدونه، حيث تتنازل المرأة عن عفتها طوعاً أو اختياراً».<sup>5</sup> يذهب هذا التعريف إلى تأسيس آخر من الطرح في مفهوم الدعارة يعتمد على مرجعيات دينية، فبعض الثقافات الدينية تُحرم أي نوع من العلاقات الجنسية إذا كانت غير شرعية (أي أنها لا تخضع للقوانين، أو للأعراف والتقاليد حسب ما هو شرعي بالنسبة لكل

مجتمع)، سواء كانت هذه العلاقة عن طوعية أو بإكراه.

ومن وجهة نظر مؤيدة للدعارة يقترحان **بيندمان ودوزيما Bindman and Doeze** ممثلين عن شبكة مشاريع العمل بالجنس ومكافحة الرق الدولي، هذا التعريف للعمل في مجال الجنس على أنه "نشاط يتألف من التفاوض على تقديم الخدمات الجنسية مقابل أجر، مع أو بدون تدخل طرف ثالث ويتم الإعلان عن هذه الخدمات بأنها تتوفر في بعض الأماكن، بالإضافة إلى ضبط أسعار الخدمات اعتماداً على قانون العرض والطلب".<sup>6</sup>

في هذا التعريف يتم وضع شروط للامتهان الدعارة وفي نفس الوقت تقنينها وقد اشتملت على اربع عناصر أساسية هي: الخدمة الجنسية بالمقابل المادي، مع أو دون وسيط، أماكن مخصصة لها واخضاعها لقانون العرض والطلب.

ويقترح **هنريكس Henriques** أن أي تعريف للدعارة لابد وأن يشتمل على «كل ألوان النشاط الجنسي المشتري بالمال، أو كل الأفعال الجنسية التي يعتاد ممارستها بقصد الكسب والربح والتي تؤدي بواسطة أشخاص بمفردهم».<sup>7</sup> إلا أن هذا التعريف أثار اعتراضات على بعض جوانبه، خاصة فيما يتعلق بمصطلح إعتياد الممارسة، ذلك أن هذا المصطلح تلازمه صعوبات في الحكم على الأفعال الجنسية التي تتم فترة قصيرة وبدون إعتياد.

وفي بحث بعنوان «المرأة» أجري سنة 1935 من طرف **بلوس Plos**، و**بارتلز Bartels** عرفوا الدعارة على أنها "استسلام امرأة شابة لرجال عديدين لقاء مكافأة"<sup>8</sup>، إلا أنهم في هذا التعريف قصروا فعل الدعارة على الفتيات في سن معينة فقط دون الفئات الأخرى منهن كالمسنات أو القاصرات مثلاً.

وتعرف الدعارة على أنها "ممارسة الجنس مع أشخاص آخرين مع وجود دافع واعي لاكتساب المال أو السلع، من أجل جعل الحياة سهلة بدوام كامل أو بدوام جزئي لها أو للآخرين"<sup>9</sup>، هذا التعريف أشار بطريقة ما أن المرأة العاهرة تلقي بنفسها بوعي كامل منها في هذا المجال من أجل تحقيق حياة أفضل لها أو لغيرها إشارة إلى من تعيلهم ومن يدخلون تحت جناحها كالأولاد مثلاً.

ويعرفه **أبراهام فلكسنر Abrham Flexner** في دراسته الشاملة للبغاء في أوروبا

عام 1914 على أنه "الاتصال الجنسي الموسوم بالمقايضة وعدم التمييز وعدم التجاوب الانفعالي".<sup>10</sup> هذا التعريف يشترط في فعل الدعارة عدم التجاوب الانفعالي والذي يتمثل في عدم التجاوب العاطفي لهذا الفعل، بمعنى آخر عدم الشعور بالمتعة الجنسية أثناء القيام بالفعل الجنسي.

أما الدعارة في تعريف نيازي، محمد حتاته فهو "استخدام الجسم لإرضاء شهوات الغير مباشرة، نظير اجر وبغير تمييز"،<sup>11</sup> ويترب على هذا التعريف ما يأتي:

- إن الدعارة اتجار بالجسم، وليس مجرد اتصال جنسي بدون تمييز.
- استبعاد العلاقة الجنسية ذات العاطفة، أي القائمة على التمييز.
- إمكان نسبة الدعارة إلى الذكور والإناث.
- استبعاد المخادنة باعتبارها علاقة أساسها التمييز.

تقدم ماري فيكتور لويس Marie-Victoire Louis تعريفاً أكثر شمولاً للدعارة على أنه «نظام الدعارية هو نظام الهيمنة على الجنسين، ويرتبط هذا النظام بالعملاء (القوادين) وهم الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين (أفراد أو مؤسسات) يكفلون مقابل أجر إمكانية حصول الزبون على الجسم من الجنسين (اناث أو ذكور) وهي حالات في الغالبية العظمى من الاناث».<sup>12</sup> هذا التعريف يتقاطع مع تعريف نيازي حتاته في نسب الدعارة إلى كلا الجنسين (ذكور وإناث).

وتعرفها نوال السعداوي على أنها «حدوث عملية جنسية بين رجل وامرأة، لتلبية حاجة الرجل الجنسية، ولتلبية حاجة المرأة الاقتصادية».<sup>13</sup> وبهذا التعريف قصرت الدعارة على المرأة وحدها مستبعدة بذلك البغاء المثلي الذي يمارسه الذكور أو الإناث.

أما من وجهة النظر القانونية، قدم المشرع الفرنسي في عام 1912 تعريفاً للدعارة على انها «استخدام المرأة جسدها كوسيلة للحصول على اجر بما يرضي الملذات العامة، مهما كانت طبيعة أعمال الفجور المقدمة».<sup>14</sup> إقتصر هذا التعريف على مفهوم قانوني وهو الملذات العامة، حيث أصبحت اللذة الجنسية بكل أنواعها في هذا التعريف حقا من حقوق العامة تحققه المرأة العاهرة (البغي).

في تعريف اخر للدعارة ووفقا لقانون منع البغاء هناك ثلاثة عناصر في تعريف الدعارة: بدون تمييز، المال، تعدد العلاقات الجنسية. فلا يعتبر أي فعل جنسي دعارة اذا كان ينطوي على علاقة جنسية مع شريك محددة وبالمال، أو عند ممارسة الجنس مع عدد من الرجال دون تمييز ولكن دون أي مبلغ من المال، إلا أنه يعتبر كذلك (دعارة) إذا كان الشريك في الفعل الجنسي غير محددين، وإذا كان المال مدرجا في هذه العلاقة؟<sup>15</sup> فمن خلال عرض هذا التعريف يمكن إستنتاج الشروط الآتية لتوفر فعل الدعارة:

**أولاً: شرط المقابل:** ولا يكون المقابل في صورة دفع نقود فقط للبغي ولكنه قد يكون في صورة نفقة المسكن الذي تقيم فيه أو ثمن الطعام الذي يقدم لتناوله أو الشراب الذي يتم احتساءه أو حتى في صورة السجائر التي تقدم لتدخينها أو في شكل هدايا أو خدمات ..إلخ.

**ثانياً: شرط عدم التمييز:** يقصد به أن تقدم المرأة نفسها لإرضاء شهوات الناس عموماً دون قصر ذلك على أشخاص معينين .

**ثالثاً: شرط الاعتياد وتعدد العلاقات الجنسية:** أي ارتكاب الدعارة عدة مرات وبشكل مستمر غير متقطع.

من خلال القراءة النظرية التحليلية لمختلف السياقات المعرفية التي وردت حول مفهوم الدعارة يمكن تقديم مفهوم شامل لفعل الدعارة، بالإضافة إلى كونه يعتمد على الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية الإسلامية كإطار مرجعي لهذا المفهوم، على النحو الآتي:

«الدعارة هي كل نشاط جنسي خفي يصدر خارج المؤسسة الزوجية الشرعية، يرتبط أو لا يرتبط بالقوادين الذين يكفلون الزبائن، يكون بين رجل وامرأة دون تمييز من الناحية الجنسية؛ فهي لا تبحث عن طريق هذا الاجتماع لا عن اللذة ولا الحب ولا العطف ولا الحنان. أو من ناحية السن، المكانة أو الوضع الاجتماعي والاقتصادي.. الخ. مقابل خدمات جنسية متنوعة يحصل عليها الرجل، وفي المقابل حصول المرأة على فائدة مادية آيا كان نوعها، وذلك نظير سد وتلبية حاجاتها ومتطلباتها الضرورية وغير الضرورية التي تنقصها أو التي كانت لا يمكنها الوصول إليها».



- ومنه يمكن تقديم الخصائص الآتية لمفهوم الدعارة:
- نشاط جنسي خفي، خارج المؤسسة الزوجية الشرعية (الأسرة).
  - بوجود، أو عدم وجود وسيط (القوادين)
  - يقتصر على المرأة دون الرجل.
  - دون تمييز جنسي للمرأة، أي البحث عن اللذة الجنسية.
  - دون تمييز للجنسين لمتغير السن، المكانة الاجتماعية، الوضع الاجتماعي والاقتصادي.
  - حصول الرجل على خدمات جنسية متنوعة.
  - حصول المرأة على اجر مادي أو عيني.
  - تلبية المرأة للحاجات الضرورية وغير الضرورية التي تنقصها.

## 2- أسباب فعل الدعارة: Causes of Prostitution Act

كثيرة هي الأسباب المؤدية إلى فعل الدعارة، وذلك باختلاف المجتمعات وثقافتها من بعدها الاجتماعي، النفسي، الاقتصادي والديني وغير ذلك من الأسباب، ويمكن حصر بعضها في ثلاثة متغيرات رئيسية؛ المتغيرات الجزئية، المتغيرات الوسيطة والمتغيرات الكلية.

1-2 المتغيرات الجزئية: **The Micro Variables** المتغيرات الجزئية التي تؤدي إلى فعل الدعارة يمكن حصرها في العوامل التي تؤثر على الأفراد كما يلي:

1- **الفقر: Poverty** هناك توافق واضح في الآراء بين البحوث الاجتماعية أن الفقر يساعد على تشجيع الدعارة، فالعديد من الأدلة الحاسمة في الأطر الإحصائية، تشرح كيف أن الفقر يلعب دوراً كبيراً في انتشار الدعارة، وقد اكدت دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية ان 74% من جميع العاهرات الفقر هو السبب الرئيسي في ولوجهن هذا النشاط، فالفقر هو أحد أكبر المخاوف عند الأميركيين وجميع بلدان العالم. فالعاهرات اللاتي يأتين من المكسيك واللاتي يتم تهريبهن بطريقة غير مشروعة عادة بمجرد وصولهن بيدان بالدعارة من اجل أسرهن.<sup>16</sup>

ان معظم البغايا ينحدرون من مناطق تعرف بانتشار الفقر، كما أنها الأكثر فقراً عندما

تقارن مع المناطق الأخرى. يؤدي هذا إلى إنشاء ارتباطا وثيقا بين الفقر والدعارة، أيضا تقدم العديد من الدراسات أن معظم المومسات قد عاشوا تحت خط الفقر قبل دخولهن في تجارة الجنس، وهذا جنبا إلى جنب مع الأدلة الإحصائية الأخرى، ولكن مع التأكيد على العلاقة القوية بين الفقر والدعارة.

**2- انخفاض التعليم: Low Education** التعليم المنخفض سبب آخر لممارسة الدعارة، فهناك اتفاق على أن النساء مع أو على القليل من التعليم هن فريسة سهلة لتجار الجنس نظراً لأنهن ساذجات ومستسلمات، وفي المقابل تقرر الكثير من البحوث الاجتماعية على أن المرأة ذات التعليم المنخفض يتم جذبها إلى صناعة الجنس بعقود باطلة حول وظائف محترمة المكسب المادي.<sup>17</sup> بالإضافة لو ألقينا نظرة على عينات البغايا في العديد من الدراسات نجدها تتفق في نقطة مشتركة وهي؛ أن معظم البغايا مستوياتهن التعليمية منخفضة جداً، بالإضافة إلى الإشارة إلى أن أكثر النساء المنخرطات في الدعارة هن دون أي تأهيل مهني.

**3- تفكك الأسرة: Dysfunctional Family** تفكك الأسرة هو عامل من العوامل التي تغذي الدعارة بالعديد من النساء والفتيات وحتى الاطفال من المراهقات، إن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأكثر أهمية التي تساعد على تشكيل سلوك الأطفال ويوفر الدعم العاطفي والرعاية المادية لهم. وبدون ذلك سوف يصبح الأطفال عرضة لاستغلالهم في تجارة وصناعة الجنس فعلى سبيل المثال، أُدخل العديد من الأطفال (البنات المراهقات) الذين لا مأوى لهم نظراً لتخلي أسرهم عنهم إلى الدعارة كوسيلة للبقاء على قيد الحياة، لأنهن لا آباء لهن لمساعدتهن مالياً، فالدعارة تضمن لهن كسب المال لأغراض مختلفة ك شراء الأدوية، والانغماس في الحياة الليلية، أو حتى الألعاب.<sup>18</sup>

**4- سوء الجوار: Bad Neighbourhood** يصبح الأطفال الذين يعيشون بالقرب من بيوت الدعارة أو في صحبة أشخاص غير أخلاقيين معتادين على رؤية تجارة الجنس ما يجعلها سلوك مقبول وطبيعي بالنسبة لهم. وأصحاب بيوت الدعارة أو الافراد الذين يُروجون لها عادة ما يطاردون فرائسهم بهذه المناطق، فالأطفال الذين يعتادون على رؤية أعمال الجنس تصبح لديهم الرغبة في تجربة الجنس في أول فرصة متاحة لهم.<sup>19</sup> وقد

كشفت دراسة أجريت مؤخراً في عدد من الأحياء الفقيرة الأمريكية أن امرأة في أكثر من خمسين إمراة من شأنها جذب الأولاد إلى شقتها وتقدم لهم الطعام والشراب، وبهذه الطريقة تخلق نوع من الألفة معهم ومن ثم تستدرجهم إلى ممارسة الجنس والانخراط في الاعمال الجنسية المتعددة وعلى رأسها الدعارة.

## 2- 2- المتغيرات الوسيطة: The Intermediate Variables

المتغيرات الوسيطة وهي تتعلق بالعوامل التي تؤثر في المجتمع والتي تتعامل أساساً مع المواقف والقيم الاجتماعية، وهي كالتالي:

**1- دور الجنس: Gender role** يبدو أن الاختلافات في النشاط بين الجنسين وعدم المساواة تساعد في انتشار الدعارة في العالم، موضحة في أن المرأة بالعديد من المجتمعات أقل شأنًا من الرجل، كما ان التعبير النمطي لوصف النساء يكون دائماً بالأمهات أو العاهرات في المصطلحات العلمية، كما ان مفهوم انحراف الإناث (الدعارة) يرتبط منذ فترة طويلة ارتباطاً وثيقاً بالدور بين الجنسي، وهذا الوضع يجعلها عرضة للاستغلال في الدعارة.

إن تكوين الرجل والمرأة هو الذي يحدد الأدوار بينهما، فالإناث دائماً ما يؤدين دور الإغواء، هذا ما يجعلهن ضحية للذكور، وهذا ما تؤكده كتابات الأوائل في علم الاجرام، عن الدوافع الخفية لنسب الرذيلة التي تقع فيها المرأة للرجل.<sup>20</sup>

**2- العذرية: Virginity** في بعض الثقافات العالمية تقدر عذرية المرأة، ولذلك فهي سبب آخر لإرغام الفتيات في صناعة الجنس. لنكون أكثر دقة، فإن هذا الموقف والاتجاه المجتمعي نحو قيمة عذرية المرأة في ثقافتهم زاد من الطلب على الفتيات البكر، وذلك من خلال سعي ومحاولات العصابات الإجرامية للعثور على العاهرات البكر، إذ توفر العاهرات البكر دخول مربحة لأصحاب بيوت الدعارة والعصابات التي تتاجر بالبشر. إذ تعتبر الارباح التي تُجنى من البكر بمثابة دخل تكميلي للدعارة. على سبيل المثال، بيوت الدعارة تزدهر دائماً ويزيد ربحها كلما توفرت بها الفتيات العذروات هذا من جهة. ومن جهة أخرى فبالنسبة لجانب الطلب فأكثر العملاء الذكور يرغبون في ممارسة الجنس مع

العاهرات البكر خاصة في ثقافات بعد المجتمعات التي تعتقد بأن ممارسة الجنس مع عذراء يمكن أن يحي رجولتهم ويطيل من حياتهم (الصين مثلاً).<sup>21</sup>

1- **الأمومة غير الشرعية: Illegitimate Motherhood** إن النساء اللاتي يحملن نتيجة العلاقات المتبادلة غير الشرعية ولا يستطيعن الحصول على الإجهاض، يصبحن مكشوفات للمجتمع. هذا ما يجعلهن لا أحد يريد الزواج منهن، ولكن الجميع يريد التمتع بهن جنسياً. بالإضافة إلى الحاجة الماسة لتلبية حاجة الأبناء غير الشرعيين يفضلن ممارسة الدعارة.<sup>22</sup>

4- **الإغتصاب والإعتداء الجنسي: Rape And Sexual Abuse** تشير العديد من الدراسات بوضوح العلاقة بين الاعتداء الجنسي والدعارة، حيث كشف إستطلاع في كيبك بكندا أن 33 من أصل 80% من العاهرات اللاتي شملهن الإستطلاع وقعوا ضحايا للإغتصاب والاعتداء الجنسي قبل أن يتحولن إلى الدعارة. وهذه النسب تتفاوت من منطقة إلى أخرى لكنها تكشف عن الفرق بين تاريخ النساء اللواتي عانين من الإغتصاب والإيذاء الجنسي وأصبحن عاهرات من غيرهن من النساء الأخريات، بالإضافة إلى أن النساء المغتصبات والمعتدى عليهن جنسياً تتزسخ عندهن فكرة أن أجسامهم يمكن مقايضتها مقابل السلع والخدمات.<sup>23</sup>

**الطلب على الدعارة: The Demand for Prostitution** ارتفاع الطلب على العاهرات أيضاً يلعب دوراً حيوياً في الزيادة السريعة في الدعارة في بعض الدول. حيث أن الطلب على الخدمات الجنسية ينمو، ما يدفع العديد من النساء أن يقررن الدخول في صناعة الجنس لأنها يمكن أن تكسبهن المال الوفير وبسهولة، فصناعة الجنس في بعض الدول السياحية تعطي فرص عمل أفضل أجراً للنساء غير المتعلقات والأقل مهارة مهنية.

فالكثير من البحوث تلوم بشكل رئيسي الطلب على البغاء من الأجانب باعتبارها واحدة من الأسباب الرئيسية للدعارة. مثل العديد من السياح الأجانب يأتون إلى البلدان السياحية لمجرد أنهم يريدون ممارسة الجنس بثمن بخس، وتشير بعض الإحصائيات في تايلاند وهي من أكثر البلدان الآسيوية جذباً للسياح، إلى أن حوالي 63% من السياح يأتون

إليها فقط لممارسة الجنس و37% منهم يأتون من أجل الملاهي الليلية، مثل النوادي الليلية والحانات.<sup>24</sup>

**5- المادية: Materialism** الماديات هي من بين عوامل ظهور الدعارة في بعض المجتمعات. ووفقا لدراسة بالي<sup>25</sup>، Bales، إن بعض النساء تدخل الدعارة لتلبية حاجيات والديهم من المواد الاستهلاكية مثل السيارات وأجهزة تلفزيون وثلاجات. ومع ذلك، فبعضهن يفعلن ذلك لمتابعة رغباتهم الخاصة. وكما يقال أن العاهرات يرغبون في الحصول على الممتلكات الفاخرة ومجرد المال الذي يكتسبونه من صناعة الجنس يبقى غير كافي بالنسبة لهن لتحقيق ذلك.

**6- الدين والثقافة: Religion and Cultural** يعتبر الدين سببا آخر للدعارة في مجتمعات تكون فيها الممارسات الدينية تركز على النساء. فعلى وجه الخصوص أشار العديد من الأكاديميين أن بعد الديانات ومن أشهرها البوذية تعد من أبرز العوامل المساهمة في الدعارة. لفهم هذا، يجب على المرء أن يدرك أولا أن هذه المفاهيم يتم تلقينها بعمق في ثقافة أفراد هذه المجتمعات (مثلا المجتمع الهندي) وكيف تأثير على أساليب حياتهم بشكل كبير. كما توضح هذه المعتقدات الراسخة كمبررات لمثل هذه المبيعات لبناتهن في مجال الجنس.<sup>26</sup>

فكثير من البوذيين لديهم الاعتقاد بأنهم مدينون كثيرا لآبائهم في وجودهم، ويجب عليهم سداد هذا الدين لهم، ومن ثم يرتبط هذا المفهوم بالدعارة لأن بعض الأطفال يلقون بأنفسهم في صناعة الجنس بسبب امتنانهم لآبائهم. وبعبارة أخرى، هؤلاء الأطفال يرغبون في تحسين الظروف المعيشية لوالديهم مع المال الذي يكسبونه من الدعارة.<sup>27</sup> Bales إلى أن التقاليد الثقافية الدينية الآسيوية للبنات تفسير إنتشار ظاهرة الدعارة.<sup>28</sup>

## 2- 3 المتغيرات الكلية: The Macro Variables

المتغيرات الكلية التي تساعد على تعزيز فعل الدعارة هي كما يلي:

**1- الحروب والنزاعات: Wars and Conflicts** الكثير من البحوث والدراسات أشارت إلى إعتبار الحروب والنزاعات الدولية كالمصدر رئيسي للدعارة. فعلى سبيل المثال بدأت

الدعارة في تايلاند منذ حرب الفيتنام مع الولايات المتحدة الامريكية، حيث جعلت قوات هذه الاخيرة من تايلاندا محطة لجنودها في عام 1960. وكان هؤلاء الجنود الأمريكيين كثيري الطلب على ممارسة الجنس مع النساء التايلانديات. كما كان ينظر إلى الخدمات الجنسية من خلال الدعارة على أنها مكافأة للجنود الذين أنهكتهم الحرب.

في هذه الفترة، قررت العديد من النساء التايلانديات الدخول في صناعة الجنس لكسب المال ففي عام 1974 قدرت الشرطة أن هناك ما يقرب من 400,000 امرأة تايلاندية في الدعارة، تم شراؤها في المقام الأول من الجيش الأمريكي من أجل يوم الراحة والترفيه من حرب الفيتنام. ونتيجة لذلك، ثم مواصلة الأغلبية من هاته النساء العمل في الدعارة لإطعام أنفسهم وأسرهم.<sup>29</sup>

**2- السياسات الاقتصادية: The Economic Policies** سوء السياسات الاقتصادية لبعض الحكومات التي تركز أكثر على التصنيع وعدم تشجيع القسم الزراعي ما يزيد الفقر في المناطق الريفية ومن بدوره أنه يساعد على تعزيز الدعارة. وقد تم تحديد اثنين من سلبات السياسات الاقتصادية لبعض الحكومات- تنمية غير متوازنة تركز أكثر على الصناعة من الزراعة- سياسات التطوير الموجهة للمدينة أكثر من الريف.

ونتيجة لذلك، قررت هذه الحكومات الحفاظ على راتب العمل وأسعار المنتجات الزراعية منخفضة للحفاظ على القسم الصناعي. وهكذا المزارعين والعمال أصبحوا أكثر فقرا، فقر بعضهم السعي لإيجاد أعمال منخفضة الأجر في المدن الكبيرة، ولكنهم إزدادوا فقرا ما دفع بعض المزارعيين المهاجرين من إيجبار العديد من نساءهم في صناعة الجنس والدعارة.<sup>30</sup>

**3- الفساد: Corruption** الفساد هو عامل محرك وراء الدعارة في العديد من المجتمعات. وكما إتفق عليه كثير من العلماء، أنه يدل على أن المسؤولين الفاسدين هم من يساعدن العاهرات ومنظمات التجارة في الجنس على التهرب من القوانين حتى أن البعض منهم ينخرط في تجارة الجنس بأنفسهم لما توفره لهم مع أرباحا ضخمة، من خلال تعاونهم مع العصابات الإجرامية وتوفير لها السلطة والنفوذ.<sup>31</sup> ونتيجة لذلك، زادت حركة مرور المزيد من النساء إلى صناعة الجنس والدعارة وتوسعت دائرتها دون خوف من سلطة القانون.

## خاتمة

لقد تم تقديم بأي حال من الأحوال، وجهة نظر معرفية شاملة محيطية بمفهوم فعل الدعارة. وكما يبدو واضحا بالنسبة لي أن التأمل في الدعارة من خلال الفحص النظري الذي اورده عدد من المؤلفين، أن مفهوم فعل الدعارة بقدر ما فيه من اختلاف يعكس منظورات ايدولوجية في العلوم الاجتماعية والسلوكية، بالإضافة إلى الإختلاف في الموقف الاجتماعي باختلاف المجتمعات والثقافات يبقى هناك إجماع على أن فعل الدعارة غالبا ما يتطلب موقف أخلاقي أساسي، وهذا في عددٍ من الساحات الأدبية.

كما أن أسبابه في الواقع هي مترابطة. فالفقر على سبيل المثال كواحد من المتغيرات الجزئية مرتبط ارتباطا وثيقا بإفتقار الأفراد إلى التعليم أو الحماية من الأسر، ما أدى الى ظهور المتغيرات الكلية ممثلة في العصابات المنظمة المتعاونة مع رجال الشرطة الفاسدة التي تُقَع بسهولة مثل هؤلاء الضحايا بسبب افتقارهم للتعليم أو الحماية من الأسر في الدعارة.

## الهوامش:

- Violaine Vanoyeke (1990): La prostitution en Grèce et à Rome, Paris, Les Belles (1 lettres, p. 9
- Philip Harriman (1980): Hand book of psychological terms, Published by Littlefield, (2 Adams & Co, USA, p 151
- Shannon Bell) 1994): Reading, writing and rewriting the prostitute body, (3 Bloomington, Indiana University Press, p. 1
- H.Eysenck and W.Arnold and R.Meili (1972): Encyclopaedia of Psychology, vol 3, (4 53-pp 52
- .William Acton (1968): Prostitution, edited by peter Pryer, London, p 29 (5
- Jo Bindman and Jo Doezema )1997(: Redifining prostitution as sex work on the (6 international agenda, s.l. Anti-Slavery international et Network of Sex Work Projects, .p. 3
- .Harry Benjamin (1964): prostitution and morality, New York, the Julian press, p 26 (7
- Ploss, Herman Heinrich, Bartels, Max and Paul (1964): Woman, in the Sexual (8 Relation, an Anthropological and Historical Survey New York. Medical Press of New .York, p 78
- Jan W. de Lind van Wijngaarden (2002): Reviewing the socio-cultural contexts of (9 )sex work and gender in Cambodia (UNESCO Bangkok



- (10) حسن الساعاتي (جانفي 1961): مشكلة البغاء في الإقليم الجنوبي، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، أعمال الحلقة الأولى لمكافحة الجريمة، ص 18.
- (11) نجية إسحاق عبد الله محمد (1984): سيكولوجية البغاء، دراسة نظرية وميدانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص 24.
- (12) Marie-Victoire Louis) Hiver 2000(: Vers la marchandisation légale du corps humain? Non à l'Europe proxénète, Femmes Info, no 89, p. 8.
- (13) نوال السعداوي (1977): الأنثى هي الأصل، مكتبة مدبول، القاهرة، مصر، ص 188.
- (14) Lucile Ouvrard (2000): La prostitution : analyse juridique et choix de politique criminelle, Paris, l'Harmattan, p. 19.
- (15) Kamala Kempadoo, Jo Doezema (1998): Global Sex Workers: Rights, Resistance And Redefinition, Routledge, New York, London, p 88.
- (16) Anthony C. Parrish (2013): The Causes of Prostitution, web site accessed March 15, 2013 (<http://www.studymode.com/essays/The-Causes-Of-Prostitution-1515831.html>).
- (17) Luncinda Ochere and Foster S. Nanewortor (2011): The Influence of Socio-Economic Status and Level of Education on the Practice of Commercial Sex (Female Prostitution) In Ghana, University of Ghana. بتصرف من الباحث.
- (18) Z .M.Lukman, H.M.Russyda et All (072011-12-): The Relationship Between Dysfunctional Family and The Involvement of Children In Prostitution, World Applied Sciences Journa 12 (Special Issue of Social and Psychological Sciences for Human Development), IDOSI Pulpication. بتصرف من الباحث.
- (19) Haveripeth Prakash (March 2013) : Prostitution and Its Impact on Society-A Criminological Perspective, International Research Journal of Social Sciences, Vol. 2(3), 3139-, p 35. Available online at: [www.isca.in](http://www.isca.in).
- (20) Peter Becker (1999): Weak Bodies? Prostitutes and the Role of Gender in the Criminological Writings of 19th-century German Detectives and Magistrates, Crime History and Societies, Vol. 3, n°1, p. 45. بتصرف من الباحث.
- (21) Bales, Kiven (1999): Disposable People: New Slavery in the Global Economy, Berkeley, CA: University of California Press, p 42- p56.
- (22) Haveripeth Prakash (March 2013): Op. cit, p 35.
- (23) Ginette Plamondon and Diane Guibault (2002) : Is prostitution work or exploitation?: further consideration is needed, Direction de la recherche et de l'analyse, Conseil du statut de la femme. Available From: <http://www.csf.gouv.qc.ca/telechargement/publications/SyntheseIsProstitutionWorkOrExploitation.pdf>
- (24) Bales, Kiven (1999): Op. cit, pp 75-76. بتصرف من الباحث.
- (25) Bales, Kiven (1999): Op. cit, p 38.
- (26) Haveripeth Prakash (March 2013): Prostitution and Its Impact on Society- A Criminological Perspective, p 36. أنظر
- (27) Jeffrey,L.A. (2002): Sex and Borders Gender,National Identity,and Prostitution



Policy in Thailand. Chaing Mai: Silkworm Books, p 4.

28) Bales, K. (1999): Op. cit, p 38.

29) Kathleen Barry (1995): The Prostitution of Sexuality, New York University Press, p 142.

30) Ibid, p 307. بتصرف من الباحث.

31) Ibid, p 103.

## دلالات الثبات والصدق للصورة الجزائرية لرائز رسم الرجل المعدل

د. مقسم مختار، جامعة سيدي بلعباس

### الملخص

تهدف الدراسة الحالية دراسة مدى صلاحية رائز رسم الرجل لغودنيف- هاريس لقياس ذكاء تلميذ المرحلة الابتدائية من المرحلة التحضيرية إلى السنة الخامسة بمنطقة سيدي بلعباس.

ولتحقيق هذا الهدف العام ركزت الدراسة على التالي:

1. هل يتمتع الرائز بدلالات ثبات جيدة، وذلك من حيث إعادة الاختبار؟

2. هل يتمتع الرائز بدلالات صدق جيدة، وذلك من حيث:

أ. محك تمايز العمر

ب. والمحك الخارجي؟

وانتهت الدراسة بالتحقق من إمكان تطبيق الرائز على البيئة الجزائرية مع التأكيد على بعض الخصوصيات الثقافية والحضارية لكل من البيئة الأمريكية والبيئة الجزائرية سواء في الإيقاع الشخصي أو المعايير.

### مقدمة

لا شك أن معظم الروائز النفسية التي تقيس القدرات أو السمات الشخصية قد انتقلت من عالم الغرب إلى العالم العربي الذي ننتمي إليه، وقد أضحت كثيرة الاستعمال في شتى المجالات والأصعدة، وهذا الانتقال لهذه الروائز بما تحتوشه من مرجعية ثقافية مختلفة عن الثقافة السائدة في بلدان العالم العربي يطرح خطورة على مستوى التطبيق والتصحيح.

وقد اختلفت ممارسات علماء النفس العرب إزاء تطبيق هذه الروايز، فمنهم من اكتفى بترجمتها فقط، ومنهم من قام بتكييفها على البيئة العربية. ومنهم من تخير بعض الروايز والمقاييس التي سميت بـ« الروايز المتحررة ثقافيا» وقام بترجمتها إلى اللغة العربية. ومن جملة تلك الروايز « المتحررة ثقافيا» راي رزم الرجل لفلورنس غودنيف الذي يطبق في أكثر من دولة عربية ينبئ عن ذلك كثرة الدراسات العربية عليه. ولكن هل فعلاً هذه الروايز « متحررة ثقافيا » ولا تطرح أي إشكال في البيئة العربية عامة والجزائرية خاصة؟

### مشكلة الدراسة

يتجه العمل في الدراسة الحالية نحو توفير راي ذكاء للاستخدام في البيئة الجزائرية بعد التأكد من خصائصه القياسية واستخراج دلالات ثباته وصدقه من خلال تطبيقه على هذه البيئة.

وكانت التساؤلات الفرعية كالتالي:

3. هل يتمتع الراي بدلالات ثبات جيدة، وذلك من حيث إعادة الاختبار؟

4. هل يتمتع الراي بدلالات صدق جيدة، وذلك من حيث:

ت. محك تمايز العمر

ث. والمحك الخارجي؟

### الدراسات السابقة حول الراي في الطبعة المعدلة:

أما عن الراي المعدل (غودنيف- هاريس 1963) فقد تتابعت البحوث بعد ظهوره تتابعا كبيرا لا يتسع المقام لتناوله بالتفصيل وحسبنا أن نشير إلى أنه في عام 1966 صدر مسح شامل لهذه الدراسات بين أن النتائج تؤكد ثبات المقياس وصدقه، وأنه راي غير لفظي للنضج العقلي، بالإضافة إلى حساسيته الشديدة للعوامل الثقافية التي تؤثر في تمثيل الطفل لمفهوم شكل الإنسان.

أما بالنسبة للدراسات التي أجريت على الراي المعدل في البلدان العربية مع الإبقاء على البنود الـ 73 فهناك دراستان أولاهما: دراسة محمد متولي غنيمة عام 1976 و ثانيهما:

دراسة صفوت فرج عام 1992.

قام غنيمة في دراسته التي استخدم فيها محكات هاريس لتصحيح الاختبار بتحليل لرسوم الأطفال للرجل مرتديا الجلباب وهي الرسوم التي قدمها 300 طفلا من المجموع الكلي لعينته البالغ 1915 طفلا رسم بقيتهم الرجل بالملابس الأوروبية . واستخدم غنيمة في تصحيحه الأسلوب الذي اتبعه بدري في منح الدرجة على البند إذ افترض أن الزي المرسوم يغطي الجزء المعين من الجسم ويتضمنه بالضرورة.

أما دراسة صفوت فرج والتي عرضها في كتابه المعنون: « الذكاء ورسوم الأطفال » فقد بلغ أفراد عينته السوية (1794) طفلا من الذكور والإناث في المرحلة العمرية من (4) سنوات حتى (7) سنوات سحبت عشوائيا من دور الحضانة والمدارس الابتدائية بالقاهرة الكبرى. وأضاف للمقارنة عينة من المتخلفين عقليا تتكون من (51) طفلا من (4) سنوات حتى (6) سنوات، وعينة أخرى من الصم وضعاف السمع تتكون من (42) طفلا. (صفوت فرج، 1992)

### أهداف الدراسة وأهميتها

#### أهمية الدراسة

تمثلت أهمية الدراسة في حاجة المؤسسات التربوية خاصة في الجزائر إلى وجود أدوات علمية دقيقة تتمثل في اختبارات الذكاء والتي تستخدم في عمليات التشخيص والاختيار والتطبيق اللازمة لاتخاذ القرارات المهمة المتعلقة بالعملية التربوية والناج عن قلة وندرة اختبارات الذكاء المقننة على مستوى الجمهورية الجزائرية أو أجزاء منها وذلك بسبب عدم وجود مؤسسات متخصصة في عملية القياس النفسي إضافة إلى صعوبة عملية التقنين وتكلفتها المادية الكبيرة والتي جعلت الكثير من الباحثين يتنكبونها.

#### أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى معرفة ما إذا كانت بعض الروايز غير المشبعة ثقافيا بإمكانها أن تؤثر على صلاحيتها

لقياس ذكاء تلاميذ المرحلة الابتدائية بولاية سيدي بلعباس.

ولتحقيق هذا الهدف العام ركزت الدراسة على التالي:

5. هل يتمتع الرائد بدلالات ثبات جيدة، وذلك من حيث إعادة الاختبار؟

6. هل يتمتع الرائد بدلالات صدق جيدة، وذلك من حيث:

أ. محك تمايز العمر

ب. والمحك الخارجي؟

### حدود الدراسة

شملت الدراسة الحالية تلاميذ المرحلة الابتدائية من المرحلة التحضيرية إلى السنة الخامسة بالمدارس الابتدائية بمنطقة سيدي بلعباس وذلك في فترة زمنية امتدت من مارس 2009 إلى غاية نهاية الموسم الدراسي.

### منهج الدراسة وعينتها

استعمل الباحث المنهج الوصفي، وقد تكونت من ( 620 ) طفلا وطفلة من تلاميذ المرحلة الابتدائية تمتد أعمارهم بين خمس وعشر سنوات من مستوى التحضيري إلى مستوى السنة الخامسة ابتدائي تم اختيارهم باستخدام العينة العشوائية الطبقية من إحدى عشرة مدرسة كلها بمدينة سيدي بلعباس وضواحيها.

### أدوات الدراسة

تم استخدام الأدوات التالية في الدراسة الحالية:

1. رائر رسم الرجل لغودنف تعديل دال هاريس 1963:

رائر رسم الرجل Draw a Man Test أو Intelligence Scale Draw a Man من الروائر غير اللفظية، وقد أعدته الباحثة الأمريكية فلورونس غودنيف Goodenough, F عام 1926

وقد ظل يستخدم دون تعديل حتى عام 1963 على أساس تصحيح 51 عنصرا من العناصر التي رسمها الطفل.

إلا أنه في عام 1963 ظهر تعديل جديد شامل للرائر، وأصبح يسمى رائر الرسم لغودنيف هاريس Goodenough Harris Drawing Test وقد شمل التعديل ثلاث

جوانب هي:

- الأول: في إجراء الرأئز؁ فهو يطلب من الأطفال أن يرسموا ثلاثة رسومات يمثل الرسم الأول رجلا والثاني امرأة والثالث طفلا بدل رسم رجل فقط كما هو في طبعة 1926.

- الثاني: في البنود جدول التصحيح؁ فلقد رفعها هاريس من ( 51 ) في جدول غودنيف إلى حوالي ( 73 ).

- الجانب الثالث: وهو زيادة مدى الرأئز حتى وصل إلى سن 18 سنة.

ويتم تقسيم رسم الإنسان المنتج من قبل المفحوص في كلا الطبعتين وفقا لقائمة مقننة يحسب على أساسها نسبة الذكاء.

### الخصائص السيكمترية للرأئز:

#### أولا: ثبات الاختبار

وقد قام هاريس بتقييم ثبات المقياس مستخدما في ذلك طريقتين:

1. الاتساق بين المصححين؁ فلقد حسبت معاملات الارتباط بين الدرجات لكلا المصححين لنفس العينة فتراوحت معظم معاملات الارتباط فوق 0.90.

2. فقد طبق المقياس بطريقة الإعادة وذلك بعد مرور فترة تصل إلى ثلاثة شهور وتراوحت بين الستينات والسبعينات. (D.Harris, 1963).

#### ثانيا: صدق الاختبار:

يلاحظ من النظر في هذه النتائج أن معاملات الارتباط بين رأئز الرسم لغودنيف والعديد من الرأئز الأخرى تتفاوت فيما بينها تفاوتا كبيرا؁ إلا أنه يلاحظ أن معظمها يقع فوق معامل ارتباط 0.50. (محمد فرغلي فراج وآخران؁ اختبار الرسم جودإنف - هاريس)

#### 2. النتائج المدرسية:

حيث اعتمد على النتائج المدرسية ممثلة في المعدلات السنوية العامة والخاصة بكل من مادة اللغة العربية والرياضيات وذلك من خلال كشوف نقاط التلاميذ التابعين للمدارس المختارة للموسم الدراسي 2009/2008.

**الأساليب الإحصائية:**

تم نقل النتائج المتحصل عليها إلى برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية والمعروف بـ (Spss) النسخة 15 وذلك بعد ترميزها.

**النتائج ومناقشتها:****1. ثبات الرائد:**

استخدم الباحث لحساب ثبات الرائد عينتين إحداهما في الفئة العمرية (5و6 إلى 5و6) والثانية في الفئة العمرية (6.6 إلى 7.5) وكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم (12) يوضح معاملات ثبات الرائد لعينتين في فئتين عمريتين من الجنسين

المجموعة	العدد	الفئة العمرية	معامل الثبات
الأولى	25	5و6 إلى 5و6	0.78
الثانية	27	6.6 إلى 7.5	0.77

وتتسق هذه النتيجة مع نتائج دراسات سابقة من ذلك دراسة دروثا مكارثي (1944) حيث وجد معامل ثبات بالإعادة (0.67) ودراسة ح.ج.مكاردي سنة 1948 أعطت النتيجة نفسها (0.69) ودراسة صفوت فرج (1992) حيث وجد (0.73 و 0.79) على التوالي (صفوت فرج، 1992، 103) وهذا يدل على أن ثبات رائد رسم الرجل عبر الزمن لا يتعدى هذه النتيجة.

**2. صدق الرائد:****أ. صدق محك تمايز العمر:**

و لهذا الغرض استخدم الباحث اختبار (ت) لقياس الفروق بين المتوسطات الغير المرتبطة، و تظهر هذه النتائج كلها في الجدول رقم (13) التالي:

جدول رقم (13) يبين متوسطات الدرجات في رائد رسم الرجل حسب فئات العمر.

فئات العمر	المتوسط	الانحراف المعياري	عدد الحالات	اختبار (ت)	مستوى الدلالة	الدلالة
5و4 إلى 5و5	15.06	4.58	83			

ذو دلالة عالية	أقل من 5%	5.12-	116	6.21	19.17	5و6 إلى 5و6
ذو دلالة عالية	أقل من 5%	5.67-	105	5.63	23.71	5و6 إلى 5و7
ذو دلالة عالية	أقل من 5%	1.61-	105	5.94	25.00	5و7 إلى 5و8
من غير دلالة	أقل من 5%	3.72-	111	4.78	28.09	5و8 إلى 5و9
ذو دلالة عالية	أقل من 5%	23.00-	100	6.96	46.92	5و9 إلى 5و10

من خلال الجدول السابق يتضح أن جميع الفروق بين المتوسطات هي فروق ذات دلالة إحصائية عالية ماعدا الفرق بين السن 8 و السن 9 و بالتالي نجد أن كل متوسط يفوق المتوسط الذي يسبقه و ينقص عن المتوسط الذي يليه بمستوى عال من الموثوقية فالمسافات بين السن 5 و6، و بين 6 و7، و بين 7 و8، و بين 9 و10 هي مسافات ذات فروق دالة. فإذا أردنا الاستنتاج و التعميم أمكن لنا القول بأن الإنجاز في رائر رسم الرجل يتلازم اطراديا مع السن.

#### ب. صدق المحك:

لما لم يكن هناك رائر مسبق مقنن لذكاء الطفل الجزائري، فقد حاول الباحث قياس صدق رائر رسم الرجل بحساب معامل الارتباط بين هذا الرائر وبين النتائج المدرسية لنفس الأطفال، فاختار من بين العشر مدارس مدرستين وقام بحساب معامل الارتباط لبيرسون ( ر ) بين نتائج رائر رسم الرجل لـ 16 طفلا من الفئة العمرية (5و6 إلى 5و8) وبين مجموع درجات الأطفال أنفسهم بالنسبة لكل من المعدلات السنوية: المعدل السنوي لمادة الرياضيات واللغة العربية والمعدل السنوي العام للسنة الدراسية 2008،2009 ميلادية فكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم ( 14 ) يبين معامل ارتباط بين نتائج رائر رسم الرجل و المعدل السنوي العام



المتغير	عدد الحالات	مستوى الدلالة	الدلالة
المعدل السنوي العام	16	0.048	دال
نتائج رائز رسم الرجل			

دال عند مستوى 0.05

أي أن معامل الارتباط بين نتائج رائز رسم الرجل و المعدل السنوي العام ذو دلالة عند مستوى 0.05.

وكان معامل الارتباط لبيرسون بين نتائج رائز رسم الرجل والمعدل السنوي لمادة اللغة العربية كالآتي:

جدول رقم ( 15 ) يبين معامل ارتباط بين نتائج رائز رسم الرجل والمعدل السنوي للعربية

المتغير	عدد الحالات	مستوى الدلالة	الدلالة
المعدل السنوي للعربية	16	0.048	دال
نتائج الرائز			

دال عند مستوى 0.05

أي أن معامل الارتباط بين نتائج رائز رسم الرجل وبين المعدل السنوي لمادة اللغة العربية ذو دلالة عند مستوى 0.05

وكان معامل الارتباط لبيرسون بين نتائج رائز رسم الرجل والمعدل السنوي لمادة الرياضيات كالآتي:

جدول رقم ( 16 ) يبين معامل ارتباط بين نتائج رائز رسم الرجل والمعدل السنوي للرياضيات

المتغير	عدد الحالات	مستوى الدلالة	الدلالة
المعدل السنوي للرياضيات	16	0.249	غير دال
نتائج الرائد			

أي أنه لا يوجد أي ارتباط ذي دلالة إحصائية بين نتائج الرائد والمعدل السنوي لمادة الرياضيات.

ويستخلص الباحث إلى أنه يوجد ارتباط ذي دلالة إحصائية بين نتائج رائد رسم الرجل والمعدل السنوي العام وكذا المعدل السنوي لمادة اللغة العربية عند مستوى 0.05، ولا يوجد أي ارتباط ذي دلالة إحصائية بين نتائج الرائد والمعدل السنوي لمادة الرياضيات بالنسبة للفئة العمرية (6و7 إلى 8و5).

إن هذا التذبذب في النتائج قد يكون ناتجا عن عدم صدق الاختبارات المدرسية أو بالأحرى عدم موضوعيتها في قياس الذكاء، أي عدم وجود ارتباط ذي دلالة إحصائية بين الاختبارات المدرسية ونسبة ذكاء الأطفال المفحوصين. أضف إلى ذلك عدم دقة المعلمين في تقويم التلاميذ، وإلى عدم اعتماد التعليم المدرسي على ذكاء الأطفال كعامل منفرد.

وهذه النتيجة تتفق وما أسفرت عليه كل من دراسة محمد بطاينة بالأردن وعبد الجليل الزوبعي بالعراق ومالك بدري بالسودان عن عدم وجود أي ارتباط ذي دلالة إحصائية بين نتائج رائد رسم الرجل وبين الاختبارات المدرسية (مالك بدري، 1966، 63 وما بعدها) للأسباب المذكورة سلفا.

### الاستنتاجات والمقترحات:

انطلق البحث من عدة تساؤلات تنصب حول إمكانية تطبيق رائد رسم الرجل الأمريكي الأصل على البيئة الجزائرية وبالأخص المنطقة الغربية وبالخصوص مدينة سيدي بلعباس وانتهى البحث إلى إمكان التطبيق مع الإشادة بخصوصية كل مجتمع.

وحيث إن الباحث اتخذ من ولاية سيدي بلعباس كدراسة استطلاعية يمكن أن تعمم

عبر القطر الجزائري وبذلك مهد الطريق لغيره في استخدام رايكس رسم الرجل في قياس ذكاء الطفل الجزائري، ومهد من جهة أخرى لفتح الباب حول استخدام الروايكس المختلفة في البيئة الجزائرية خاصة وأن البحوث الميدانية قد تلجأ إلى مثل هذه الروايكس.

وينتهي البحث بعدة توصيات واقتراحات أهمها الإشارة إلى الاهتمام بتطبيق الروايكس النفسية المختلفة على المجتمع الجزائري تكييفاً أو إنتاجاً وهذا - كما قد سبقت الإشارة إليه - أمر تضطلع به الحكومات بإيعاز من الجامعات.

### المصادر والمراجع العربية:

1. ورناتومبراري، أوسفالدو، الرسم عند الأطفال، (ترجمة عيسى، فوزي وعبد الفتاح، عبد الفتاح حسن) القاهرة: دار الفكر العربي، 1997
2. البسيوني محمود، سيكولوجية رسوم الأطفال، القاهرة: دار المعارف، 1958
5. أبو حطب، فؤاد، بحوث في تقنين الاختبارات النفسية، (مج1 و2) القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1977
10. بدري، مالك، سيكولوجية رسوم الأطفال، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1966
16. عطية، نعيم، ذكاء الأطفال من خلال الرسوم، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1982 ط1
17. فرج، صفوت، الذكاء ورسوم الأطفال، القاهرة: دار الثقافة، 1992
21. مليكة، لويس كامل، قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية، (ج1) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986 ط2
22. مليكة، لويس كامل، دراسة الشخصية عن طريق الرسم، القاهرة: مطبعة دار التأليف، 2000 ط8
23. هاريس، د.ب اختبار الرسم جود إنف-هاريس، (ترجمة وإعداد فراج، محمد فرغلي والسيد، عبد الحليم محمود ومجدي، صفية)، القاهرة: مركز البحوث والدراسات النفسية، 2004

### المصادر والمراجع الأجنبية:

- Boucebc (M). psychiatrie société et développement. Alger : ed- SNED. 1978, 2ed.
- Harris Dale B. Children's Drawings As Measures Of Intellectual Maturity (A Revision and Extention of the Goodenough Draw-a-ManTest). New york : Harcourt,Brace & world,Inc. 1963.
- Micheline D'Agostino. L'enfant en milieu tropical (Revue du centre international de l'enfance. 1991-N° 195
- Oliverio Ferraris (Anna). Les dessins d'enfants et leur signification. Verviers : Les nouvelles editions Marabout.1980.
- Pasquasy. R. Le test du dessin d'un Bonhomme de Fl. Goodenough (Manuel d'interprétation). Bruxelles : editest. 1967.
- Widlocher ( Daniel ). L'interpretation des dessins d'enfants. Bruxelles : Pierre Mardaga, Editeur. 11<sup>eme</sup> ed.

## إشكالية الحداثة في الجزائر

بن هامل جميلة - طالبة دكتوراه جامعة تلمسان

### ملخص

لقد أخذت ثنائية التقليد والحداثة صورا مختلفة، أحيانا صراعية وأحيانا أخرى تعايشية، فالحداثة لا ترتبط بالمفهوم الزمني أو المكاني فقط، بل تتعداه لتصبح استقلالية، إبداعا وممارسات وسياسات قائمة على أساس فكري، وقدرة على مواجهة أوضاع معينة. وفي هذا السياق حاولنا عرض وجهات النظر لأهم شبكات القراءة في الجزائر لهذه الثنائية مركزين عن تأسيس طبيعة الرابط الاجتماعي في مجتمع له خصوصياته متميزا بكائن ثقافي ذي بعد ديني أساسا؟

### مقدمة

واجهت المنظومة القيمية في الجزائر مسألة الحداثة، هذه المسألة تقودنا بالضرورة للكلام عن التنمية، إذ كانت هذه الأخيرة ملازمة لها، فمن أجل تحقيق التنمية ينبغي أن نكون حدائين حسب القائمين على التنمية في مجتمعنا، وحتى نكون على هذه الصفة نحن مطالبون بالنظر إلى الأمام وإلى ما حققته المجتمعات الغربية العصرية، ومن ثم التخلي عن النظر إلى الوراء، النظر إلى المحلي التقليدي الذي تعداه الزمن. وإذا قلنا بأن الحداثة الغربية هي حالة تجديد وإبداع وانفتاح على الآخر، واستقلالية الفرد عن كل ارتباطاته العائلية والقبلية وجماعة الحي... ناهيك عن اقتحام العالم الخارجي، التشبع بروح المواطنة وكذا المنافسة والمخاطرة... وبالتالي خروج عن التقليد، فقد وجدت نفسها أمام مواجهة موروثة تقليدي قوي، وذلك ما يعبر عن مفارقة بحثية أو إشكالية بين — نحن والحداثة.

### 1/ بين الحداثة والتحديث

تعد الحداثة في معناها العام الانفتاح على الآخر و التفاعل معه وحالة من حالات

التجديد، وهنا تكمن الاشكالية بين ما هو تقليدي ماضوي، و ما هو حداثي تجديدي. لقد كانت الحادثة نتيجة تحولات و تطورات تاريخية و اجتماعية، ومن هنا يكمن الفرق بين مصطلحي الحادثة و التحديث، فالحادثة في الأصل تمس الجانب المادي و المعنوي، في حين أن التحديث مظهر من مظاهر الحادثة، و الذي يمس الجانب المادي أساسا و قد يتمثل في الاستيراد التكنولوجي و التقني، دون أن يمس الجانب الفكري الذهني في العمق، «فهو العملية التي يتغير بها الأفراد من طريقة الحياة التقليدية إلى أسلوب في الحياة أكثر تعقيدا و أكثر تقدما من الناحية التكنولوجية»(1).

يمكن النظر للحادثة على أنها تغيير جذري في الفكر، أي على مستوى التصورات الرمزية، وكذا في البناء الاجتماعي، وهذا ما يجعلها ترتبط تبعا لذلك بعاملين، الفهم والتطبيق. فالحادثة ليست مشروعا تاريخيا كونيا شموليا يُطبق على الجميع، فهي ليست مسألة تطبيق فحسب، بل تتجلى في الممارسات الإبداع والتجديد، لذا يتطلب مراعاة الخصوصيات المميزة لكل مجتمع. وفي السياق نفسه يمكن التأكيد مع بعض الباحثين المحليين أن الحادثة لا تتأسس على سياسة «حرق المراحل»، بل يجب أن تكون مصحوبة بوعي فكري حداثي، فما جرى عندنا هو أن الحادثة كانت على المستوى المادي، مفتقدة بذلك لوعي فكري حداثي، فالحادثة أولا هي قضية تحديث الذهنية حتى لا يكون هناك انفصام بين الجانب المادي والجانب الثقافي، أو على أقل تقدير «تشوش ثقافي» يتمظهر في نمطي عيش متناقضين.

## 2/قراءة طبيعة الرابط الاجتماعي في الجزائر: عرض حال(2)

### أ/الطرح الحداثي:

يفترض هذا الطرح أن الرابط الاجتماعي يتأسس خارج الدين، فهو يؤمن بإمكانية تحويل المجتمع الجزائري من الوضعية الثقافية التقليدية إلى الوضعية الثقافية الحداثية، معتمدين في ذلك على سياسة حرق المراحل، حيث أعتبر التصنيع الشرط الأساسي لهذه العملية التثقيفية، و بالتالي تحويلهم إلى منتجين ومستهلكين عقلانيين، و هذا ما نلمسه من خلال الميثاق الوطني 1976 في صفحته 115 واصفا هذه العقليات بـ«... المعارضات و الأعمال التخريبية و العادات و الذهنية المتخلفة» ، ذلك ما قد يتطابق

مع ما لاحظته الجماعة الكندية حين قالت «يبقى سؤال علاقات الثقافة بالتسيير مسألة مركزية بالنسبة لكل الذين يهتمون بفعالية المؤسسات إلا أن التصورات لدى أغلبية طلبة التسيير، المسيرين الجزائريين والأجانب والجامعيين تعتبر أن الثقافة الجزائرية هي معيق أكثر مما هي ورقة رابحة بالنسبة للنجاعة»(3).

#### ب/ الطرح التاريخي:

وفي المقابل يفترض هذا الطرح أن الرابط الاجتماعي يتأسس داخل الدين، و في هذا الإطار نرجع لبعض الأطروحات أو شبكات القراءة في ميدان العلوم الاجتماعية في الجزائر.

#### \*أطروحة الثقافة التقليدية مع سليمان مظهر:

يمكن وصف هذه الأطروحة بالمناقضة تماما للطرح الحدائي، بحيث يعرف الثقافة التقليدية على أنها «عجز الأشخاص و الشبكات العلاقتية و الجماعات على التحكم في وسائل معيشتهم و تنظيم مصيرهم حسب أهوائهم و حاجاتهم و طموحاتهم». تتميز هذه الثقافة بالعجز الفردي و الجماعي على التحكم في وسائل المعيشة و المصير، و تمثل ثقلا وعائقا أمام التجديد، هذه الثقافة التي تمتاز ببعدين جوهريين، أولهما انتهاز الفرص والتكيف مع الأوضاع و تحقيق المصالح الشخصية، وثانيهما المساومة بين الناس. إن التخلف -حسبه- لا يرتبط بالاستعمار أو العولمة، و إنما يكمن في مسألة و كيفية تطبيق الحداثة، إنها ظاهرة التعامل مع الحداثة بقلب ثقافي تقليدي.

#### \*أطروحة التقاطب الثقافي مع نور الدين طوالي:

يتحدث الباحث عن مزاجية بين نظامين أو مجموعتين ثقافتين مختلفتين و متناقضتين، هذه المزاجية المتمثلة في المزج بين القيم الغربية و القيم الوطنية مشكلة بذلك نظاما واحدا، فالمجتمع يظهر تارة تقليديا، و تارة حداثيا، و تارة أخرى تقليديا و حداثيا معا، و هذا ما جعله يتحدث عن تقاطب أو تزواج ثقافي، كما نجده يفرق بين المواقف الاجتماعية (الدين)، و التصورات الرمزية (الإسلام كنص).«و هل أن «جورج بلانديه» على إثر الكثيرين غيره، محق في اعتبار التبدلات الاجتماعية الشديدة و كأنها في أساس نموذجين مثاليين متناقضين أحدهما ثابت و متوازن و الآخر متحرك و معطل في حالتنا، هل أن أحدهما هو سوسيولوجيا التوافق والآخر هو سوسيولوجيا الصراع»(4).

## \*/أطروحة الثنائية الثقافية مع جمال غريد:

ينطلق الباحث في هذه الأطروحة من فكرة أن الاستعمار الذي كان بالدرجة الأولى استعمارا ثقافيا و ليس سياسيا و إديولوجيا، هو المسؤول عن الوضعية التي عليها المجتمع و نخبه حاليا و ما أنتجه من ممارسات و تصورات، و التي صقلت المجتمع الجزائري و حولته لكن دون أن تمحو ثقافته الأصلية. إذ يرى أن المجتمع الجزائري يعيش ثنائية وانقسامًا ثقافيا ، تقليديين و عصريين، مجموعة تنتمي إلى الثقافة العربية الإسلامية، ومجموعة تعيش وتفكر حسب القيم الثقافية الغربية. أي هناك تعايش بين مجموعتين مختلفتين حضاريا تحاول كل مجموعة فرض منطقها، وإقصاء ومحو الأخرى، وهذا ما يشرح التمايز والتعارض الثقافي للذين أفرزهما التدخل الفرنسي في الجزائر (المقاومة والتكيف)، والذي استمر إلى يومنا هذا.

## -على الكنز وسؤال الحداثة.

يقر الباحث أن الحداثة لا تأخذ معنى واحدا ونهائيا، بل يتحدد معناها حسب الوضعيات التي يعرفها المجتمع، وهذا ما جعله يحدد أربع مراحل لمسألة الحداثة في الجزائر. تُحيل الحداثة في المرحلة الأولى إلى الاستقلال و التخلص من الاستعمار والتبعية، ومدى وعي الجزائريين وقدرتهم على مواجهة الاستعمار، بينما ترتبط في المرحلة الثانية بعملية التنمية وما أفرزتها من نتائج في جميع المستويات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية. في حين تُحيل في المرحلة الثالثة على التحديث الاقتصادي متمثلا في إعادة هيكلة القطاع الاقتصادي العمومي. وترتبط في المرحلة الرابعة بالبعد السياسي أي التعددية الحزبية والنقابية، خاصة بعد أحداث أكتوبر 1988.

ويمكننا إضافة من جهتنا مرحلة خامسة قد ترتبط فيها الحداثة بالدولة المدنية، التي ستتمثل أساسا في الفصل بين السلطات الثلاث، التنفيذية والقضائية والتشريعية.

## -الحداثة الآلية والحداثة الرمزية عند عبد القادر جغول

يوظف مفهومان لاستقراء الحداثة في الواقع الجزائري وهما: «الحداثة الآلية» و«الحداثة الرمزية»، فالحداثة التي عرفها المجتمع الجزائري -مستوى مقبول من في الصحة و التمدرس و المعيش... هي حداثة آلية، والتي تُلخص في فلسفتها ووظيفتها

الحقيقية كشكل من أشكال الثقافة، هذه الحداثة بُرت من بعدها الثقافي والتي لا يمكن أن يتم استيرادها ولا فرضها، بل تنتج من خلال المجتمعات القادرة على ذلك كجزء من التجربة التاريخية. فالتحديث الفعال الآلي الذي هو غير مكتمل أو منعه الهياكل الاقتصادية والاجتماعية في العالم الإسلامي، كانت نتيجته الطبيعية الفجوة بين الواقع المعاش ونماذج الممارسات والسلوك، والتي أدت إلى إعادة إنتاج التقليد، فالخلل حسبه لا يكمن في الواقع، بل هو إبستيمي.

تؤسس الحداثة الرمزية على أساس التراث الإسلامي المفكر فيه وفقا لاحتياجات الحياة الحاضرة. فالحداثة الغربية تأسست خارج الدين، وهذا ما يجعلها تواجه في مجتمعاتنا العربية الإسلامية البعد الديني و الاختلافات المجتمعية.

### 3/ثنائية التقليد والحداثة في مجال التنظيمات والعمل.

عملت الدولة الجزائرية منذ الاستقلال وبخاصة منذ نهاية الستينات وبداية السبعينات على تحديث المجتمع وتحريره من التبعية و التخلف واللاحق بركب الدول المتقدمة، وذلك من خلال مشروع الحداثة وبناء دولة عصرية، مشروع تنموي قائم على سياسة التصنيع الثقيل، هذا الأخير الذي اعتبر كمحرك أساسي لما يُراد للجزائريين أن يكونوا عليه، وبذلك كانت مسيرة التنمية في الجزائر ملازمة للحداثة، في عملية النقل هذه، إلا أنها اصطدمت بالذهنية المخالفة للفرد الجزائري، هذه الذهنية ذات القالب المحلي بامتياز.

لقد درست إشكالية الحداثة في إطار علاقة المؤسسة بالمجتمع، فمن خلال دراستنا لمحتوى اثنين وعشرين أطروحة دكتوراه في تخصص علم اجتماع تنظيم وعمل بجامعتي تلمسان و وهران-تدخل هذه المحاولة في إطار بحث أكاديمي أشمل-أوضحت بروز ثنائية تقليد وحداثة، وقد استعملت مثلا الثقافة المجتمعية بدلا من التقليد و الثقافة التنظيمية بدلا من الحداثة، عالجت هذه المواضيع البحثية المختلفة من جهة و المشتركة في جوهر طرحها من جهة أخرى مسألة الثقافة العمالية أو الموروث الثقافي للعمال و علاقته بالتسيير المؤسسي الحداثي العقلاني، و بالتالي تحديد المرجعية الثقافية المهيمنة على ممارسات و تصورات الفاعلين داخل المؤسسة، متسائلة عن مدى تفاعل المنظومتين الثقافيتين التقليدية و الحديثة معا في العملية التسييرية، و كيف تشكل و تساهم في بناء



هوية مهنية لدى العامل الجزائري في ظل التغيرات التي عرفتتها المؤسسة الجزائرية. تبرهن هذه الدراسات بما لا يدع مجالا للشك أن القيم السوسيوثقافية المحلية أو الموروث الثقافي و المتمثل بالخصوص في الدين والعادات و الارتباطات الجوارية... لا تزال تقف عائقا أمام التسيير العقلاني الحداثي، و بالتالي الابتعاد عن المنطق المؤسسي الحديث، و تظهر بعض أوجه عناصر هذه العوامل السوسيوثقافية في:

\* استعمال العلاقات الشخصية و المعارف و الشبكات الاجتماعية المختلفة في التوظيف، و لتخطي العقبات البيروقراطية.

\* اقتحام المرأة لعالم الشغل، خاصة في بعض الوظائف التي كانت حكرًا على الذكور كالصحافة و المقاولاتية، حتى وإن كان ذلك راجع للظروف المعيشية الصعبة، وارتفاع المستوى التعليمي وغيره، ومن جهة ثانية استمرار النظرة الدونية اتجاهها كمرأة مسؤولة، واستمرار البعد الثقافي الأبوي و المتمثل في إسناد مسؤولية العمل المنزلي للمرأة كشرط لاستمرار أنوثتها، وهذا ما يبرر مرة أخرى تعايش هذه الثنائية، و حضور الثقافتين معا. وأما بخصوص تسيير الموارد البشرية تقف الذهنية الفكرية للعمال الجزائريين عائقا، وبالتالي تطرح إشكالا عويصا للمسيرين الجزائريين، وأما في العملية الاتصالية والقيادية داخل المؤسسة يتجه الأجراء نحو ما هو غير رسمي في أغلب الأحيان، علما أن العمال يكتفون بربط علاقة آلية قائمة على أساس عمل مقابل أجر، وهذا ما يتطلب -كما أشرنا سابقا- تحديث على مستوى الذهنيات إن «أمكن ذلك بالطبع»، لذا يمكن القول إن المنظومتين الثقافيتين أفرزتا نوعا من الممارسات التي أعاقَت التسيير المؤسسي الذي يُعتقد فيه أنه كوني.

\* كما لوحظ أن عملية إنشاء المشاريع المقاولاتية تتسم بالطابع الجماعي القرابي المتمثل في الإخوة والوالد والأصدقاء المقربين، وبهيمنة الذكر على الأنثى. لا زالت الثقافة التقليدية تُعيق اكتساب تصورات و تمثلات العمال لعملهم في حياتهم الاجتماعية، إذ أن المحيط أو البيئة المجتمعية لها تأثير على ممارسات الفاعلين وتصوراتهم، الأمر الذي يُمكننا القول بعدم إمكانية تبلور تفكير حداثي حسب الكونية الأوروبية.

يظهر أن هناك ثنائية تتحكم في الجانب التسييري، تتمثل الأولى في الطابع التقليدي، و

الثانية في المنطق العقلاني الاقتصادي، أي أن هناك امثال لما هو تقليدي من جهة، و سعي نحو ما هو حديث من جهة ثانية. فالموروث الثقافي شكل إطارا مرجعيا للعامل الجزائري داخل المؤسسة، كما شكل ثقلا على مختلف الممارسات التسييرية بالرغم من تلك المزاوجة المشار إليها سلفا. وبالتالي يمكن القول أن هناك تعايش أو تزاوج بين منظومتين مختلفتين، الأولى وفق معايير و قيم تقليدية، و الثانية وفق معايير عصرية و هذا ما يشكل «اتحاد توتري» بحسب تعبير «جورج بلانديه»، أو بتعبير آخر استمرارية الأنماط التقليدية مع الأنماط الحديثة دون إحداث قطيعة، و بالتالي تشكيل تكيف بين ما هو تقليدي و ما هو حديث، و هذا ما يتماشى و أطروحة «التقاطب الثقافي» مع رائدها نور الدين طوالي، و الدراسة التي قامت بها الجماعة الكندية في دراستها لعملية التسيير في الجزائر، حيث توصلت إلى أن «أشكال التسيير المطبقة في الجزائر تتناقض مع التصورات التقليدية التي يحملها الجزائريون، وأن الثقافة الجزائرية تعتبر بمثابة معيق، و بالتالي ليست هناك طرق تسيير كونية تطبق على الجميع» (4).

### خاتمة

إذا كان علم الاجتماع في الجزائر يدرس مجتمعا غير المجتمع الذي وُجد فيه، فقد وُصف من طرف علماء اجتماعه بأوصاف كالفشل، الأزمة، الحيرة، الانسداد و غيرها من الكلمات...، فقد أخذت مسألة الحادثة في الجزائر هي الأخرى السياق نفسه، و هذا ما لمسناه من خلال شبكات القراءة لبعض علمائنا، فمن جهة نجد الطرح الحديث (الوضعي)، ومن جهة ثانية الطرح التقليدي الذي ينادي باستمرارية القيم التقليدية (الثقافية)، و من جهة ثالثة الطرح الذي يجمع بينهما، وهذا ما فصلنا فيه من خلال دراستنا لمحتوى الأطروحات الدكتورالية، في دراسة مسألة الحادثة في إطار العلاقة بين المؤسسة و المجتمع، و التي انساق مع أطروحة التقاطب الثقافي، أي الجمع بين النظامين دون الفصل بينهما ، هذه الأطروحة التي من بين متغيراتها حسب اعتقادنا ما ذهب إليه «عبد القادر لقجع» حين أكد أننا نريد أن نكون حديثين إلا أننا معاكسون في ذلك أي أن هناك بلورة جديدة مخالفة لطموحات الأفراد (5). كما يقترح صاحب الثنائية الثقافية فكرة الشرخ بين مجتمعين متلازمين و متوازيين .

## الهوامش

- (1) أحمد بدر، الاتصال الجماهيري بين الإعلام والتطويع والتنمية، دار قبار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص255.
- (2) لقد اعتمدنا في هذه النقطة على محاضرات الأستاذ بشير محمد في التكوين الدكتورالي بجامعة تلمسان. وللتوسع أكثر، أنظر -سليمان مظهر، علم النفس الاجتماعي : نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية مصدر المجابهة، منشورات ثالة، ط1، 2010.
- نور الدين طوالي، الدين والطقوس و التغيرات، تر. وجيه البعين، منشورات عويدات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الط1، 1989.
- GUERIDDjamel, l'exception Algérienne, la modernisation à L'épreuve de la société, Ed. Casbah, 2007.
- L'Algérie et modernité, sous la direction d'Ali El kenz, Ed.dhakiret El ouma, 2015, p7.
- LAKJAA.A, Abdelkader Djeghloul, penseur d'une modernité...aux couleurs locales, inA Djeghloul, l'homme et l'œuvre, coordination et présentation A Lakjaa, PUO, septembre 2015.
- (3) Culture et gestion en Algérie.Sous la direction«DanielMercure«déger« et léger.Paris« Ed. Harmattan« 1997.P187.
- 4- نقلا عن نور الدين طوالي، المرجع السابق ص 277.
- (5)Lakjaa Abdelkader, la jeunesse algérienne ; entre valeurs communautaires et aspirations sociétares in Hervé Cellier et Abba Rouag Djenidi : jeunesse , ville et marginalité ed, Chihab 2008.

## الهوية والمواطنة في الثقافة السياسية الجزائرية

أ.رحوي عائشة – جامعة سيدي بلعباس

### مقدمة:

الثقافة السياسية هي جزء من الثقافة العامة لأي مجتمع وهي تختلف من مجتمع لآخر نظراً لارتباطها بالقيم والمعايير والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية للمجتمع، كما أنها تتميز بالتغير وعدم الثبات النسبي مثلها مثل الثقافة العامة وذلك تبعاً لعوامل داخلية تتعلق بالتغيرات التي تعترى النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وتساهم في التأثير على البنى القيمية للمجتمع مما يؤدي إلى تغير في أولويات السلم القيمي له باستدخال قيم جديدة وتلاشي أخرى، بالإضافة إلى تأثير العوامل الخارجية التي تتغلغل في ثقافة المجتمع السياسية عبر مختلف قنوات الاتصال والإعلام.

وتميز الدراسات التي تناولت الثقافة السياسية بين مستويين منها هما: ثقافة النخبة الحاكمة أو الثقافة الرسمية وثقافة الجماهير أو المواطنين أي الثقافة غير رسمية<sup>1</sup>، وفي أغلب الأحيان تتبنى الدولة ثقافة النخبة التي تجد طريقها إلى المواطنين من خلال وسائل الإعلام والنظام التعليمي التربوي والخطاب السياسي، فالحكومات تهتم بالثقافة السياسية لما لها من الأهمية والتأثير في خلق المساندة السياسية من طرف المواطن وما يترتب عليها من شرعية النظام السياسي وتحقيق الاستقرار. وبالتالي فإن ثقافة النخبة تؤثر بشكل مباشر على السلوك السياسي للمواطن .

وانطلاقاً من هذا الاقتراب للثقافة السياسية سنحاول في هذا المقال معرفة كيف أثرت الثقافة السياسية للنخبة على تطور ممارسة المواطنة في الجزائر ولماذا لم تساهم في تطوير الروح الوطنية العالية إلى مواطنة فعالة عند المواطن الجزائري؟

## علاقة المواطنة بالوطنية والثقافة السياسية:

تعتبر المواطنة الوجه العملي للوطنية فالوطنية شعور وارتباط عاطفي ووجداني قوى بالأرض والوطن الذي نعيش فيه أما المواطنة فهي تجسيد لهذا الشعور من خلال القبول بالتعايش مع الآخر، فالمواطنة هي العلاقة الرابطة بين الفرد ودولته من جهة وبين الفرد والمواطنين الآخرين كما يحددها قانون تلك الدولة أو ما تستوجبه هذه العلاقة من ممارسة فعلية للحقوق والواجبات على أرض الواقع ومشاركة فعالة في تقرير المصير.

أما الثقافة السياسية فيعرفها غابريال ألمان (Gabriel Almond) بأنها «مجموعة التوجهات السياسية والاتجاهات والأنماط السلوكية التي يحملها الفرد اتجاه النظام السياسي»<sup>2</sup> فهي تظهر من خلال نوع السلوك السياسي للفرد كمواطن في دولته ضمن إطار العلاقة التي تربطه بها، هذه العلاقة التي تندرج تحت مفهوم المواطنة كما عرفناها سابقا، وبالتالي فالثقافة السياسية للمواطن هي المحدد الأساسي لصورته كفاعل سياسي في مجتمعه ومدى فعاليته ومشاركته في الحياة السياسية.

وفي هذا المجال يرى كل من ألمان (Sidney Verba) أن الثقافة السياسية ليست موحدة عند كل الأفراد المنتمين للنظام السياسي بل يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط مختلفة من الثقافة السياسية:

1- الثقافة السياسية المحلية: وتوجد في المجتمعات البسيطة التي لا يوجد فيها تخصص ولا عمق في فهم الوضع السياسي أو الحكم وأساليبه فلا توجد أدوار ووظائف سياسية متخصصة بمعنى أن يقوم رئيس المجتمع القبلي مثلا بأداء أدوار سياسية ودينية واجتماعية مختلفة دون تمييز واضح ومحدد بين هذه الأدوار، والفرد في مثل هذه الثقافة لديه معلومات ضيقة خاصة بالمجتمع المحلي، أما إدراكه ووعيه بالنظام السياسي فهو محدود وغير واضح، وفي ظل هذه الثقافة لا يمكننا الحديث عن وجود مواطنة لأن الفرد يكون يعيش خارج نطاق المواطنة

2- الثقافة السياسية الخاضعة أو التابعة: وهي تلك الثقافة التي يكون لدى أفرادها تصور عام عن النظام السياسي دون أن يكون لهم تأثير على قراراته رغم أنهم قد يعارضونه

أو يؤيدونه ولكن غالبًا ما يكون موقفهم سلبيًا لأنهم يحسون بأنهم عاجزين وغير قادرين على التأثير أو التغيير أو توجيه النظام الوجهة التي يرونها مناسبة وهذا ما يدفعهم إلى الخضوع للأمر الواقع ويضطرون لمساندة القرارات دون أي معارضة أو تمرد، وهذا ما يولد مواطنة سلبية أو جامدة بحيث يكون موقف المواطن وسلوكه الفعلي سلبيًا ولا يحاول المشاركة في صنع القرار .

3-الثقافة السياسية المشاركة: وفي مثل هذه الثقافة يكون الفرد عادةً مدرّجًا للنظام ومخرجاته ومدخلاته ودوره كمواطن في هذا النظام، فهو يعرف حقوقه وواجباته ويثق بكفاءته وقدرته على التأثير في الحياة السياسية ويفسر دوره على أنه إيجابي وفعال في العملية السياسية وبالتالي فهذه الثقافة تؤسس لظهور وتبني قيم ومبادئ المواطنة الإيجابية التي تتسم بالمشاركة الفعالة للمواطن في جميع المجالات وخاصة الميدان السياسي ويؤكد ألموند وفيربا أنّ الثقافة السياسية المشاركة تعزز بناء الديمقراطية في أي مجتمع، وأنّ الدول التي تقدمت في مجال بناء الديمقراطية هي الدول التي تمتاز بانتشار وسيادة قيم هذا النوع من الثقافة.

### الثقافة السياسية في فترة الحكم الاستعماري

للحديث عن الثقافة السياسية في الجزائر كان لا بد لنا من العودة إلى الأصول والجذور الأولية التي ترعرعت فيها وإلى المرجعيات الفكرية والأيديولوجية الأساسية التي أثرت في هذه الثقافة، وبالأخص ثقافة النخبة لأنّه وفي هذه الفترة بالذات أي فترة الحكم الاستعماري لا يمكننا الحديث عن ثقافة سياسية جزائرية عند عامة الشعب، الذي كان يعاني من الجهل والفقر والأهمية والإقصاء الشبه كلي من الحياة السياسية والمدنية حيث اعتمدت فرنسا في هته الفترة نظاما خاصا يقوم على التمييز بين الأهالي والمعمرين هدفه تكريس الاستعمار واستغلال الشعب الجزائري وطمس شخصيته العربية الإسلامية ومحو ثقافته وهويته «حيث تحول الجزائري إلى إنسان من الدرجة الثانية تتلخص مهمته في خدمه المعمر دون مناقشة وهذا ما يلاحظ من خلال إبعاد الجزائري عن المشاركة السياسية مع فرض ضرائب ثقيلة على المواطنين وحرمانهم من حرية الرأي والتعبير والتمثيل الحر غير المقيد»<sup>3</sup> وبذلك حرم المواطن الجزائري من كل حقوق المواطنة طيلة

فترة الاحتلال وفي هذا الصدد يربط فرانتز فانون تأسيس ووجود الثقافة بوجود الدولة الوطنية بقوله « إنَّ الثقافة هي أولاً وقبل كل شيء، تعبير عن أمة، عن مفضلات هذه الأمة، ومحرماتها ونماذجها، هي محصلة التوترات الداخلية والخارجية في المجتمع برمته، وفي مختلف طبقات هذا المجتمع. فمادام الوضع الاستعماري قائماً فإنَّ الثقافة تنضب وتحتضر لأنها تكون محرومة من ركيبتها الأمة والدولة وعلى ذلك فإنَّ التحرير الوطني أو القومي أو انبعاث الأمة هو شرط وجود الثقافة»<sup>4</sup>.

أمّا على مستوى النخبة فنجد أنّه رغم السياسة الاقصائية التي انتهجتها فرنسا فإن ذلك لم يمنع ظهور نوع من الثقافة السياسية عند هته النخبة والتي كانت تطالب بمبادئ المواطنة كالحرية والمساواة مع الفرنسيين في الحقوق السياسية وحرية التعبير والتفكير وحرية الصحافة والمعتقد بالإضافة إلى الحقوق الاجتماعية والاقتصادية، ويعود سبب ظهور الحركة الثقافية السياسية في الجزائر خلال هذه الفترة إلى عدة عوامل أهمها انتشار الوعي السياسي عند النخبة بانتقال الجزائريين إلى أوروبا واحتكاكهم بغيرهم، فضلاً عن أثر النهضة العربية في المشرق لاسيما حركة الإصلاح الديني التي تزعمها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الذي زار الجزائر سنة 1904، وعبد الرحمن الكواكبي، كما كان لازدهار الصحافة السياسية الأثر الكبير في تغيير المفاهيم التقليدية عن نظام الحكم بالإضافة إلى «دور الحرب العالمية الأولى الذي ساهم في تطوير الفكر السياسي الجزائري نظراً لاحتكاك الجزائريين بالمجتمع الأوروبي أثناء المشاركة في الحرب العالمية إلى جانب ذلك هناك إعلان الرئيس الأمريكي ويلسون Willson عن مبادئه الأربعة عشر والتي من بينها حق تقرير مصير الشعوب المستعمرة»<sup>5</sup>

كل هذا أدى إلى ظهور نخبة وصفوة مثقفة أصبحت تشكل تيارات سياسية مختلفة البعض منها طالب بالاندماج والمساواة والبعض الآخر طالب بالحرية والاستقلال، ونحن هنا لسنا بصدد دراسة التيارات السياسية التي ظهرت في تلك الفترة ولا النتائج المحققة من طرفها ولكن ما يجدر التأكيد عليه هو أن كل تيار من هذه التيارات كان يحمل في طياته مجموعة من الأفكار السياسية التي كانت تؤسس لظهور مفهوم المواطنة على الساحة السياسية الجزائرية ولو شكل غير مباشر متأثرة بذلك التطور الحاصل في الفكر

السياسي العالمي وخاصة في مجال حقوق الإنسان وحرياته والدفاع عنها. ويمكن تجلي هذه الأفكار من خلال المطالب الوطنية لهذه التيارات وكذا من خلال البرامج السياسية لها، والملاحظ أن كل تيار كان متأثرًا بمرجعية فكرية وسياسية معينة صاغ على إثرها مجموعة مطالبه.

### 1- التيار الاستقلالي والمرجعية الاشتراكية:

لقد تأثر هذا التيار بالفكر الاشتراكي الذي ساد في تلك الفترة وتمثل في الفلسفات والتطبيقات الاشتراكية التي انتشرت في الأوساط العمالية والنقابية خاصة بعد نجاح الثورة الاشتراكية في روسيا، حيث أسسه مجموعة من العمال الجزائريون في أرض المهجر كحركة سياسية للدفاع عن مصالحهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكان يطمح إلى تحقيق استقلال الجزائر عن طريق كفاح الطبقة العاملة وإقامة نظام اشتراكي فيما بعد الاستقلال يقوم على المبادئ التالية:

- الفصل بين السلطات الثلاث (شريعية تنفيذية قضائية)
- الإقرار بكل الحريات الديمقراطية مثل حرية الصحافة وإنشاء الجمعيات المختلفة وحرية التفكير.....إلخ.
- تطبيق مبدأ الاقتراع العام على كل المستويات وقابلية كل سكان الجزائر للمشاركة وممارسة حق الاقتراع.
- تكوين جيش وطني وحكومة وطنية ثورية.
- اعتماد اللغة العربية كلغة رسمية.

### التيار الإصلاحية والمرجعية الإسلامية:

مثلت هذا التيار جمعية العلماء المسلمين ذات الطابع الثقافي التربوي والتي تبنت استراتيجية تعليمية تربوية لمواجهة الاستعمار قائمة على تغيير عقليات الناس وبالتالي تغيير محيطهم الاجتماعي حيث لم تعتمد مفهوم التعليم الموجود وإنما ركزت على ربط التعليم بالوعي الناتج من الثقافة العربية الإسلامية المتميزة عن الثقافة الفرنسية والعمل على خلق مواطن جزائري يعي خصوصية شخصيته وثقافته وحضارته عن المواطن الفرنسي معتمدة على مرجعية عربية إسلامية لإنشاء دولة حديثة وقوية تحكمها المبادئ السياسية التالية:



- الأمة هي مصدر كل سلطة وهي تعين وتعزل الحاكم وتحاسبهم.
- تحكم الأمة نفسها بنفسها مما يخلق الطابع الجمهوري للحكم لأن الحاكم هو مجرد منفذ لإرادة الأمة..
- تراقب الأمة الحاكم و تسأله عند الحاجة وتستطيع عزله.
- الأمة هي التي تضع القانون عن طريق أهل الحل والعقد والحاكم يعمل على تنفيذه فقط»<sup>6</sup>

### التيار الليبرالي (الإدماجي) والمرجعية الليبرالية:

ظهر هذا التيار في بداية القرن العشرين على يد مجموعة من الجزائريين المفرنسين هم نتاج الجهاز التعليمي الفرنسي والفكر اللاتيني الجمهوري وبذلك فقد تأثروا بالفكر الليبرالي الغربي الفلسفي والسياسي الذي كانت تنشره المدرسة الفرنسية في أوساط البرجوازية الوطنية، وتبنى هذا التيار قيم الثورة الفرنسية والحريات الفردية في الفكر الجمهوري الفرنسي ومن هذا المنطلق كانت تطالب بتأسيس جمهورية جزائرية ذات حكم ذاتي لها مؤسساتها السياسية مع منح الجزائر دستوراً خاصاً بها يضمن الحرية والمساواة التامة بين جميع سكانها بدون تمييز في العرق أو الدين، حرية الصحافة وحق إنشاء الجمعيات وحرية العبادة وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة مع السماح للجزائريين المسلمين بالمشاركة الفعلية في حكومة بلادهم.

وفي الأخير ما يمكن قوله حول الثقافة السياسية الجزائرية في هذه المرحلة هي أنها كانت ثقافة نضالية بنيت على أساس الوعي بالاختلاف والصراع مع الآخر المتمثل في المستعمر الفرنسي وقد عملت النخبة على نشر الوعي السياسي بين أفراد الشعب معتمدة على الوطنية كاختيار إيديولوجي يسمح بتعزيز وتقوية عامل الترابط والانسجام بين كافة الأفراد والشرائح الاجتماعية لمواجهة الخطر الخارجي، محاولة بناء فضاء ثقافي على مستوى المخيال الجماعي للأهالي يدركون من خلاله صورة وجودهم الاجتماعي وحقيقة انتمائهم التاريخي والحضاري لهذا الوطن الذي أصبح مهدداً بالزوال، وهو ما يحدد طبيعة العلاقة التي يجب أن تربطهم بالمستعمر الذي سلب جميع حقوقهم السياسية والمدنية وحتى الاجتماعية والاقتصادية، هذه العلاقة التي يجسدها مبدأ التناقض المبني

على الاعتراف بوجود طرفين لهم وجودين اجتماعيين غير متساويين انتماؤهما الحضاري والثقافي متناقضين مما يجعل اقترانهما مستحيل لأن بقاء أحدها يتطلب زوال الثاني حتمًا. ومن هنا بدأ الأهالي يدركون ويعون أن وجودهم الاجتماعي العام ونسقهم الثقافي وانتمائهم الحضاري أصبح مهددًا بالزوال والتحطيم من طرف فاعل أجنبي، الذي أفرز تواجده في الجزائر معايير ثقافيته وأسس اجتماعية مخالفة في جميع عناصرها السلوكية والأخلاقية عن تلك التي يحملها ويمارسها المجتمع الجزائري<sup>7</sup>. ويمكن أن نلمس هذا الوعي السياسي عند الأهالي في العديد من المحطات التاريخية والتي كانت من أهمها أحداث 8 ماي 1945 التي خرج فيها الأهالي إلى الشارع للمطالبة بحقوقهم في الحرية والمساواة وإدارة شؤونهم محليا والتمثيل البرلماني والتي ووجهت بأشجع أنواع العنف والتنكيل، ومن هذا التاريخ تيقن كل أفراد الشعب بأن النضال السياسي لن يجدي نفعًا للحصول على الحرية وبدأ التفكير الجدي في الثورة المسلحة وقد ساهمت الوطنية في تحقيق الوحدة والالتفاف حول جبهة التحرير الوطني بتنازل كل التيارات عن صراعاتها وخلافاتها لأجل تحقيق الهدف الأساسي المتمثل في الاستقلال. وبذلك أصبحت جبهة التحرير حركة اجتماعية متناقضة الأمر الذي جعل تنظيمها غير طبيعي يتصف بالخلافات والصراع على السلطة داخل قيادتها والذي استمر إلى ما بعد الاستقلال، فرغم استفادة الجزائريين من نضالهم في الأحزاب الوطنية والجمعيات الثقافية وجهادهم في صفوف جيش التحرير وتكوينهم رصيدًا ثقافيًا سياسيًا وخبرة معتبرة في العمل الجماعي العام والذي كان من الممكن أن يثمر بالنجاح في بناء دولة ديمقراطية حديثة مبنية على أسس ومبادئ المواطنة، إلا أن هذه الخلافات والصراعات حالة دون ذلك وعرقلة مسار الديمقراطية في الجزائر.

### الثقافة السياسية في فترة ما بعد الاستقلال واعتماد الحزب الواحد.

باستقلال الجزائر كان من المفروض أن تحل كل المشاكل العالقة وأن تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر يهتم فيها ببناء دولة ما بعد الاستعمار ورسم برنامج تنموي ينهض بالمجتمع الجزائري ويحقق تطلعات الشعب بعد أن عاش الحرمان بكل أنواعه أيام الاستعمار.

لكن الذي حدث عشية إعلان الاستقلال هو دخول الزعماء السياسيين في معركة أخرى

هي معركة البحث عن السلطة والزعامة وعادت الاختلافات الإيديولوجية والسياسية بين أعضاء الجبهة للظهور إلى الساحة السياسية مع محاولة كل اتجاه فرض سيطرته للفوز بزمام السلطة، كل هذه التوترات والصراعات السياسية والثقافية أدت إلى تجريد جبهة التحرير من مسؤولياتها لصالح الجيش حينما تشكلت أول حكومة برئاسة أحمد بن بلة وعين فيها الهواري بومدين وزيرا للدفاع بعد الصراعات التي عرفتها الأسرة الثورية وبالتالي تسلم الجناح العسكري السلطة في البلاد بصفة مباشرة « فانحرفت الممارسة السياسية عن الديمقراطية الحقيقية ولم تعد فكرة القيادة الجماعية ومسألة الالتزام برأي الأغلبية سوى خرق لأهداف الثورة وألغيت بذلك التعددية الحزبية»<sup>8</sup>.

ولقد ولد هذا الصراع السياسي فيما بين النخبة ثقافة سياسية متصارعة تجسدت في بداية الاستقلال في عمليات الاغتيال والنفي والانسحاب الجبري أو الطوعي من الواجهة السياسية، لكن هذا الصراع لم يمتد إلى الجماهير ولم يكن له الأثر الفعال في الثقافة السياسية العامة للمواطنين، باعتبار أن المواطن البسيط كان بعيداً عن هذه الصراعات يثق في الزعماء السياسيين، فالتصورات التي كان يحملها الشعب الجزائري على مستوى الوعي السياسي له لم تكن تعارض السلطة الحاكمة وهذا الرضى بني على أساس الثقة التي لم تكن وليدة الاستقلال بل لها جذور تاريخية تولدت فيها وهي حرب التحرير، فالذي حمل السلاح منذ الاستعمار وحقق الاستقلال للبلاد هو جدير بقيادة وبناء الدولة الجزائرية المستقلة وفي هذا المجال يقول وليام زرتمان (W.Zertman) «حرب التحرير أعطت إحساساً كبيراً للشعب الجزائري بالأمل من أجل جني محاصيل الثورة، من أجل مستقبل اقتصادي اجتماعي أفضل وهذا جعل جبهة التحرير وجيشها يلعبان دوراً أساسياً في تحديد سياسة الجزائر المستقلة». وبذلك بنيت السلطة في الجزائر على أساس شرعية ثورية مستندة إلى مرجعية تاريخية أدمجت في اللاوعي السياسي (على حد تعبير محمد عابد الجابري) للمواطن الجزائري وأصبحت المحدد الرئيسي لسلوكه وعلاقته بالنظام السياسي.

ومن منطلق الشرعية الثورية احتكر الحزب كل الشعارات الوطنية والثورية وأعطى لنفسه الأحقية في تسيير المشاريع التنموية والتحديث والعصرنة، كما اعتمد على الوطنية كإيديولوجيا وسلاح سياسي ناجح وفعال من أجل الحفاظ على السلطة ووظيفها في إطار

العمل على الاندماج الوطني ذلك أن الوطنية ورموزها وتمثيلاتها وقوة جماعيتها تمثل البحر الرئيسي للمجتمع الجزائري ووسيلة إدماجه وتوحيده المتميزة.

فالوطنية كانت حاضرة في الخطاب السياسي للنخبة من أجل العمل على تعبئة الجماهير لمساندة النظام وعدم معارضته حيث كانت عملية الحكم وإصدار القرارات بين النخبة الحاكمة والشعب تتم من خلال ناظم إيديولوجي هو المبدأ الوطني الثوري كمبدأ ثابت سياسيا وإيديولوجيا وكوسيلة لتأميم الصراعات الاجتماعية. أما التعارضات بين الفئات الاجتماعية فالدولة هي التي كانت تنظمها في قنوات ومنظمات، تسمح ليس بممارسة سياسية مستقلة عن الدولة وإنما بمشاركة سياسية مراقبة ومؤطرة، وهو ما يعني أن الحقوق المدنية والسياسية والحريات الفردية كما تعرفها المجتمعات الليبرالية كانت تمارس وتطبق في الجزائر في إطار تعبئة سياسية منسجمة مع مصالح الدولة واختياراتها، وهذا ما أدى إلى غياب الممارسة الفعلية للمواطنة على أرض الواقع وإقصاء المواطن الجزائري من الساحة السياسية وتغييبه في كثير من المحطات المهمة في الحياة السياسية ويكفي الإشارة هنا أنه وإلى غاية 1976 لم يتوفر للشعب الجزائري مجلس شعبي منتخب يعبر من خلاله على آرائه ويساهم من خلاله في القرار السياسي للدولة، ويجدر الإشارة كذلك أنه خلال هذه الفترة عرفت الساحة السياسية الجزائرية فراغاً دستوريا منذ تجميد دستور 1963، الدستور الذي يعتبر الإطار الحامي لحقوق المواطنة.

وبالتالي امتثل الشعب في هذه المرحلة لمخرجات النظام السياسي الذي احتكرت سلطة قراره نخبة من العسكريين، دون أي معارضة أو ردة فعل وهذا ما يمكن أن نعبر عنه بانتشار الثقافة السياسية الخاضعة أو التابعة بين أفراد الشعب والتي من مميزاتا خضوع المواطن للقرارات المتخذة من طرف السلطة واعتبارها إلزامية، وفي ظل هذه الظروف فسر المواطن الجزائري دوره وحصره في قبول هذه القرارات دون أي محاولة لتغييرها سواء كان راضياً أو غير راضٍ عنها فهو مجرد رعية أو تابع وهذا هو النموذج الذي طبع في الوعي واللاوعي السياسي للفرد الجزائري مما عرقل سيورة تبني الديمقراطية في الجزائر وفوت الفرصة على قيام ثقافة سياسية فردانية مشاركة تعتمد على اختلاف الآراء وتعددتها في جو من الشفافية، وهذا ما ولد لنا مواطن سلبي لا يهتم بالمشاركة السياسية

ولا يدرك حقوقه وواجباته ولا يثق بكفاءته وقدرته على التأثير في الحياة السياسية.

هذه الثقافة السياسية التابعة خلقت نوع من الاغتراب السياسي للمواطن في الجزائر (على حد تعبير حلیم بركات<sup>9</sup>، هذا الاغتراب حدث بسبب هيمنة الدولة على المجتمع إذ وصلت بيروقراطية الدولة إلى حد أصبحت تتوقع أن تفكر بالنيابة عن المواطن بدلاً أن يفكر المواطن في كيفية تسيير البلاد، وذلك بتعطيل المجتمع المدني أو تغييره فالجمعيات المدنية كانت تعمل تحت رقابة السلطة وبالمولاة لها أي كانت تعمل هي الأخرى على دعم النظام، حيث عمد النظام في هذه الفترة إلى فتح المجال أمام تكوين الجمعيات المدنية ولكن ذلك كان من منطلق الاحتواء وإسكات المعارضة ودمجها في النظام السياسي لا من منطلق فتح المجال أمام تعدد الآراء وحرية الرأي والتعبير. ولم تكن الأحداث التي مرت بها الجزائر عام 1988 إلا محصلة وتعبيراً عن هذا الاغتراب السياسي الذي زاد من حدته الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتتردية التي تسبب فيها انخفاض سعر البترول وفشل السياسات التنموية، هذه الأحداث التي كشفت الغطاء عن مجموعة من الأزمات والتي أدت بالسلطة إلى اختيار الانتقال إلى التعددية السياسية والتي كانت لها الأثر على الثقافة السياسية في المرحلة القادمة:

### أزمة الشرعية:

كلما زادت الشرعية سادت المجتمع قيم سياسية تؤكد الامتثال للقرارات الصادرة عن السلطة والعكس صحيح فإذا قلت شرعية السلطة ينظر لها على أنها قوة عدوانية ومنه تكون المعارضة والرفض. وهذا ما يظهر جلياً في الجزائر حيث أنها وفي فترة ما بعد الاستقلال حتى السبعينيات اعتمدت على شرعية ثورية تاريخية والتي ارتكزت على مقاومة الاحتلال وتحقيق الاستقلال، وكان الشعب واثقاً من هذه الشرعية التي طبعت في ثقافته السياسية مما جعله مجنداً وراء قيادته ممتثالاً لكل القرارات الصادرة آنذاك، ولكن هذه الشرعية ترتب عنها تداخل بين الدولة ممثلة في الحزب القائد وبين المجتمع وهذا حرم المواطن من أن يكون ذو فعالية في بناء الدولة حيث كانت القرارات في الجزائر تتخذ في سرية تامة ولا تعرض على المواطن ليناقدشها الأمر الذي جعل هذا المواطن لا يعرف عن هذه القرارات وخلفياتها إلا القليل وبعد فوات الأوان ففقد المواطن الجزائري شعوره

بالانتماء والوطنية وإحساسه بضرورة المشاركة في بنائه. وهذا ما جعل المواطن الجزائري يفقد الثقة في السلطة الممثلة في الحزب وبالتالي فقدان الحزب لشرعيته خصوصاً بعد نشوب صراعات داخلية بين إطارات وقيادات الحزب حول الحكم.

### أزمة المشاركة السياسية:

تمثل المشاركة السياسية إحدى أهم مبادئ المواطنة ومقومات الحداثة، والتي تولد لنا ثقافة سياسية مشاركة تؤدي إلى رغبة قطاعات واسعة من المواطنين في المشاركة في الحياة السياسية، وشعور أغلبية أفراد المجتمع بالقدرة على التأثير في القرارات السياسية ومشاركتهم في صياغتها مع القدرة على إبداء الرأي في مختلف القضايا التي تواجه المجتمع واختيار الأعضاء والمؤسسات التي تمثل الشعب، وهذا ما لا نجده في المجتمع الجزائري فقد عجزت المؤسسات السياسية عن استيعاب القوى السياسية والاجتماعية حيث رافق حكم الحزب الواحد إقصاء للحريات الفردية والجماعية وفرض قوالب جاهزة منعت من خلالها روح المبادرة المبدعة وتأكيد الأحادية التعسفية، واقتصرت بذلك رؤية الحزب فيما يخص المشاركة بمعنى التعبئة السياسية التي تأخذ شكل التأييد والحشد والمساندة لبعض القرارات دون الإسهام الحقيقي في صنعها نتيجة لضعف الحزب وعدم قدرته على تمكين مختلف القوى من التعبير عن مصالحها ومطالبها مما أدى إلى استخدام العنف كوسيلة لتوصيل المطالب وإعلان الاحتجاج.

### أزمة الهوية:

والتي تعود جذورها إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي الذي ساهم في القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية الحضارية من الدين واللغة والتاريخ، وعمل على تنشئة نخبة تكون موالية له، والتي اخترقت (النخبة) الإدارة وأجهزة الحكم بعد الاستقلال وكان لها تأثير كبير في صياغة الثقافة الوطنية، فأصبح المجتمع الجزائري مقسم بين اتجاهات متعددة حيث تمسك البعض بالاتجاه العروبي والآخر كان يرى في الإسلام بديلاً ومحققاً لتوازن الشخصية الوطنية، في حين ارتبط بعضهم الآخر بالهوية الإفريقية البربرية.

وأزمة الهوية تشير إلى غياب فكرة المواطنة بين أفراد الجماعات البشرية المشكلة للمجتمع الجزائري وما يعنيه ذلك من إلغاء للولاء السياسي الموحد الذي يتجه إلى حكومة

وطنية موحدة، وبالتالي تعدد الولاءات السياسية داخل المجتمع الموحد، بحيث يكون ولاء الفرد لجماعته العرقية وليس ولاؤه للحكومة المركزية.

كل هذه الأزمات كان لها التأثير المباشر الكبير في تشكيل الثقافة السياسية وممارسة المواطنة في فترة ما بعد التعددية السياسية.

### قائمة المراجع:

- 1- محمد عابد الجابري، (المسألة الثقافية، (ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص215.
- 2- حياة قزادي، الصحافة السياسية (الثقافة السياسية و الممارسة الإعلامية في الجزائر)، (دط، الجزائر: طاكسيج كوم، 2008)، ص35.
- 3- سعيد بو الشعير، النظام السياسي الجزائري، (ط2، الجزائر، دار الهدى، 1993)، ص9.
- 4- سليمان الرياشي وآخرون، الأزمة الجزائرية (الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية)، (ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999) ص467.
- 5- عبد النور ناجي، النظام السياسي من الأحادية إلى التعددية السياسية، (د ط، الجزائر منشورات جامعة 8 ماي 1945، د س) ص57.
- 6- عبد الله شريط، (الفكر السياسي عند ابن باديس ومحمد عبده، مجلة حوليات الجزائر جامعة الجزائر العدد الأول 1987، ص27.
- 7- Mustapha LACHRAË, l'Algérie nation et société, EDSNED, 1978, p 33
- 8- ناجي عبد النور: مرجع سابق، ص85.
- 9- حلليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية (مناهات الإنسان بين الحلم والواقع)، (ط1، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، 2006)، ص 91-98.